متلازمات

القيادة المستبدة

غانم فنجان موسى فاطمة فالح احمد



The Syndromes of Despot Leadership

Ghanim F. Musa   Fatima F. Ahmed

Visionmedia Kronoberg HB

Vaxjo, Sweden, 2024

ISBN: 978-9922-9942-6-0

عنوان الكتاب: متلازمات القيادة المستبدة

المؤلفان: غانم فنجان موسى وفاطمة فالح احمد

دار النشر: فيشون ميديا كرونوبيرج، فيكخو، السويد، 2024

رقم التصنيف العالمي: 978-9922-9942-6-0

بسم الله الرحمن الرحيم

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ

سورة غافر الآية: 82

الاستهلال

ما انفكت الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها تعاني من قيادات مستبدة ساست الافراد بالظلم واغتصبت حقوقهم وصادرت حرياتهم وجعلتهم في فقر وجهل وادخلتهم في حروب (أهلية وخارجية) دامية اهلكت الحرث والنسل واستهلكت جميع امكاناتهم وعمقت فيهم التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفساد ومذمومات الاخلاق، ولذلك تتفجر ثورات ضد القيادات المستبدة باستمرار بعضها قد افلح في بعض البلدان في تحقيق اهدافها ومكنت الافراد من التمتع بالحياة الحرة الكريمة والتطور في جميع القطاعات، ولكن ومن اسف شديد أخفق بعضها ولا سيما في الدول المتنامية في اسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى، اذ لا زال مليارات الافراد في تلك البلدان يرزحون تحت ظلم القيادات المستبدة.

وقَصْدُ هذا المؤلف التنبيه (بالقدر الممكن) الى خطورة الارتدادات السلبية لمنظومة متلازمات القيادة المستبدة على الجميع بما فيهم القيادة المستبدة، والدفع باتجاه استنهاض الهمم (نخباً وعامة) لمناهضة القيادات المستبدة والحؤول دون استمرارها لأجل ان يتمتع الافراد بحرياتهم وحقوقهم ويستثمرون طاقاتهم وامكاناتهم وقدراتهم في تحقيق نقلة نوعية في حياتهم ولأجيالهم نحو الأفضل.

المحتويات

الفصل الأول

ظاهرة الاستبداد

مفهوم الاستبداد

مفهوم المستبد

الفرق بين الاستبداد والطغيان

مستويات منظومة الاستبداد

مجالات الاستبداد

استقواء الاستبداد

مناهضة الاستبداد

متطلبات مناهضة الاستبداد

الفصل الأول

ظاهرة الاستبداد

نشأت ظاهرة الاستبداد في تاريخ الإنسانية وتراكمت منذ القدم، فهي قرينة الوجود الانساني وتحديدا عندما كان ينظر الى الملوك بانهم "آباء شعوبهم" ولهم الحق الإلهي في امتلاك الشعوب والأوطان والتصرف بهم حسب مشيئتهم، ولا زالت هذه الظاهرة مستمرة، ولا سيما في البلدان المتخلفة رغم جميع المحاولات التي جرت هنا وهناك للقضاء عليها او الحد من تأثيراتها السلبية على الافراد والاوطان [1].

ولم يكن الاستبداد في يوم ما حكرا على بقعة جغرافية معينة من بقاع المعمورة ولم يقتصر على امة دون غيرها فقد أنهكت الأمم الغابرة والحاضرة وكانت أصل شقائها وهي اعظم بلاء يتعجل به الله تعالى الانتقام من عباده الخاملين الاذلاء اذ يجعلهم في فقر وظلم وجهل وتخلف وامراض عضوية ونفسية واجتماعية ويعطل تطورهم في المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكان لها ميراث ثقيل في تاريخ الانسانية من حيث حجمه المتراكم عبر القرون، ومن حيث أسبابه المتشعبة والضاربة في مختلف جوانب الحياة [2].

وتقطع الحقائق ان الاستبداد لا يولد اعتباطا ولا يتراكم جزافا، وإنما تحكمه مجموعة معقدة ومتشابكة من الأسباب والشروط والظروف، يتداخل فيها الذاتي والموضوعي، والداخلي والخارجي، والسياسي والاقتصادي والثقافي، فهو ثمرة مجموعة مركبة من القوى والبواعث المختلفة في طبيعتها والمتفاوتة في درجة تأثيرها والمتشكلة بظروف المكان والزمان، ويتداخل فيها العديد من المتغيرات بعضها يتعلق بشخصية القيادة وأهدافها والبعض الاخر له علاقة بالتابعين وشجاعتهم وتطورهم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي [3].

مفهوم الاستبداد

تعني كلمة despot الإنجليزية المستبد وهي مشتقة من الكلمة اليونانية despotēs التي تعني رب الأسرة أو سيد المنزل، ثم خرجت من ذلك النطاق الأسري إلى عالم السياسة واخذت تطلق على الحاكم الملكي المطلق الذي يتفرد بالحكم بسلطة مطلقة دون الخضوع لقانون أو قاعدة ويعد أقواله وافعاله هي القانون ويحتكر حق تعديل القوانين والغائها، ثم اكتسبت هذه الكلمة مع مرور الوقت معنىً آخر وأصبحت تُطلق على الحاكم الذي دافعه الوحيد هو القوة والمكاسب الشخصية وحكم شعبه بما يتوافق مع مصالحه الشخصية وليس المصلحة العامة [4].

ويشير الاستبداد لغة الى الانفراد بالأمر والأنفة عن طلب المشورة ورفض النصيحة، **اما الاستبداد اصطلاحا** فهو تصرف فردٍ أو جمعٍ في حقوق قومٍ بالمشيئة وبلا خوف تبعة [5].

ويعرف الاستبداد بانه تصرف الحاكم بمصير التابعين وحرياتهم وحقوقهم وفق أهوائه ونزواته، وقد عرَّفه الدكتور علي الدباغ بقوله: "هو تفرد بالرأي في شؤون

تخص الجماعة وبالتالي فهو احتكار أو اغتصاب لحق الجماعة في إبداء رأيها، وفي النهاية هو طغيان واعتداء على الآخر"[6].

وتذهب د. بان غانم أحمد الصائغ الى أن الاستبداد "هو الانفراد بشؤون المجتمع من قبل فرد أو مجموعة من الأفراد دون بقية المواطنين"[7]، ويعرف مونتسكيو (1689-1755) الاستبداد بانه الحكم الفردي المطلق الذي لا يخضع لعملية ضبط أخلاقي او رقابة دستورية او قانون او نظام ويتأسس في جوهره على اهواء الحاكم ونزوعاته الشخصية ولا يعترف بمشاركة الاخرين له في الحكم وتكون السيادة لإرادته وليس للقانون [8]، ويبنى شرعيته على أساس الخوف[9]، كما يفيد الاستبداد معنى الانفراد والطغيان والاعتداء على الحقوق واغتصابها ونفي الآخر وعدم الاعتراف به مشاركا في الحق العام [10]، ويعرف الاستبداد ايضاً بأنه اعتداد الشخص برأيه وعزوفه عن قبول النصيحة[11].

ويمثل الاستبداد حالة من حالات احتكار المعرفة وامتلاك الحقيقة والادعاء بكمال العلم بظاهر الأمور وباطنها، او هو تجسيد لحالة من إطلاق الذات ونسبية الاخر [12]، ويشير الاستبداد أيضا الى فرض الرأي والقرار والفعل على الاخرين، ومصادرة حق الآخرين في المشاركة، وإلغاء المؤسسية والتحول إلى الحكم الفردي المطلق الشمولي الذي لا يخضع لضبط أخلاقي او رقابة ويتأسس في جوهره على اهواء الحاكم، كما يشير الى استغلال فرد أو مجموعة متنفذة للسلطة وتوظيفها بطريقة غير عادلة ضد الشعب وحرمانه من العيش بحرية وكرامة دون رادع أو مانع، ويلوح الاستبداد ايضا الى الاستيلاء على السلطة وإساءة استغلالها والاستئثار بها ومنع تداولها سلميا وتوريثها[13]، وهو تصرف مطلق في شؤون الآخرين، وتعدٍ على

حقوقهم الطبيعية والمدنية، والانفراد بإدارة شؤون المجتمع عن طريق الاستحواذ والاستيلاء والسيطرة من دون وجه حق [14].

ولا يوجد في ظل الاستبداد رابطة معينة معلومة بين الحاكم والرعية مصونة بقانون نافذ ولا عبرة فيه بيمين او عهد او دين وتقوى او حق وشرف ومقتضيات المصلحة العامة [15].

ويشير الاستبداد عند السياسيين الى تصرف فرد او مجموعة أفراد في حقوق الأكثرية بالمشيئة وبلا خوف من محاسبة او مساءلة ودون خضوع لقانون أو قاعدة ودون النظر لرأي المحكومين [16].

وقد اقترن الاستبداد في تاريخ الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها بحكام يدعون انهم آلهة او انصاف آلهة او متحدثون باسم الاله او يملكون حق الاله او معينون من قبله، وانهم يمتلكون الحقيقة والاجابات لكل المشكلات.

ويكتسب الاستبداد مدلوله السيئ من صفة الانفراد في الحكم والقرارات والاستحواذ والاستيلاء والسيطرة على حق مشترك مع الغير، او من مخاصمته للحق والحرية ومن كونه اغتصابا واحتكاراً لحق مشترك مع آخرين، ومن قهر المحكومين وقمعهم وارغامهم بدلا من تمكينهم من الحصول على حقوقهم واحقاق الحق وابطال الباطل ودحر الظلم [17]، ويظهر في المفاهيم المتقدمة ان الاستبداد ينطوي على ما يأتي:

- الاستئثار والتفرد بالحكم ورفض الاستشارة والنصيحة.
- تولي السلطة بالغلبة.
- ينفي المستبد الآخر وينكر مشاركته في الحق العام.

- يضع المستبد نفسه فوق القوانين والتعليمات والشريعة ولا يخضع لأي رقابة ومساءلة ويجعل صلاحياته مطلقة [18].
- ينظم المستبد علاقته مع التابعين على الأمر والطاعة والإكراه والإذعان.

مفهوم المستبد

يعرف المستبد (Despot) بانه هو من استقل برأيه ورفض طلب المشورة والنصيحة غروراً واستعلاء، ويكون مستكفياً بذاته، ويستأثر بالسلطة ويحكم بسلطة مطلقة دون خضوع لقانون، ويصادر حريات الاخرين وحقوقهم دون وجه حق، ويتشبث بموقعه ويفعل ما يشاء بما تقضي به مصالحه ورغباته الشخصية، ويقصي المختلفين ويعاقبهم بقسوة ويرفض التعددية والاختلاف، ويستقطب المداهنين والمتزلفين والمنتفعين لمساندته ويكون منغلق على نفسه مستكفي بذاته ويحكم دون محاسبة ومساءلة ولا معقب لحكمه، ولا يؤمن برابطة معينة معلومة بينه وبين التابعين مصونة بقانون أو دين أو تقوى أو حق أو شرف أو عدالة الأمة[19].

ولا يرى المستبد في آراء الاخرين وافكارهم وجها من وجوه الحقيقة او معنى من معاني الصواب، ويتعامل معهم على انهم قاصرون يحتاجون الى وصي او عائل او ولي امر يقرر لهم ويتصرف في شؤونهم تصرف الوصي في شأن المحجور عليه عقلا او القاصر سنا [20]، ويتجلى في آيات القرآن الكريم ان فرعون عندما استبد بقومه خاطبهم مدعيا انه هو الذي يهدي الى سبيل الرشاد "قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ"[21].

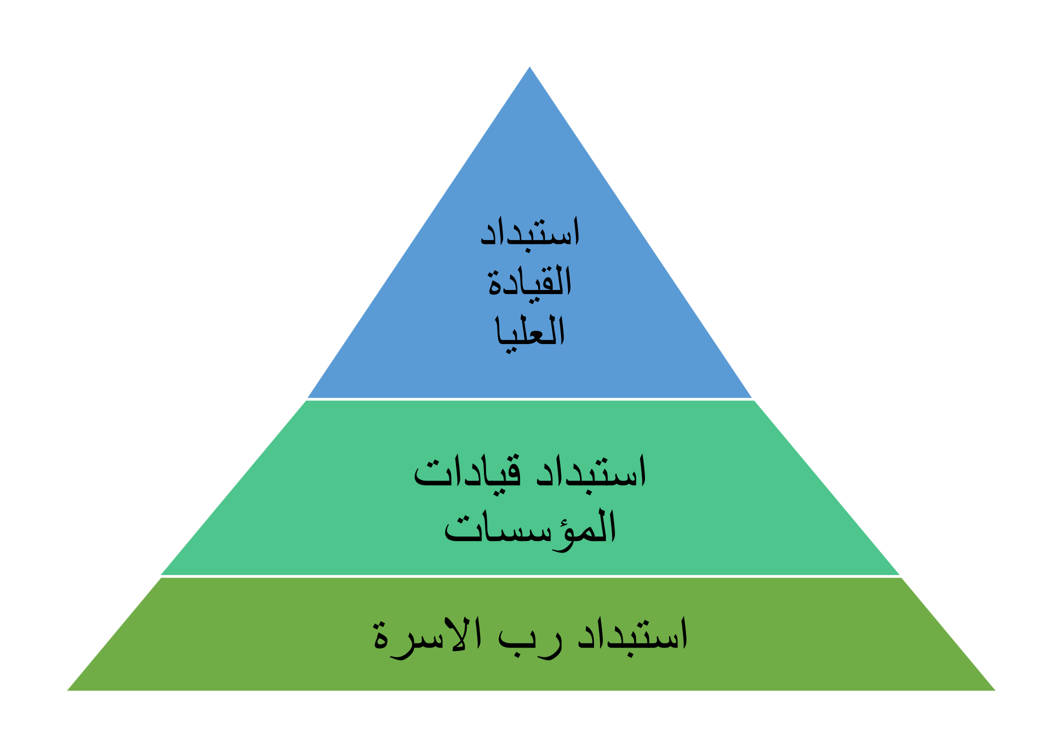
وتقطع الحقائق ان الحكام الذين يتلبسون بصفة الاستبداد لا يستطيعون الفكاك منه بل على العكس من ذلك يمعنون فيه كلما طال زمنهم في الحكم ويتوسعون في اعتمادهم على أجهزة امنية ومخابراتية لحماية انفسهم وانظمتهم تجعلهم يعتقدون بانه ليس من خوف عليهم وعلى حكمهم وانهم هم الأقوى وخططهم وقراراتهم وسلوكاتهم هي الافضل وفي ذات الحين تجعلهم على بينة بجميع أنشطة التابعين إضافة الى نشر الخوف والرعب والترويع بين صفوفهم ويجعلونهم يرتعدون عندما يشعرون بان تلك الاجهزة ستداهمهم او تستدعيهم للتحقيق معهم لتوقّعهم بان مصيرهم سوف يكون اما الى السجن حيث ابشع أنواع التعذيب المهين الاليم او الموت.

الفرق بين الاستبداد والطغيان

استُخدم الاستبداد despotism والطغيان tyranny في معظم الكتب السياسية كمفهومين مترادفين للإشارة إلى أنظمة الحكم التي تسرف في استخدام القوة في إدارة التابعين [22]، ولكن الامر ليس كذلك فالاستبداد يشير الى التفرد بالسلطة اما الطغيان فيقوم على اغتصاب السلطة بالقوة والبغي والظلم والفساد بما يجاوز الحدود المسموح بها ويستبيح الطاغية الجميع ويستحل الثروات والمؤسسات والقانون ويصبح هو البلد والبلد هو وما على الافراد الا الخضوع له ولا يترك لهم شأنا خاصا، وبذلك يكون الطغيان اعلى درجات الاستبداد واشدها بطشا وفجاجة وان الطاغية أشد بطشا وجبروتا من المستبد [23].

مستويات منظومة الاستبداد

لا تنحصر ممارسة الاستبداد عند المستوى الأول للسلطة في البلد، وانما هي موجودة أيضا في المستويات الأخرى التي تلي ذلك المستوى كمؤسسات المجتمع المدني الاقتصادية والسياسية والثقافية والاسرة، ولذلك فان مقاصد مواجهته لا تتحقق الا بمواجهته في جميع مستوياته بسبب تفاعل مستوياته مع بعضها البعض في عملية تأثير متبادلة.



مستويات منظومة الاستبداد

مجالات الاستبداد

يكمن في داخل كل شخص مشروع استبداد "إذا لم يهذبه" فهو ممكن في جميع الأشخاص وفي جميع الأقطار ولا يقتصر على قطاع محدد بل في جميع المنظمات والاتحادات والنقابات والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والثقافية وضمن الاسرة، وفيما يأتي مجالات الاستبداد [24]:

- **السياسة:** يكون الاستبداد السياسي عندما ينفرد شخص أو مجموعة أشخاص بإدارة شؤون البلد ومصادرة حريات الاخرين وحقوقهم، وقد قدمت الإنسانية تضحيات باهظة منذ القدم للقضاء عليه وقد افلحت بعض الأقطار في التخلص منه بينما اخفقت الاخرى اخفاقا واضحا في الخلاص منه.

- **الدين:** يُمارَس الاستبداد باسم الدين، وفيه يتصرف المستبد بشؤون الافراد باسم الدين ويضفي على نفسه القداسة، ويظهر في القران الكريم ان فرعون ادعى الالوهية واخضع الجميع له، وعدّ الاعتراض عليه او مناقشته او مناصحته كفرا، ويتجلى ذلك في قوله الله تعالى انه قال لقومه "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ" [25].

- **الاقتصاد:** يحدث الاستبداد الاقتصادي عند هيمنة شخص او مجموعة اشخاص على الموارد المالية والسلع والخدمات.

- **الإدارة:** يظهر الاستبداد الإداري واضحا عندما تهدد الإدارة العاملين بالعقوبات لإرغامهم على تنفيذ اعمال ليس من صلب مهامهم، كما يحصل

عندما يتوعد العاملون في المنظمات المواطن بعدم إنجاز معاملته او تأخير إنجازها او يفرضون عليه دفع رشى لهم.

- **الثقافة:** يمارِس الاستبداد الثقافي مدّعوُ الثقافة والعلم عندما يفرضون قناعاتهم وتفسيراتهم على الاخرين.
- **المجتمع:** يظهر الاستبداد الاجتماعي في العلاقات الاسرية عندما يفرض رب الاسرة او أحد افرادها آراءه وافكاره واهتماماته على اهل بيته.

استقواء الاستبداد

يستقوي الاستبداد عند توفر العوامل الاتية [25]:

- مستبد لديه رغبة عارمة في الاستبداد والتمسك بالسلطة والاستخفاف بالجميع ولا يقيم لهم وزنا ويجعلهم شيعاً وفي فقر وجهل وتخلف ويفرض عقوبات قاسية على المختلفين عنه، وقد استبد فرعون بقومه كما يتبين في قوله تعالى "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ"[26]، وقوله تعالى "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا"[27]، وقوله تعالى "قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ"[28].
- اتباع خانعون اذلاء يستمرئون الاستبداد ويرضون بان يُستبَدّ بهم ويوقنون بأنهم غير قادرين على مناهضته رغم كثرتهم وحيازتهم للامكانات المطلوبة، ولذلك لا يناهضونه ولا يعدّون العدة للخلاص منه.
- جهات (اجنبية ومحلية) توفر للمستبد الدعم المطلوب (المالي والمعنوي).

- معارضة ضعيفة ومخترقة وتعيش انقسامات داخلية ومكوناتها غير قادرة على توحد صفوفها والتوافق والتنسيق فيما بين على وفق رؤى مشتركةٍ تضع انقساماتها وخلافاتها ومصالحها الفئوية جانبا وتوظف إمكاناتها في القضاء على الاستبداد او تعمل في اقل تقدير على وفق ما قاله الحكيم الصيني صن تسو "إذا لم تكن قادرا على هزيمة عدوك، يكون عليك منعه من هزيمتك".

مناهضة الاستبداد

ينطوي الاستبداد على وصاية مخلوق على مخلوق وعلو بشر على بشر، او تصرف فرد بمجموع يسلبهم بالقوة انسانيتهم وحرياتهم وحقوقهم ويعطل طاقاتهم ويعمق فيهم الفقر والجهل والتخلف على جميع الأصعدة، ولذلك يواجه مناهضة من قبل الافراد في مشارق الأرض ومغاربها منذ القدم رغم جسامة اكلاف مناهضته ماديا ومعنويا.

وتقطع الحقائق ان الإنسانية شهدت احتجاجات وثورات عديدة ضد الاستبداد بعضها وظفت الأساليب السلمية والبعض الاخر كانت عنيفة او مسلحة وقد أفلحت في بعض الدول في القضاء عليه وجعلت تأثيراته تنحسر او تتلاشى وجعلت الافراد يتمتعون بمساحة واسعة من حرية التعبير عن آرائهم والحصول على حقوقهم وتحقيق أهدافهم.

ولكن ومن اسف شديد لم تفلح نضالات الافراد ضد الاستبداد في القضاء عليه في دول أخرى ولا سيما المتنامية، اذ لا زال الافراد فيها يجاهدون في طريق الخلاص منه ومع ذلك فهو لا زال فيها ظاهرا للعيان لا تخطئُه العين المجردة رغم المحاولات التي جرت هنا وهناك للقضاء عليه؛ ويرجع السبب المباشر لذلك هو ان

المستبدين يفرضون قبضة من حديد على الجميع ويبطشون بالمختلف دون رحمة، وان النخب المناهضة للاستبداد في تلك الدول لم تستوعب بشكل وافٍ الشروط الذاتية والموضوعية التي تجعلها تعي ذاتها بشكل جيد كتنظيمات تطرح نفسها كبديل للمستبدين يحمل مشروعا مجتمعيا يسعى إلى إحداث تغييرات جذرية، ولم ترقَ الى ان تكون خصما ندّيا قويا للمستبدين وجديرة بثقة الشعوب في الدفاع عن الحقوق المهضومة، وهذا ما جعل الحكام المستبدين في تلك الدول مستمرون في الاستفراد بالحكم ويوظفونه لخدمة مصالحهم الخاصة وينظرون الى انفسهم بانهم فوق القانون بل هم القانون نفسه، ويغيرون القوانين والتعليمات تبعا لمصالحهم ويصادرون الحريات والحقوق وينهبون الثروات ويحكمون دون محاسبة ومساءلة [29].

وحري بالذكر أنّ بعضا من الذين ناهضوا الاستبداد ولا سيما في اسيا وافريقيا وامريكا الوسطى وامريكا الجنوبية وقاسوا بسبب مناهضتهم له حصارا وتضييقا وسجونا ومنافي وتصفيات انزلقوا إلى مداهنة المستبد أو التماهي معه خوفا او طمعا، او اصبحوا بعدما اطاحوا به اشد استبدادا منه في اقصاء المختلفين ومصادرة الحريات والحقوق وتقويض الديمقراطية ونهب الثروات دون وخز في المشاعر أو تأنيب في الضمير، ويدرك هذه الحقيقة بوضوح لا لبس فيه من يطلع على مآلات قيادات المعارضة في البلدان المتنامية التي اشتهرت بنضالها ضد الاستبداد.

متطلبات مناهضة الاستبداد

لا بد ان يعي الجميع بصورة واضحة لا لبس فيها ان مناهضة الاستبداد ليست نزهة وانما هي عملية معقدة وغير مضمونة النتائج في جميع الأحوال وتتطلب معارضة شجاعة وموحدة كالبنيان المرصوص وغير مخترقة من القيادة المستبدة واجهزتها

وتسعى لتحقيق اهداف نبيلة تسهم في تمكين الافراد من الفوز بحرياتهم وحقوقهم والتطور في جميع القطاعات، ولا تهاب الصعاب في سبيل التحرر من الاستبداد، وعلى استعداد لتقديم تضحيات على كبيرة ودفع اكلاف باهظة (مادية ومعنوية)، وتناهض الاستبداد على وفق خطة معدة باتقان في ضوء دراسة المتغيرات الاتية: مدى تمسك المستبد بالسلطة ومقدار دعم الجهات (الأجنبية والمحلية) له وطبيعة الأجهزة والتقنيات التي يوظفها في بسط سيطرته على الافراد، ومدى الدعم (المادي والمعنوي) الذي يمكن ان تقدمه الجماهير لها، ويقول الله تعالى "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِم "(29).

وتقطع الحقائق ان العديد من المعارضات عبر تاريخ الإنسانية أخفقت تماما عندما انتفضت على المستبدين والحقت بنفسها اضرارا فادحة وأضافت اخفاقاتها قوة للمستبد بسبب عدم تمكنها من الفوز بدعم الجماهير لها في سعيها للإطاحة به رغم وضوح أهدافها ونزاهتها وتوحيدها لصفوفها.

دور الجماهير في دعم المعارضة

يتجلى من الأمثلة الاتية ان المعارضة التي تدعمها الجماهير تتمكن من الاطاحة بالانظمة المستبدة وتحقق الأهداف التي تسعى اليها بينما تخفق المعارضة التي لا تلقى دعما من الجماهير:

- انتصرت الثورة الفرنسية على النظام الملكي المستبد بسبب تأييد الجماهير العارم لها حالما انطلقت، فكان من أبرز نتائجها إعلان الجمهورية الأولى في فرنسا في 21 أيلول/سبتمبر من عام 1792 وجعلت السيادة للشعب وليست للملك وضمنت الحريات العامة وفصلت بين السلطات، والغت الامتيازات الإقطاعية ونظام الطبقات التي كان المجتمع الفرنسي يتشكل منها (طبقات النبلاء، ورجال الدين، والعمال أو عامة الشعب)، اذ كان النبلاء ورجال الدين وهم قلة قليلة يحتكرون المال والجاه وكل الامتيازات، بينما كانت الطبقة الثالثة التي تشكل غالبية المجتمع مهمشة وتعيش في فقر وحرمان.
- انطلقت حركة التضامن (نقابة عمالية في بولونيا أسسها ليخ فاونسا وآخرون)، في 14 آب/أغسطس 1980 بعدما تفاقمت الأزمات الاقتصادية والسياسية في البلاد، وانتشر الفقر والتخلف وانخفضت الروح المعنوية للجماهير، وقد انتشرت انتشارا واسع النطاق في البلاد رغم الأحكام العرفية والقمع السياسي وتمكنت بسبب دعم الجماهير الواسع لها من تحقيق أهدافها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحولت بولونيا إلى دولة ديمقراطية.
- ارتفعت أسعار الخبز في جميع محافظات الأردن في عام 1996 ولم تنتفض ضد ذلك الامر الا محافظة معان في جنوب الأردن حيث شهدت مظاهرات احتجاج الا ان تلك المظاهرات أخفقت في تحقيق أهدافها لانها لم تحض بدعم الجماهير فقمعتها الحكومة بقسوة.

الفصل الثاني

صناعة القيادة المستبدة

مفهوم القيادة المستبدة

خصائص القيادة المستبدة

الجهات المساهمة في صناعة القيادة المستبدة

أولا: المستبد

ثانيا: التابعون

ثالثا: جهات داعمة للاستبداد

الفصل الثاني

صناعة القيادة المستبدة

تظهر القيادة المستبدة نتاج مجموعة مركبة من القوى والبواعث المختلفة والأسباب والشروط والظروف الداخلية والخارجية (الذاتية والموضوعية) المتفاوتة في تأثيراتها والمتشكلة بظروف المكان والزمان، ولا بد من القول ان صناعة القيادة المستبدة صناعة تسهم فيها منظومة متكاملة من الجهات الداخلية والاجنبية [1].

واللافت ان الدول المتنامية تتميز بقدرتها على انتاج قيادات مستبدة على جميع المستويات ابتداء من الاسرة مرورا بالمؤسسات (الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والثقافية والعلمية...) وصولا الى قيادة الدولة.

مفهوم القيادة المستبدة

يشير مفهوم القيادة المستبدة الى القيادة التي تتولى السلطة بطرق غير شرعية (الغلبة او عبر الانقلابات أو التزوير او بالوراثة وغيرها من الوسائل غير المشروعة) ولا تستمد سلطتها من ارادة الرعية وتحتكر السلطة وتتمتع بصلاحيات مطلقة وتحكم برأيها وهواها دون مشورة ولا تتقيد بقانون ولا تؤمن بالتداول السلمي للسلطة، ولذلك فهي تمثل معضلة جذورها ضاربة في ثنايا العقول والأفكار ودخائل النفوس منذ القدم.

خصائص القيادة المستبدة

تتميز القيادة المستبدة بعدة سمات أبرزها [2]:

- تتولى السلطة بطرائق غير شرعية (التغلب والقوة والتزوير والانقلابات والوراثة).
- لا تخضع لقانون أو شريعة وتحكم على وفق هواها ومصالحها.
- تتفرد بالحكم وترفض الشورى وقبول النصيحة.
- تصادر حريات الافراد وحقوقهم.
- تقصي المختلفين وتفرض عليهم عقوبات قاسية.
- تستأثر بالموارد وتبددها على رغباتها.

الجهات المساهمة في صناعة القيادة المستبدة

لا شكّ أنّ صناعة القيادة المستبدة أمر ليس سهلاً كما يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى، فهي عملية مركّبة مثلها مثل أيّ صناعة أخرى لها مدخلات وعمليات ومخرجات وتتشابك فيها العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

وتقطع الوقائع ان صناعة القيادة المستبدة هي صناعة متقنة بكل جوانبها ولا زالت تلاقي رواجا في البلدان المتخلفة حيث الفقر والجهل والفساد المالي والإداري والأخلاقي وركام هائل من الأفكار والممارسات التي تضيق ذرعا بالانعتاق والحرية والتعددية والاختلاف وازدراء العلم والعلماء والتطور وكل ما يحقق نقله نوعية في

حياة الافراد نحو الأفضل، ويقول مالك بن نبي رحمه الله: "عندما تغيب الفكرة يبزغ الصنم"، ويقول الشيخ البشير الابراهيمي: "محالٌ أن يتحرر بدنٌ يحمل عقلَ عبد"[3]، بينما عفى الزمن عن صناعة القيادة المستبدة واضحت غير مرغوب بها في البلدان المتطورة التي تعتمد الديمقراطية وقبول الاختلاف والتعددية وتحترم حرية الافراد وحقوقهم وتوفر لهم فرصا واسعة للعمل للعيش بكرامة [4]، وفيما يأتي الجهات التي تسهم في صناعة القيادة المستبدة:

أولا: المستبد

ثانيا: التابعون

ثالثا: جهات داعمة للاستبداد

أولا: المستبد

هو شخص ترعرع وسط بيئة فيها اضطهادات وقهر وانكسار واستعباد وعوز وحرمان وجهل ومذمومات الاخلاق وعنف وتخلف شديد في جميع القطاعات، ولا سيما الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فتتملكه رغبة لا حدود لها في الوصول الى السلطة بمختلف الأساليب وبسط سطوته على الاخرين واذلالهم ومصادرة حرياتهم وحقوقهم ونهب ثرواتهم وقهر إرادتهم وارغامهم على تلبية اغراضه وشهواته كتعويض للاضطهادات التي نالت منه طيلة حياته، ويتميز برغبة لا حدود لها في الاستئثار بالسلطة والرأي وجعل الاخرين فرقا وشيعا متناحرة، ويؤمن بان اراءه هي الأفضل وانه يقود التابعين الى الرشاد، كما يتجلى هذا في قوله تعالى "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ"[5]، وقوله تعالى "قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ" [6].

ولا بد من التأكيد بان المستبد لا يجرؤ على الاستبداد ومصادرة حريات التابعين وحقوقهم الا بعد ان تتوفر لديه معلومات واضحة عن التابعين تجعله على دراية تامة بطبيعتهم من حيث مديات تخاذلهم وجهلهم وفسادهم وانتشار مذمومات الاخلاق في صفوفهم (الكذب والسرقة والنفاق وتدني الفضيلة وهشاشة الثقة او انعدامها وثقافة العبودية والتبعية والشعور بالدونية) [7]، ويضطلع المستبد بما يأتي من اجل بلوغ غاياته:

- ❖ التشبث بزمام السلطة التي يصل اليها إثر انقلابات عسكرية ومؤامرات او بالوراثة ولا يتخلى عنها مطلقا.
- ❖ افقار التابعين وتجهيلهم وتسطيح أفكارهم وأحلامهم وطموحاتهم وأهدافهم وتجريدهم من كرامتهم الإنسانية واستبدال قيمهم الأساسية في الحرية والفضيلة والشجاعة بمنظومة قيم العبيد والجهلة والفاسدين.
- ❖ مطاردة النخب والقيادات الثورية الحقيقية ومحاصرتها وقمعها وتصفيتها.
- ❖ الخضوع لإملاءات الجهات التي أتت به الى السلطة والداعمة لاستمراره في موقعه وحماية مصالحها.

ثانيا: التابعون

يمثل التابعون الطرف الثاني في منظومة الاستبداد، اذ ليس بإمكان المستبد ان يستبد ويستمر في استبداده دون مستبَدٍّ به يتنازله عن كرامته ومكانته وحريته وحقوقه خوفا او طمعا او تترسخ فيه ثقافة الإرادة العميقة في العبودية التي يرثها من اسلافه الذين اطاعوا المستبد طاعة عمياء وزينوا له قبيح افعاله وفجروا لديه رغبة

الاستبداد ويوفرا له فرصا ذهبية للاستمرار في السلطة وينفذوا جميع اوامره ورغباته بما فيها تلك التي تنتهك حرياتهم وحقوقهم، فضلا عن ذلك يكيلون المديح له ولعائلته ونسله وتاريخه وخططه وقراراته وسلوكاته حتى يخيل له بأنه الحصن الأوحد والمتفرد الذي لا يتعدد، والكل الذي لا شيء بعده، والأفق الذي لا مستقبل دونه على الرغم من فشله المتراكم في كافة المجالات، وبذلك يتحول الاستبداد من رغبة شخصية (رغبة المستبد) إلى رغبة عامة، فينتهز المستبد هذا التحول ويشجع على تطوره لحاجته اليه.

وتدور جدلية صناعة الاستبداد والرضوخ للمستبد على وفق ما تقدم ما بين الفعل وقابلية الانفعال أي ما بين الظلم وقابلية الانظلام أي قبول الظلم والتعايش معه قسرا او طمعا او اقتفاء لآثار السلف [8]، كما جاء في قوله تعالى "بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ"[9].

ويظهر في آيات القرآن الكريم التي تناولت قصة فرعون بوضوح ان اتباع فرعون قد اسهموا في صناعته ووفروا له الفرصة للسيطرة عليهم ومصادرة حُرياتهم وحقوقهم وترسيخ ثقافة العبودية فيهم، ويظهر ذلك في قوله تعالى: "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" [10]، ويتجلى في هذه الاية الكريمة ان استخفاف فرعون لقومه لم يكن عفويا أو وليد تلك اللحظات مع موسى عليه السلام، وإنما كان عن دراية تامة بتخاذلهم وانشغالهم بسفاسف الأمور تبلورت لديه بعد سنوات عديدة من حكمه لهم، وقد أشار الى هذه الحقيقة ايضا أريك فروم في كتابه "الهروب من الحرية" حيث ذكر أن نزعتيّ "السيطرة السادية" و"الخضوع المازوخية" موجودة لدى البشر جميعاً أسوياء ومنحرفين، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة.

ويكشف تفسير سلوك طرفي ظاهرة الاستبداد (المستبِد والمستبَدّ به) ان المستبِد تتملكه رغبة عارمة في السيطرة على الاخرين ولكن ليس بوسعه السيطرة عليهم مهما امتلك من قوة وإمكانات عندما يكونون شجعانا وغير مستعدين للتضحية بحريتهم وحقوقهم وغير مجبولين على الطاعة المفرطة والخنوع بدءا من الأسرة مرورا بجميع المنظمات، ولا يشعرون بالدونية في حضور الأقوى ولا ينفذون أوامره ولا يمكنونه من بلوغ رغباته وكأنها رغباتهم ولا يتماهون معه بدون بحث او مناقشة او اعتراض.

وتقطع الحقائق ان الأتباع ولا سيما نخبهم الكسيحة هم الذين يصنعون القيادة المستبدة بصورة مباشرة وغير مباشرة ويروجون لها ويتماهون مع أفكارها وقراراتها التعسفية او يصمتون عن تعسفها وبطشها سواء بانفاذ تعليماتها وتلبية رغباتها أو بالتزلف لها ومداهنتها أو بالصمت عن ظلمها واستبدادها وقبيح افعالها وسلوكاتها بدلا من مراقبتها وانتقاد اخطائها وانحرافاتها ومحاسبتها ومساءلتها، وليت الامر يقف عند صمتهم عن استبدادها وانما يصل بهم الامر الى اخطر من ذلك عندما يتعاطفون معها ويدافعون عنها، على وفق متلازمة ستوكهولم التي تشير الى تعاطف الفرد أو تعاونه مع عدوه أو من أساء إليه أو يظهر بعض علامات الولاء له (متلازمة ستوكهولم نسبة إلى حادثة حدثت في ستوكهولم في السويد، حيث سطت مجموعة من اللصوص على بنك كريديتبانكين Kreditbanken العام 1973، واتخذوا بعضاً من موظفي البنك رهائن لمدة ستة أيام، خلال تلك الفترة بدأ الرهائن يتعاطفون مع الجناة ودافعوا عنهم بعد إطلاق سراحهم)، ويمكن رصد هذه الحالة في واقع الدول المتنامية بوضوح حيث يدافع التابعون عن القيادات المستبدة ويتحسرون عليها بعد سقوطها، وقد لا يعاتب او يُلام الذين استفادوا من تلك القيادات معنويا وماديا،

ولكن يُلام الذين ينسون جرائمها والظلم الذي وقع عليهم منها ويتباكون عليها ويتعاطفون معها بعد زوالها [11].

ويؤكد المفكر الفرنسي لابويسيه بان التابعين هم الذين يصنعون القيادة المستبدة فيخاطبهم قائلا: "كل هذا الخراب وهذا البؤس وهذا الدمار يأتيكم لا على يد أعدائكم بل يأتيكم على يد العدو الذي صنعتم أنتم، والذي تمشون إلى الحرب بلا وجل من أجله، ولا تنفرون من مواجهة الموت بأشخاصكم في سبيل مجده، هذا العدو الذي يسودكم إلى هذا المدى ليس له إلا عينان ويدان وجسد واحد ولا يملك شيئاً فوق ما يملكه أقلكم على كثرتكم التي لا يحصرها العد إلا ما أسبغتموه عليه من القدرة على تدميركم، فأنى له بالعيون التي يتلصص بها عليكم إن لم تقرضوه إياها؟ وكيف له بالأكف التي بها يصفعكم إن لم يستمدها منكم؟ وأنى له بالأقدام التي يدوسكم بها إن لم تكن من أقدامكم؟ وكيف يقوى عليكم إن لم يقوَ بكم؟ وكيف يجرؤ على مهاجمتكم لولا تواطؤكم معه؟ أي قدرة له عليكم إن لم تكونوا حماة للص الذي ينهبكم وشركاء للقاتل الذي يصرعكم؟ تأكدوا انتم خونة لأنفسكم!" [12].

دور التابعين في صناعة الاستبداد

شكا بعض الرعايا إلى المُستعين بن هود (أحد حكام ملوك الطوائف في الأندلس) من بعض عماله (ولاته)، فناب الشاعر عنه في الجواب:

لَا تنسبوا الْجور إِلَيْهِم فَمَا ::: عُمالكم إِلَّا بأعمالكم

تالله لَو ملكتم سَاعَة ::: لم يخْطر الْعدْل على بالكم

المصدر: إحسان الفقيه كاتبة أردنية تركية، الاستبداد بين الراعي والرعية الاستبداد بين الراعي والرعية - الخليج الجديد (thenewkhalij.news)

ويقدم عالم الاجتماع البولندي الأصل زيغمونت باومان في كتابه "الحداثة والهولوكوست" رأيا مختلفا عن الرواية التي كانت سائدة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي ذهبت الى أن هتلر هو المسؤول بشكل كامل عن المحرقة النازية التي راح ضحيتها ملايين البشر، ويرى انها ليست صنيعته وحده ولا يمكن أن يتحمل وحده المسؤولية كاملة عنها، اذ لا يمكن لرجل واحد مهما أوتي من ملكات أو مهما أصابه من جنون أن يرتكب كل هذه الجرائم حتى وإن أصدر أمرًا كتابيًّا أو شفهيًّا لجيشه وأفراد شرطته وقواته الخاصة وغيرهم بتنفيذها، ولذلك يُتهم المجتمع الألماني بالتواطؤ مع هتلر على ارتكاب تلك المحرقة التي ما كانت لتحدث وتكتمل دون قبول المجتمع الألماني او سكوته وخاصة نخبه من أهل العلم والثقافة وأهل التشريع والتأويل وأهل الصحافة والإعلام والفلاسفة وهيئة كبار العلماء والمؤسسات الثقافية والعلمية والإعلامية والبيروقراطية التي ساندته، ورجال الدين الرسميين وغيرهم ممن أضفوا على هذه الجريمة صبغة شرعية، والجامعات التي التزمت الصمت إزاءها والمثقفين الذين تعاونوا مع أجهزة الأمن، واساتذة الفلسفة والأدب الذين أحيوا فلسفة "الكائن المستباح"، ذلك الكائن الذي كان الرومان يقتلونه بلا دية وبلا تأنيب للضمير لا لشيء سوى أنه يخالف السلطة الإلهية للدولة في نظرهم، فكل المجتمع الألماني تواطأ مع هتلر في تلك الجريمة بصورة مباشرة وغير مباشرة، ولذا لا يمكننا بعد اليوم أن نلومه وحده على ما حدث ونبرئ أولئك الذي ساندوه بصورة مباشرة وغير مباشرة(13).

ويتجلى مما تقدم دون لف او مواربة ان التابعين يتحملون وزر صناعة القيادة المستبدة وتقويتها واستمرارها في موقعها سواء عبر انخراطهم في مؤسسات حكمها او مداهنتها والتزلف لها او السكوت عن استبدادها او التستر عليه، وقبول العيش في

عالم خارج عن ارادتهم ومضاد لهم صنعه المستبد الذي يقرر مستقبلهم ويستهلك قدراتهم وامكاناتهم لصالحه وغاية غاياتهم التكيف معه بدلا من مجابهته والاطاحة به، ويسلط الاتي الأضواء على اهم سمات التابعين الذين يصنعون القيادة المستبدة:

- تنقصهم الشجاعة المطلوبة لمواجهة المستبد وايقافه ومطالبته بحرياتهم وحقوقهم وقول الحق ومناصرة اهله، بل يبالغون في احترامه وتبجيله والخوف منه لذلّتهم خلفا من بعدهم خلف، ومستعدون للرضوخ للظلم والهوان والفساد والتنازل عن مبادئهم وحرياتهم وحقوقهم وتكبيل انفسهم بأيديهم وقهر انفسهم بأنفسهم، فضلا عن كل ذلك يدْعُون للسلطة المستبدة ويهللون لسطوتها ويحمدونها على ابقائهم على حياتهم رغم انها تغتصب حرياتهم وحقوقهم وتهينهم وتذلهم وتعذبهم، ويثنون على رفعة اخلاقها ويعدونها رحيمة بهم لعدم اقدامها على قتلهم، وبمرور الوقت يزدادون إيغالاً في الخضوع لها طوعا، فبمجرد ان تدعوهم الى اتّباعها يهرعون لها ويتنازلون عن حرياتهم وحقوقهم من غير دليل ولا برهان مخالفين الأدلة والحجج التي ترفض الاستبداد ومصادرة الحريات والحقوق، ويؤكد ذلك قوله تعالى "قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ" (14).

تخاذل التابعين امام القيادة المستبدة

يعد الحاكم الروماني "جاليكولا" أشهر الطغاة الرومان وأغربهم، فقد كان أكثر من مجرد طاغية، كان نموذجا للشر وجنون العظمة، وما زاد من جنونه وبطشه خوف اتباعه منه، فقد كانوا يهرعون لتلبية رغباته مهما كانت غريبة وصعبة ولا يعترضون عليها مهما فعل بهم، رغم أنه كان بامكانهم أن يجتمعوا ويقضوا عليه، وفيما يأتي قبس من ممارساته المنافية للعقل والمنطق التي استجاب لها اتباعه، فقد تقمص دور الإله في الأرض، ووصل جنونه إلى أنه طلب من أعوانه أن يحضروا له القمر، وعين حصانه بمجلس الشيوخ، كما صنع مجاعة في البلد، وتظاهر ذات يوم بأنه سيموت ورغم انه كان طاغية مستبدا الا ان اتباعه بادروا بالدعاء له بالشفاء، بل منهم من بالغ في ذلك وطلب أن يأخذ الإله روحه بدلا من جاليكولا، وآخر وعد أن يعطي مائة قطعة ذهبية إن شفي، وفجأة خرج عليهم يبشرهم أنه لم يمت، وفرض على كل من قطع وعدا ان يفي بوعده، فقتل الشخص الأول، وأخذ مائة قطعة ذهبية من الثاني.

وذات يوم دخل ذلك الطاغية إلى مجلس الشيوخ ممتطيا صهوة جواده، ولما أبدى أحد الأعضاء اعتراضه، أجابه "لا أدري لمَ يبدي العضو المحترم اعتراضه على دخول جوادي المحترم الى مجلس الشيوخ على الرغم من أن جوادي أكثر أهمية من العضو، فيكفي أنه يحملني"، وطبعا كعادة الحاشية هتفوا له وأيدوه، وكرد على العضو المعترض أصدر قرارا بتعيين جواده عضوا في مجلس الشيوخ، وأقام احتفالا بتعيين جواده في ذلك الموقع والزم جميع اعضاء المجلس أن يحضروا ذلك الاحتفال بملابسهم الرسمية وطبعا هلل أعضاء المجلس لتلك القرارات، ولم يقف الامر عند ذلك فقد امر ان تكون المأدبة في ذلك الحفل تقتصر على التبن والشعير! فلما دُهش الحضور قال لهم إنه شرف عظيم لكم أن تأكلوا مما يأكله حصاني، فأذعنوا جميعا لرغبة ذلك الطاغية وأكلوا التبن والشعير في ذلك الحفل! إلا واحدا كان يدعى "براكوس" رفض ذلك، فغضب جاليكولا عليه وقال له: من أنت لترفض أن تأكل ما يأكله جوادي؟ وأصدر قرارا بتنحيته من منصبه، وتعيين حصانه بدلا منه، وبالطبع هلل الحاضرون بفم مليء بالقش والتبن وأعلنوا تأييدهم لذلك القرار المجنون.

المصدر: د. جوزيف زيتون،

https://www.facebook.com/share/p/hBNxYYaK5FS1gaqf/?mibextid=xfxF2i

- مهيؤون نفسيا لقبول الاستبداد والتعايش معه وينقصهم شعور الاعتداد بالنفس والرغبة في الحرية والاستقلال فلا تطمئن نفوسهم وعقولهم إلا "لكاريزما" يعلقون عليه آمالهم وطموحاتهم ويضعون مصيرهم بيده معتقدين انه الملاذ من عبء الحرية والمسؤولية، فتَشْرَئِبُّ له الأعناق وتنقاد له بكل وفاق لانهم يبحثون دائما عن ذات أخرى أقوى منهم ينضوون تحتها فاذا عز وجودها فانهم يصنعونها ويتعلقون بشخصها وافكارها ومناهجها وبرامجها ويتزلفون لها ويتماهون معها في جميع الأمور ويبالغون في مدحها وتمجيدها ويجملون مساوئها واخطاءها وخطاياها وانحرافاتها ويوفرون لها الفرصة والقدرة على ان تكبلهم وتتسلط عليهم وتجعلهم ينفذون جميع اوامرها بما فيها الذهاب الى الحرب من اجلها رغم علمهم بانها لا تملك من الحواس اكثر مما يملكه اقلهم، وتتشكل هذه الحالة بوضوح لا غبار عليه في سلوكات الشعوب المتخلفة التي ينتشر فيها التخاذل والجهل عبر تجاربها التاريخية وتحولاتها الاجتماعية والسياسية ونوعية الموروث الثقافي الحاكم على نظم التفكير لديها، والعادات السلوكية التي طبعت فيها نزعة "الإعتمادية" و"الاتكالية" و"القدرية" و"التبريرية"، واستعداؤها للفكر والمنطق كنوع من الإقناع الذاتي للنفس للرضى بالواقع الرديء، وتبرير منطق الخنوع والتهرب من مسؤولية الإصلاح والتغيير والانكفاء على الذات وعجز الإرادة وإصابتها بالوهن النفسي وجعلها تغتال كل شجاع ذو عقل مستنير ورأي ناقد يحفز لدى الاخرين الوعي والإرادة الخلاقة المتوثبة والتوّاقَةِ للإنعتاق والإنبثاق وقبول الاختلاف والتعددية والشفافية والتداول السلمي للسلطة ومراقبة القيادة ومحاسبتها او نقدها او الاعتراض على خططها وقراراتها

وسلوكاتها غير المنسجمة مع الأهداف التي انتخبت من اجلها او الاطاحة بها[15]، ويقول تشيسلاف ميلوش في روايته "الاستيلاء على السلطة": "إن الإنسان عندما يُسلم إلى قوة قاهرة فإنه يصل إلى درجة الإعجاب بما يكره، رغم انه لا يرغب بالاعتراف بذلك حتى أمام نفسه"[16].

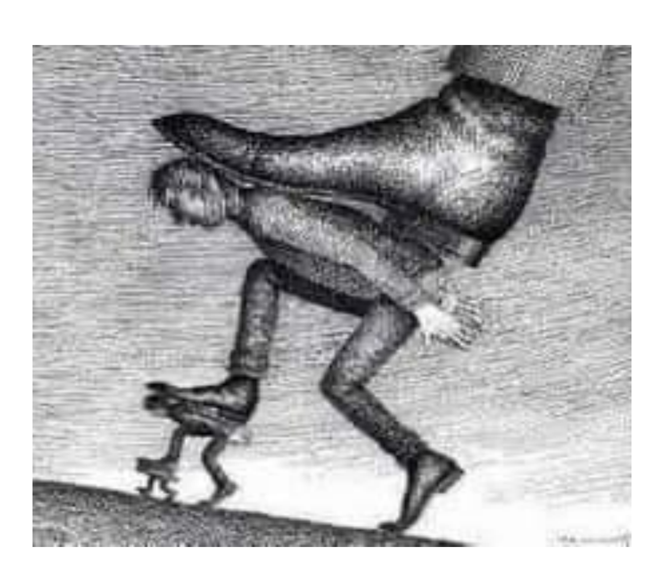
التابعون يطالبون الطاغية بالاستمرار في الحكم

استغرب الغربيون وعبروا عن اندهاش واضح عندما طالب المصريون الطاغية جمال عبد الناصر بالاستمرار بالحكم مرتين الأولى عندما تنحى من الحكم اعقاب هزيمته في حرب مصر مع إسرائيل حزيران 1967 والتي الحقت بمصر وجميع الدول العربية خسائر مادية ومعنوية هائلة بجميع المقاييس وجعل إسرائيل تحتل أجزاء من مصر والأردن وسوريا ولبنان، والمرة الثانية عند وفاته في أيلول 1970 اذ عندما عبروا عن شديد حزنهم وكانوا يهتفون "تسيبنا لمين" ولم يكونوا قادرين على تصور انفسهم من دون قيادته رغم انه كان يحتقرهم ويصادر حرياتهم وحقوقهم وجعلهم في فقر مدقع وجهل مطبق وتنهش بهم الامراض، وعمق فيهم مذمومات الاخلاق واقصى المعارضين واودعهم في سجون تعرضوا فيها لتعذيب مهين وأليم وتصفيات واخضع الجميع لعمليات غسل مخ عنيفة تحول بينهم وبين الوعي بمصالحهم.

المصدر: حيدر إبراهيم علي، تجدد الاستبداد في الدول العربية ودور الامنوقراطية ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز 2005)، ص:190.

- لا يعتقدون ان لهم حقاً في الحصول على حرياتهم وحقوقهم من القيادة المستبدة ولا في مراقبتها او الاعتراض على انحرافاتها والاخطاء في خططها وقراراتها وسلوكاتها، ولا يمارسون دورهم في مراقبتها ومساءلتها ولا يأمرون بالمعروف ولا يدعُون اليه ولا ينكرون المنكر ولا ينهون عنه ولا يسعون الى إيقافه او تغييره ولا يتعقبون مصادر الاستبداد والقضاء عليها في مهدها او يجففون منابعها.

- لا رأي لهم ولا قوة لديهم ما لم تمنحها لهم القيادة المستبدة ولا ينفذون امرا الا بإذن منها ولا يملكون لأنفسهم ولغيرهم الا الضر والسوء والسكوت عن الضيم والذل ولا يلتزمون سبيل الرشاد والصواب، ويتماهون مع السلطة الحاكمة في الاستبداد فيستبد كل واحد منهم بالأضعف اقتصاديا او اجتماعيا او ثقافيا... ولذا لا يقتصر الاستبداد على اعلى قمة الهرم في السلطة الحاكمة بل يسري في جسد المجتمع وطبقاته وشرائحه ومنظماته وجمعياته ونقاباته (الصحافيين والادباء والفنانين والأساتذة...) ويحاكي تسلط الحاكم المستبد في اعلى الهرم وينسج على منواله (17).



التابعون لا يواجهون القيادة المستبدة بل يستقوي بعضهم على بعض

- يتقنون فنون مداهنة القيادة المستبدة والتزلف لها وتبجيلها وتعظيمها وطاعتها طاعة عمياء والتسبيح بحمدها وتأليهها الى حد القداسة، ويوظفون امكاناتهم ومعرفتهم وخبرتهم في تمكينها من بسط سيطرتها عليهم والتمادي في استبدادها ومنح الأولوية لمصالحها الشخصية، ويعتقدون بانها البطل الذي يصنع المعجزات وقراراتها فذة وخلاقة ويضعون صورها وتماثيلها في كل مكان ويقدمون لها الهدايا وينظمون الشعر في تمجيدها والهتاف باسمها، ويتنافسون في التفاني من اجلها ويتزلفون لها خوفا وطمعا ويزينون لها قبيح افعالها رغم انهم غير موالين لها ويمقتونها ويتمنون زوالها، والامرّ من كل هذا يرغمون أطفالهم على التخلق بتلك الاخلاقيات وممارستها.

التملق للقيادة المستبدة

كان معروفا عن احد افراد حاشية قيادة مستبدة انه يحب الباذنجان ولكن ما أن عرف ان القيادة المستبدة لا يعجبها الباذنجان حتى غير رأيه فجأة من النقيض إلى النقيض وتحول من مدح الباذنجان إلى ذمه وتعديد أضراره آملاً نيل رضاها.

المصدر: كيف يصنع المستبد حاشيته؟ (sasapost.com)

- يكونون عيونا للقيادة المستبدة في مراقبة المختلفين معها ومعارضيها ويؤلبونها على البطش بهم.

التابعون يحرضون القيادة المستبدة على البطش بالمعارضين

يخبر القرآن الكريم ان فرعون كان مستبدا وطاغية وانه استخف قومه واذلهم ولم يقم لهم وزنا ومع ذلك كانوا في خدمته ويحافظون على استمراره في موقعه ويحرضونه على البطش بكل من يختلف معه او يعارضه، ويتجلى ذلك في قوله تعالى "وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ".

وتقطع الوقائع ان تحريض المتزلفين للقيادة المستبدة على البطش بالمختلفين معها يحدث باستمرار في البلدان التي تسيطر عليها قيادات مستبدة، فعلى سبيل المثال حرض المتزلفون صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) في بداية استيلائه على السلطة على انزال اقصى العقوبات بالمجموعة التي عارضت استبداده فأخذ بمقترحهم لانه وجد فيه ما يحقق أهدافه في احكام سيطرته على الاخرين.

- لا يعترضون على القيادة المستبدة عندما تصادر حرياتهم وحقوقهم وانما يستمرون معها ويظهرون لها الرضى والانسجام مع واقعهم ظاهريا وعلنا ضد قناعاتهم ورغباتهم ومن دون تجرؤ على اظهار تبرم او استياء حتى في سرهم، ولا يهاجرون منها الى حيث لا تُسلب حرياتهم وحقوقهم عملا بآيات القران الكريم التي تحث كل من يمتلك القدرة على الرحيل إلى الهجرة من القيادة المستبدة، ويظهر ذلك في قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا"(18).
- يتميزون بالفردية والأنانية ومنح الاولوية للمصالح الخاصة على حساب مصالح المجتمع ومستعدون للتضحية بالمصلحة الوطنية عندما تتقاطع مع مصالحهم الشخصية والفئوية.
- ينتشر بين صفوفهم بيع الذمم والفساد المالي والاداري ومذمومات الاخلاق (النفاق والكذب والغش والتزوير وقلة المروءة والاهتمام بسفاسف الأمور).
- عاجزون عن إدارة أنفسهم بدون القيادة المستبدة ويتنصلون من حمل مسؤولية الاخطاء ويلقون تبعات إخفاقاتهم وانتكاساتهم على الاخر ويبحثون عن كبش فداء، ويعتمدون المنطق التبريري والعقل الدائري الذي يجعل الانسان يدور في حلقة مفرغة والانشغال بالجدل العقيم والأجوف الذي يعرقل التطور، فضلا عن ذلك يعمق وعاظ السلطة فيهم ثقافة الزهد بالدنيا

وعدم التكالب عليها ويحثونهم على جعل جل الاهتمامهم منصباً على الاخرة المديدة الواسعة التي يتكفل فيها الله تعالى بالظالم والمستبد ويعوضهم عن حرمانهم واضطهادهم [19].

- يعتقدون ان امن الدولة واستقرارها وبقاءها مرهون ببقاء حكامها في الحكم حتى لو كانوا مستبدين، فيصمتون عن أخطاء الحكام واستبدادهم وانحرافاتهم وتدني كفاءتهم في التخطيط والقرارات والأداء، وهذا ما يحفّز الحكام لبسط سيطرتهم ووضع نصوص في الدساتير تتيح لهم التأبيد في الحكم ويحاولون دائما تبرئة أنفسهم من المساهمة في صنع القيادة المستبدة انسجاما مع الطبيعة البشرية التي تحاول جهدها ان تنأى بنفسها عن الأخطاء والانحرافات والانتكاسات.

صمت التابعين عن استبداد القيادة

كان اول سؤال مكتوب يتسلمه نيكيتا خروتشيف Khrushchev Nikita رئيس الاتحاد السوفياتي (1958- 1964) من المراسلين الذين التقى بهم في نادي واشنطن بريس Washington Press Club عندما زار اميركا، هو "انك تحدثت اليوم عن حكم سلفك ستالين الشائنhideous rule of your predecessor وكنت انت واحدا من اقرب مساعديه وزملائه ابان تلك الاعوام، فماذا كنت تفعل كل ذلك الوقت؟" احمر وجه خروتشيف، ثم زمجر قائلا "من سأل هذا السؤال؟" فلم يجب احد، وألحّ في ذلك وساد الصمت مرة اخرى، فقال خروتشيف "هذا ما كنت افعله حينذاك"، ويظهر من هذا التابعين يصمتون امام القيادة المستبدة.

المصدر:

Bennis Warren, Followership,

http://www.graphicarts.org/nalc/articles/follower,html

- تمزقهم صراعات (طائفية وحزبية ومذهبية ومناطقية وعرقية وعشائرية وعائلية) وكل جماعة تتربص بالمجموعات الأخرى وتسعى لتميز نفسها بالمكتسبات على حساب الاخرين حتى لو أدى ذلك الى حروب أهلية تدمر الموارد البشرية والمادية للبلاد.

نماذج من الشعر الذي صدح به التابعون تزلفا للقيادة المستبدة

النموذج الأول: يقول الاخوص في الوليد بن عبد الملك:

تخيره رب العباد لخلقه وليا وكان الله بالناس اعلما

النموذج الثاني: قصيدة أحد الشعراء للخليفة في الاندلس

ما شئت الا ما شاءت الأقدار

فاحكم فانت الواحد القهار

وكأنما انت النبي محمد

وكأنما انصارك الأنصار.

النموذج الثالث: قصيدة الشاعر العراقي شفيق الكمالي بعنوان (لولاكَ) لسيده صدام حسين حاكم العراق

لولاكَ ما طلع القمر..

لولاكَ ما هطل المطر..

لولاكَ ما اخضر الشجر..

لولاكَ أيضاً ما رأى أحد ولا عرف النظر..

لولاكَ ماكان العراقيون معدودين في جنس البشر..

بل لم يكونوا في الخلائق..

أو لكانوا دون سمع أو بصر إنا لنحمد حظنا..

إذ كنت حصتنا وجاء بك القدر.

وحري بالابانة ان قصيدته هذه وغيرها لم تشفع له فقد اودعه صدام حسين في السجن رغم انه كان من رفاقه في الحزب وعرضه لأبشع أنواع التعذيب المهين والاليم وقد مات بعد عدة أيام من خروجه من السجن.

النموذج الرابع: قصيدة أحد الشعراء المصريين للرئيس المصري عبد الفتاح السيسي

يا سيدي

الخفق لك

والعزف لك

خذنا معك

فنساؤنا حبلى بنجمك في الفلك

سبحان من قد عدلك

ورجالهم حاضوا، فما خاضوا

ساساتهم ساسوا فما استاسوا

وحكيمهم رجف

ان شاء عانق خزيه.

المصدر: د. ياسر ثابت، صناعة الطاغية -سقوط النخب وبذور الاستبداد، ط: 1، (القاهرة: دار اكتب للنشر والتوزيع، 2013)، ص: 18-19.

تزلف الصحف الروسية لستالين

كتب أحد محرري صحيفة لينينغراد الحمراء مقالا يتزلف لستالين جاء فيه "حبنا واخلاصنا وقوتنا وقلبنا وبطولتنا وحياتنا وكل شيء لك يا ستالين العظيم كل شيء ملكك يا زعيم الوطن، اعط الأوامر لأبنائك، يمكنهم التنقل في الجو وتحت الأرض وفي الماء وفي أعالي الغلاف الجوي سيقول البشر على مدى العصور ان اسمك هو الامجد والاقوى والأكثر حكمة والاجمل بين كل الأسماء، ان انجبت زوجتي الحبيبة فأول كلمة سأعلمها لطفلي ستكون ستالين".

المصدر: بيار كونيسا، صناعة العدو او كيف تقتل بضمير مرتاح، ترجمة نبيل عجان، ط: 1، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، 2015)، ص: 175.

ثالثا: جهات داعمة للاستبداد

قبل تحديد الجهات الداعمة للاستبداد لا بد من توضيح ما يأتي:

- يرعى الحاكم الذي يستمد شرعيته في الوصول الى الحكم والاستمرار فيه من الشعب مصالح شعبه ويهتم بتطويره وينمي علاقاته به، اما الحاكم الذي يستمد قدرته في الوصول الى الحكم من جهات اجنبية فانه لا يهاب الا تلك الجهات ويهتم بتمكينها من تحقيق غاياتها وفي ذات الوقت يهمل الاهتمام بالشعب.
- ليس بمقدور القيادات المستبدة ولا سيما في الدول المتنامية منذ مطلع القرن العشرين الوصول الى السلطة والاستمرار فيها ما لم تدعمها جهات خارجية ومحلية

وهي بدورها توفر لتلك الجهات فرصا متعددة للحصول على امتيازات (مادية ومعنوية) كبيرة، وفيما يأتي اهم تلك الجهات [20]:

- **جهات أجنبية:** تتألف هذه الجهات من الدول الاوربية وامريكا التي لا ترى تناقضاً بين أنظمتها الديمقراطية في بلدانها ودعمها للاستبداد في الدول الأخرى مقابل الحصول على مكتسبات سياسية واقتصادية، ويعبر مالك بن نبي عن ذلك قائلا "إنّ الإنسان الأوروبي لا يحمل فضائله خارج عالمه"[21]، اذ تتولى تلك الجهات تهيئة الفرص للمستبدين لتبوؤ السلطة وتمدهم بالدعم المادي والمعنوي وبالخبرات والمعدات التي تمكنهم من الاستمرار في السلطة وبسط سيطرتهم على شعوبهم مقابل الانصياع لمطالبها في الحصول على الأولوية لمصالحها عندما تتقاطع مع مطالب الشعب حتى وان تسبب ذلك في إلحاق اضرار فادحة بالشعب لان غاية غايات القيادات المستبدة هي الفوز برضى الجهات الأجنبية التي اوصلتها للحكم ومكنتها من الاستمرار فيه وليس تحقيق اهداف الشعب.

وحري بالابانة ان الجهات الأجنبية توظف عدة اساليب لدعم القيادات المستبدة في الوصول إلى السلطة كما تتولى دعمها بعد وصولها الى السلطة لتضمن استمرارها في السلطة ومن تلك الأساليب مد القيادات المستبدة بمعلومات تكشف لها حجم القوى المعارضة وتحركاتها واساليبها وتوفير التقانة والأسلحة لها لقمع المعارضين وتحذرها من جميع المؤامرات الخارجية والداخلية الرامية للإطاحة بها وتعينها على افشال تلك المؤامرات، ومن جهة أخرى تراقب تلك الجهات الاجنبية مدى التزام القيادات المستبدة بتعهداتها معها وانفاذ اراداتها التي تملى عليها بكرة واصيلا وما ان تستشعر تلك الجهات بان

القيادات المستبدة التي نصبتها غير قادرة على تمكينها من تحقيق مقاصدها فانها تتوقف عن تقديم الدعم لها وليس هذا فحسب بل توفر الفرص للآخرين للإطاحة بها والاتيان بمن هو اكثر قدرة على تحقيق مصالحها عبر افتعال ثورة ضد القيادة المستبدة ينفذها عملاء اخرون أهدافهم المعلنة القضاء على الاستبداد وتحقيق نقلة نوعية في حياة التابعين نحو الأفضل بقصد ايهام التابعين الدهماء وحفزهم لمناصرة تلك الثورة اما أهدافهم الحقيقية فهي الوصول الى السلطة واستبدال القيادة المستبدة السابقة باخرى تنسجم مع غايات تلك الجهات وأهدافها[22].

- **جهات محلية:** تضم هذه الجهات جميع المستفيدين من القيادة المستبدة وفي مقدمتهم زمر الفساد المالي، وهم أصحاب المال الذين يمدونها بالاموال المطلوبة لتمكينها من الوصول الى السلطة والاستمرار فيها مقابل حصولهم على امتيازات وعقود تصنيع وتسويق مختلف السلع والخدمات واعفاءات من الضرائب والرسوم والمراقبة وغض الطرف عن تدني نوعية المشاريع المكلفين بإنجازها، ويقع ضمن تلك الجهات المداهنون والمتزلفون والمنافقون والنخب والأحزاب والتنظيمات ورجال الدين الذين يصدرون فتاوى تسوغ أفعال القيادة المستبدة او يسكتون عن مخالفتها الصريحة لما شرعه الله تعالى لعباده فيما يتعلق بحقوق الافراد وحرياتهم وحرماتهم وتماديها في حقوقها ونهبها للثروات وتبديدها على رغباتها ومصالحها، يضاف الى اولئك الفنانون والشعراء والإعلاميون الذين يروجون لها ويرفعون شأنها ويتسترون عن أخطائها ويزيفون الحقائق ويهاجمون منتقديها ويضللون الافراد[23].

نماذج من توريث النفاق في الدول المتنامية

- يجلس بعض المتسولين على نواصي الشوارع للتسول من المارة يوميا لساعات، ويصطحبون معهم ولا سيما النساء منهم ابناءهم الأطفال الذي لم يبلغوا سن الالتحاق بالمدرسة، ويدعون بالصحة والتوفيق لكل من يجود عليهم ببعض المال بتذلل مشين جدا ويجبرون ابناءهم على ان يدعوا لكل من يجود عليهن بنفس الطريقة ويشكروهم، ان تلك الممارسات تبذر في أولئك الأطفال بذور النفاق مع ضعة النفس.
- يقف معظم معلمي المدارس يوميا في طابور الصباح امام طلابهم ويطلبون اليهم ان يهتفوا بحماس لمدير الإدارة التعليمية، ووكيل وزارة التربية والتعليم والمحافظ والرئيس بدلاً من أن يهتفوا للمصالح العليا والوطن.
- يتوسل المواطنون بالمسؤولين او يدفعون لهم الرشى لكي ينعموا عليهم بالموافقة على طلباتهم المشروعة.
- يحتفل المسؤولون التربويون في احدى المحافظات بحرق بعض الكتب التي وجدوها في مكتبة في احد المدراس بحضور التلاميذ بناء على تعليمات صادرة لهم، ولو أظهرت الحكومة أدنى رضى عن تلك الكتب لأقام هؤلاء السادة حفل تكريم لها، ولوضعوها فوق رؤوسهم أمام الكاميرات، ولنظموا مسابقات لحفظ فصول كاملة منها، والفائز يحصل على مكافآت.
- طلبت احدى دور الأيتام من فتيات صغيرات لم يتجاوزن التاسعة من العمر الوقوف بثياب خفيفة شفافة شبه عارية في صقيع ليل الشتاء للهتاف للوطن ورئيس الدولة ورئيس الوزراء ومدير الأمن، وقد سأل مذيع في قناة فضائية مدير تلك الدار عن هذا التصرف المعيب فصرخ: «أنا روحي فداء لمصر كان الرد المنطقي هو: روحك فداء مصر... فلتفعل بها ما تشاء، لكن لم تتبرع بأرواح الفتيات."

ويؤكد ما تقدم ان التابعين يثيرون الدهشة دومًا بقدرتهم المذهلة على النفاق وعبادة الرؤساء ومع الوقت تنتقل هذه الاخلاقيات إلى الأجيال اللاحقة فتهدر كرامتها وتنقصها الشجاعة وتنتشر فيها مذمومات الاخلاق وتصبح كما تريد الدولة فتضيع الأوطان.

المصدر: رفعت إسماعيل

https://www.facebook.com/share/p/LA93EStZGqAjeVDB/?mibextid=xfxF2i

الفصل الثالث

شخصية القيادة المستبدة

مفهوم القيادة المستبدة

شخصية القيادة المستبدة

الفصل الثالث

شخصية القيادة المستبدة

تعد القيادة المستبدة من بين أكثر الظواهر الاجتماعية قِدما على الأرض، وأكثرها ضررا بالأفراد والاوطان والأمم والبيئة، ولذا نالت الحظ الأوفر من الاهتمام والتنظير وتشعبت الدراسات والنظريات التي تناولتها واختلفت رؤى المفكرين حولها في محاولة منهم لضبط مفهومها وتأثيراتها والجهات المتضررة منها وآلياتها في استدامة حكمها وسيطرتها وسطوتها، ورغم ذلك فهي لا زالت مبهمة enigmatic elusive ومحيرة لكثير من العقول في مشارق الأرض ومغاربها وتتطلب المزيد من الدراسات والبحوث.

مفهوم القيادة المستبدة

يشير مفهوم القيادة المستبدة الى القيادة التي تستفرد بالحكم وتحكم بمقتضى مشيئتها واهوائها دون قانون ومراقبة ومحاسبة ومساءلة وتستأثر بخيرات البلاد وتلغي المؤسسية وتحول الحكم إلى حكم فردي مطلق شمولي ويتميز أسلوبها في القيادة بانه أحادي الاتجاه، فهي تتفرد بوضع الخطط واتخاذ القرار وتوظف القوة في إدارة التابعين وتصادر حرياتهم وحقوقهم وتفرض عليهم انفاذ أوامرها دون نقاش ولا تعبأ

باستبيائهم ولا تثق بهم انطلاقا من ايمانها بعقلية اليقين بصحة افكارها ورفضها للعمل بعقلية الاستكشاف والتشاور معهم.



القيادة المستبدة تضع نفسها فوق اعناق التابعين

شخصية القيادة المستبدة

تجمع القيادات المستبدة في مشارق الأرض ومغاربها عددٌ من السمات، وان تباينت في التفاصيل، فمعظم القيادات المستبدة تنحدر من قاع مجتمع يعاني من فقر وجهل وامراض نفسية وعضوية واجتماعية، ويفتقد الحنان ودفء العلاقات الاجتماعية والحب والتراحم والتّعاطف والأمانة والثقة والتعاون، وينتشر فيه العنف والجريمة والفساد المالي والاداري ومذمومات الاخلاق (الكذب والتزوير والاختلاس والغدر والسرقة وخيانة الامانة وعدم الثقة بالآخر).

وتؤكد الدراسات التي تناولت تحليل شخصية القيادة المستبدة انها تشعر بانها تلقت من المجتمع ابشع الضربات والمصائب والاضطهادات والتجاهلات والاكراهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفقدان الاستقلالية وحرية الاختيار والحرمان وكماً هائلاً من الرغبات المؤجلة جعلت منها غير سوية ومضطربة وقلقة وخائفة ونرجسية وتسيطر عليها رغبة الانتقام وحب السيطرة والاستحواذ على الثروات وتعيش في خوف شديد وقلق ومعاناة نفسية وعاطفية وعزلة اجتماعية وعلاقات

مبنية على الشك والتوجس والريبة والغش اينما حلت في اليقظة والمنام رغم ان جميع السلطات والأموال بيدها والجميع في خدمتها وتحمي نفسها بعدة أجهزة امنية ومخابراتية.

وقد تركت المعطيات المتقدمة تأثيرات وارتدادات سلبية كبيرة على شخصية القيادة المستبدة وسلوكاتها وأهدافها وعلاقاتها مع الاخرين واساليبها في الوصول الى أهدافها واستدامتها، وجعلت غاية غاياتها التركيز على حماية نفسها ومصالحها واستمرار نظامها على حساب امن المجتمع وتطوره وفي ذات الان تمقت في قرارة نفسها اخلاقيات الدين والقيم الإنسانية لاعتقادها انها لا تنسجم مع توجهاتها وسلوكاتها وان أظهرت غير ذلك، ويتجلى ذلك في سماتها الاتية:

- تختزن في داخلها ما لا يمكن تصوره من الشر والقسوة والطمع والانانية والغدر والخديعة وغلاظة القلب والفضاضة وتتحكم فيها أفكار وتوجهات مشبّعة بالظلم والفجور والحقد والكراهية ورغبة جامحة في الانتقام لنفسها من الاضطهادات الاجتماعية والاقتصادية التي كابدت منها وليس للرحمة والصدق حيز في تنظيم علاقاتها بالتابعين وتعتقد بانها ستفقد هيبتها وسلطتها عندما تكون صادقة ورحيمة بهم، وفي ذات الوقت تظهر بمظهر الانسان الفاضل الصادق الرحيم.
- تتملكها رغبة غير متناهية في الاستئثار بالزعامة والقرارات والثروات وجعل كل شيء مباحا لها في سبيل حياتها واستمرارها في السلطة ولذلك تسعى للوصول الى السلطة بكل ما اوتيت من امكانات وأساليب بما فيها الانقلابات والمؤامرات والتعاون مع أعداء الامة والكذب والخداع والتضليل وتزييف

الحقائق وتسويق الأوهام وتتمسك بالسلطة عندما تحصل عليها وتعدها مُلكا لها ولأسرتها وتعمل على توريثها لأبنائها وأحفادها [1].

- تعاني من عقدة الاضطهاد وتخشى الآخرين وتشك بولائهم ولا تثق بهم، ولا سيما المحيطين بها مهما كانت الروابط بينها وبينهم بما فيهم افراد عائلتها واعوانها وتتوجس منهم وتعتقد بانهم يشكلون تهديدا لها وبانهم يتآمرون عليها ويتحينون الفرص للتخلص منها رغم ما يبدون لها من الخضوع والتأييد والتغني ببطولاتها وامجادها.

- تعيش في خوف وذعر وقلق على حياتها وموقعها وممتلكاتها أينما حلت وحيثما كانت فتراقب حركات الجميع وسكناتهم وتفرض عليهم مدحها والتزلف لها، وقد وصفت الكاتبة الإنجليزية إيثيل مانين في كتابها «العزلة» عبد الكريم قاسم حاكم العراق 1958-1963 بانه لا يثق بأحد وخائف خاصة من أولئك الذين يعملون معه، وقد كان بالنسبة إليها يمثل نموذجًا لعزلة الإنسان وهو في القمة، وذكرت أن الإنسان عندما يصل إلى ما كان يطمح إليه من مال أو جاه أو سلطة يكتشف أنه صار وحيدًا، ووحدته تنبع في الأساس من عدم ثقته بالآخرين ومن اعتقاده بأن مواقف الآخرين منه هي مواقف نفعية أو بدافع الخوف وليست نابعة من صدق.

- تتظاهر بالشجاعة وتعمل المستحيل لكيلا يظهر عليها الخوف او يظن الاخرون بانها في خوف بينما هي في حقيقة الأمر يتملكها الخوف من قمة رأسها الى أخمص قدميها وتحيط نفسها بحراسة مشددة دائمًا وتتستر على تحركاتها وتحيطها بسرية تامة وتخضع كل من يدخل عليها الى تفتيش دقيق وترسل

افراد حمايتها الى الاماكن التي تعتزم زيارتها للتأكد من خلوها مما تخشى منه على نفسها ولا تتناول طعامها قبل ان يؤكد لها افراد حمايتها سلامته مما يلحق الاذى بها.

- تتصرف وكأن الرعية خلقت لخدمتها والامتثال لأوامرها وارادتها وتنظر الى التابعين على انهم اقزام وتتفرد بالرأي واعداد الخطط واتخاذ القرارات وترفض المشاورة ولا تسمح للاخرين بمشاركتها او مناصحتها او نقدها او ابداء الملاحظات على أهدافها وقراراتها وسلوكاتها او مساءلتها او محاسبتها وان ما هم فيه من إمكانات وقدرات ما هو الا من فيض كرمها، وتردد ما قاله الخديوي توفيق للقائد احمد عرابي عندما طالبه باسم الامة ان يمنح الشعب دستورا "ما انتم الا عبيد احساناتنا"، وكما يقول غسان كنفاني "يسرقون رغيفك ثم يعطونك منه كسرة ثم يأمرونك ان تشكرهم على كرمهم"[2].

تتفرد القيادة المستبدة في اتخاذ القرارات

لا تحصى الشواهد التي تؤكد تفرد القيادة المستبدة بالرأي واتخاذ القرارات فمثلا تفرد جمال عبد الناصر حاكم مصر (1954-1970) بجميع القرارات المتعلقة بشؤون مصر وقضية فلسطين وتنظيم العلاقات بين مصر والدول العربية وكذلك جاءت قرارات القذافي فيما يتعلق بانحسار التوجه العربي وتضخم التوجه الأفريقي وإثارة الحروب مع تشاد وغيرها ومشروع النهر الصناعي العظيم الذي وضع حجر أساسه في عام 1984 الذي كان يعد الأكثر كلفة في العالم في ذلك الوقت، وكذلك فعل صدام حسين عندما اشعل الحرب بين العراق وايران عام 1980 واحتل الكويت عام 1990، وعندما بدد ثروات العراق في صناعة أسلحة الدمار الشامل.

- تجيش في نفسها جميع انماط الكبر والتعالي ويسكن فيها الغرور والكبرياء وجنون العظمة وحب الامتداح ولو كان زورا او بالإكراه وترغب ان تكون محط اهتمام الجميع وتعنو الوجوه اليها ويُنظر اليها على انها هدية القدر لهم وتمنح الأفضلية والاستحقاق والكمال لذاتها ولا تصدق ولا ترى الا نفسها ولا تسمع الا صوتها ومن يتماهى معها وتتصور ان الحياة قد خلقت لها وأنها مخلدة ولا شيء عندها يتكافأ مع المبالغة في عظمتها وقيمتها وتأزيل وجودها، ولا تسمح بمخالفتها أو مناقشتها ومساءلتها وتتقمص صفات القاهر الجبار وهكذا شيئاً فشيئاً تتضخم ذاتها خاصة مع خضوع من حولها لها حتى يصل الامر بها إلى الاعتقاد بألوهيتها وهذا ما وصل إليه فرعون حين قال "أنا ربكم الأعلى"[3]، وقال "يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي"[4].
- تشعر في قرارة نفسها بالدونية وصغر قدرها مهما ارتفعت في المناصب واحكمت سيطرتها على الجميع وبطشت بهم واذلتهم وتفرض ارادتها وطاعتها والانقياد لها بالقوة والاكراه وهدر كرامة التابعين وحقوقهم وحرياتهم.
- تبالغ في اهميتها وقدراتها وامكاناتها وذكائها وإنجازاتها وتنسب جميع النجاحات المتحققة لمهارتها وكفاءتها حتى يصل بها الامر إلى مستوى التصرف في الخلق وتدبير شؤونهم[5]، وتعتقد بانها دائما على صواب وغيرها على خطأ وتنظر الى نفسها بانها هي الاعلم وتمتلك الحقائق والحلول والاجابات لجميع المشكلات والتحديات وانها فريدة زمانها وانه لا احد يمكنه بلوغ ما بلغته من العلم والحكمة والعبقرية وتعتقد ان ما تقرره هو الصواب والرشاد لا ما تقرره حقائق الواقع ومعطيات العقل وقد وقع فرعون في هذا كما يتجلى في قوله تعالى اذ قال

لقومه "مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ"[7]، ويزداد ميلها مع مرور الوقت الى الاعجاب بآرائها وخططها وقراراتها وسلوكاتها ولا تطيق من يتفوق عليها او ينافسها في ذلك فتبغض اهل العلم والخبرة والعلماء والمثقفين وذوي الاخلاق الحميدة وكل من يتحلى بالرفعة والكرامة والنزاهة والشجاعة والسمو والخصال الحميدة والكفاءة وتنظر اليهم بانهم أعداء لها فتعمد الى التضييق عليهم او التخلص منهم او تحط من شأنهم او توظفهم في خدمة غاياتها ومقاصدها او لا توفر لهم الفرص والإمكانات المطلوبة لتوظيف قدراتهم وامكاناتهم وخبراتهم فتدفعهم الى الانكفاء والاحباط او تضطرهم الى الهجرة الى بلدان أخرى لشعورها بانهم يزاحمونها في الجلال والاباء ويحرمونها من الشعور بالتفوق والسيادة[6].

تحط القيادة المستبدة من ذوي العلم والكفاءة

تحط القيادة المستبدة من شأن ذوي العلم والكفاءة، فمثلا ارسل جمال عبد الناصر حاكم مصر (1954-1970) مجموعة من "البلطجية" الى مكتب الدكتور عبد الرزاق السنهوري لضربه بطريقة سادية غوغائية وبعد ذلك هتفوا يحيا الجهل ويسقط العلم بسبب ملاحظاته على قراراته، علماً بان السنهوري كان وزيرا للمعارف وهو أعظم من أنجبت مصر في فقه القانون وواضع الدساتير في أكثر من بلد عربي وأنشأ جامعة الإسكندرية وجامعة محمد علي في أسيوط.

المصدر: سناء نصر الله، عبد الرزاق السنهوري.. حارس القانون الذي واجه عبد الناصر، عبد الرزاق السنهوري.. حارس القانون الذي واجه عبد الناصر تقارير الجزيرة الوثائقية. (aljazeera.net)

ويحدث الامر اعلاه في جميع الدول التي تتولى الحكم فيها قيادات مستبدة فقد كانت حكومة البعث التي استولت على السلطة في العراق في شباط 1963 تودع الاساتذة واهل العلم والكفاءة في السجون يتعرضون فيها الى ابشع أنواع التعذيب والتصفيات الجسدية.

- تركز جل اهتمامها على مصالحها الشخصية واهدافها ورغباتها وتمنحها الاولوية عندما تتقاطع مع المصلحة العامة على وفق "انا والطوفان من بعدي" وتسيطر عليها رغبة لا حدود لها في الحصول على الثروة والممتلكات فتستحل من المال العام ما لا يحل لها لتسرف على رغباتها وعلى خاصتها وبطانتها فتندفع متزاحمة في البحث عن اشباعها بالأموال العامة بينما تقتر على التابعين وتجعلهم يعيشون معاناة وضائقة شديدة في ارزاقهم وذلك نتاج عدة عوامل أبرزها التعويض عن الاضطهادات والحرمان التي عانت منهما في الماضي.
- تغمرها السعادة والغبطة والزهو عندما تسيطر على الجميع وتذلهم وتظلمهم وتقهر إرادتهم وتصادر حرياتهم وحقوقهم وتعاملهم على انهم قطعان خاملة غير قادرين على إدارة انفسهم وانها هي التي تحريكهم كيفما تشاء ومتى تشاء لتحقيق أهدافها، ولا أهمية لهم الا بمقدار خدمتها وتحقيق مصالحها ولا تقبل منهم بغير الطاعة المطلقة والإمتداح والاعجاب بها والتملق لها وتعزيز سطوتها وبسط نفوذها، وتجعل حياة المتمسكين بالاخلاق والقيم الفاضلة مأساة كبيرة.
- تمقت الحرية والاختلاف والتعددية مقتا شديدا وتحظر حرية التعبير الا ما كان مدحا لها او يمكنها من بلوغ أهدافها، وتحمل عقلية إقصائية تجعلها تقصي المعارضين والمختلفين والخصوم وكل من تظهر عليه ملامح الاختلاف معها او معارضتها او يذكّرها بماضيها ونقائصها او ينتقدها او يتشبث بحقه في ابداء الرأي بصدد سلوكاتها وقراراتها ونهبها للثروات ومصادرة حقوق التابعين وحرياتهم او تودعهم في سجون يتعرض فيها لتعذيب مهين وأليم لسنوات طوال او تفرض عليهم عقوبات قاسية تصل الى حد الموت، ولا يقف الامر

عند هذا بل يمتد الى الغدر برفاقها الذين اعانوها على تولي السلطة عندما يساورها الشك بولائهم او يعربون عن اختلافهم معها او ينقدون تصرفاتها وخططها وقراراتها وانحرافاتها ومنحها الأولوية لمصالحها الشخصية [8].

- تزداد وساوسها ومخاوفها كلما طالت مدة بقائها في موقعها فترفع من مستويات عنفها وشراستها واستبدادها وتمارس اعلى درجات الحزم والشراسة مع مواطنيها في حين تتمادى في الخضوع وانتهاج سبل الترضيات والتسويات والتنازلات مع القوى الاجنبية التي أتت بها الى السلطة حتى لتبدو انها محض وكيل لتلك الجهات في تنفيذ اجنداتها، ويقول احدهم:

كِلَابٌ لِلْأَجَانِبِ هُم وَلَكِنْ عَلَى أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ أُسُود

- تستمد قوتها وقدرتها على السيطرة على التابعين من خضوعهم وتخاذلهم وجهلهم وليس من ذاتها فهي ضعيفة وخائفة وتحسب كل صيحة عليها، ويرى المفكر الفرنسي لابويسيه أن الطاغية يستقوي بخنوع الجموع ويبتهج بانقيادهم وخضوعهم له ويوظفهم كأشياء وقوالب معدة لخدمة خياله الشخصي وتغذية إحساسه المفرط بالعظمة الذي لا يرتوي حتى يلبس التراب.
- تدمر كل شيء عندما تستشعر قرب نهايتها لكيلا تترك بعد رحيلها الا الخراب والدمار.
- تتنصل عن تعهداتها ومسؤوليتها عن النتائج التي تترتب عن افعالها او تلقي تبعاتها على الاخرين وعندما يطاح بها تتخلى عن التابعين ولا تدافع عنهم رغم خدماتهم لها، ويقول الله تعالى "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا"[9]، وفي

قوله تعالى "إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ" (10).

القيادة المستبدة تنقض تعهداتها

جاء الرئيس المصري حسني مبارك الى السلطة عقب اغتيال السادات أوائل الثمانينات من القرن العشرين وبدأ حكمه بإصلاح سياسي ورفض الفساد عُرف بـ"ثورة التصحيح"، وأطلق سراح المعتقلين، ولكنه سريعا ما تراجع عن كل ذلك، وبدأ عصرا جديداً من القمع والفساد ونهب الثروات وتحويلها الى خارج مصر، وكذلك فعل زين العابدين بن علي في تونس حيث وعد بإصلاحات سياسية ودعا إلى انتخابات جديدة ولكنه كان هو أول المنقلبين على نتائجها واعتقل معارضيه، وبعد إسقاطه اكتُشِف حجم الأموال والذهب الهائل التي كان يحتفظ بها في قصره الرئاسي بضاحية سيدي بوسعيد، ناهيك عما هربه في حسابات سرية له ولزوجته ليلى الطرابلسي وعائلتها، وقد فعل ذات الامر عمر البشير الذي حكم السودان ثلاثين عاماً قبل سقوطه، فقد ظل يتلاعب بشعبه ويعده بالإصلاح والوفرة والرخاء مطالباً إياهم بالصبر معه على "الظروف الاقتصادية الصعبة والتحديات الخارجية"، وفي ذات الوقت كان يؤجج الانقسامات ويبطش بالمختلفين وينهب الثروات، ولم يكن القذافي وصدام حسين وبقية المستبدين في مشارق الأرض ومغاربها مختلفين عن ذلك كثيرا ان لم يكونوا اسوأ.

- لا تعترف بأخطائها وانتكاساتها وهزائمها بل تعدها انتصارات او تبررها او تتستر عليها او تعلق تبعاتها وتداعياتها على الاخرين او تبحث عن اكباش فداء، فمثلا اطلق صدام حسين على بعض هزائم الجيش العراقي في بعض المعارك مع ايران (1980-1988) بانها انسحاب من موقع القوة كما اطلق مقولة "يا محلى النصر بعون الله" على اندحار الجيش العراقي عقب حرب

تحرير الكويت في عام 1991، ويشير الشاعر العراقي مظفر النواب في قصيدته "الاتهام" الى هذه الحقيقة قائلا:

"الذئاب هم قادة القافلة

فإذا اكلوك لعشق قضيتهم

أو أكلوها بدعوى لأجلك ما المشكلة

نحن في سلة المهملات إذا انتصروا

وإذا هزموا حملونا هزيمتهم كامِلة"

تبرر القيادة المستبدة اخطاءها او تلقي تبعاتها على الاخرين

النموذج الأول: عين دوق ميلانو فرانسيسكو سفورزا حكومة قوية بعدما عمت البلاد كل اصناف السطو والفوضى، وقد اختار لهذه المهمة ريميرو دي اوركو وهو قائد مقتدر ومشهور بقسوته، وفي ظرف وجيز تمكن ريميرو من بسط سيطرته واعادة النظام والوحدة الى البلاد، وادرك الدوق ان القسوة التي عمل بها خلفت نوعا من الكراهية ضده، ورغبة منه في تطهير نفوس التابعين وكسب رضاهم بصفة نهائية، اراد ان يبرهن لهم بان كل القسوة التي مورست عليهم لم تكن من صنيعه وانما هي راجعة الى طبع ريميرو القاسي، وكانت هذه ذريعة قوية انتهزها فأمر بقتل ريميرو وتقطيع جسده نصفين، ومثّل به في الساحة العمومية واضعا بجانبه حزمة من الخشب وخنجرا معفرا بالدماء، وقد اثار هذا المشهد العنيف في نفوس التابعين مزيجا من الدهشة والرضى.

المصدر: نيكولو ميكافيلي، الامير، ترجمة: عبد القادر الجموسي، (عمان: وزارة الثقافة الاردنية، 2011)، ص: 61 – 62.

النموذج الثاني: برر جمال عبد الناصر حاكم مصر هزيمته في حرب 1967 قائلا بانه كان ينتظر العدو من الشرق فجاءه من الشمال والغرب، واوجد كبش فداء فقد اتهم سلاح الطيران بالتقصير وقدم قيادته الى المحاكم العسكرية وقال ان ما حدث لم يكن هزيمة بل نكسة وان العدو قد تمكن فقط من احتلال الأرض ولم يتمكن من احتلال الإرادة العربية.

المصدر: د. إبراهيم دسوقي اباظة، الخطايا العشر من عبد الناصر الى السادات، ط:2، (القاهرة: الزهراء للاعلام العربي، 1985)، ص:21.

النموذج الثالث: القى صدام حسين مسؤولية اندحار الجيش العراقي امام قوات التحالف بعد غزو العراق للكويت في عام 1991 على بعض القادة العسكريين وأعدمهم بحجة انهم السبب في الهزيمة.

- تمعن في الاستبداد كلما توغلت فيه ومثلها كمثل المدمن على المخدرات الذي يشعر في بداية تعاطي المخدرات بالمتعة ولكن ما ان يدمن عليها حتى تبدأ

معاناته من اثارها السلبية ويتمنى لو لم يكن قد اختبرها، وقد اشار شكسبير في مسرحية **ماكبث** الى ان الملك ماكبث كان مستبدا ولم يدرك ابعاد اضرار استبداده الا بعد فوات الاوان حين لم يكن بإمكانه التوقف عن الاستمرار في نهجه بعدما توغل في الاجرام وتلطخ بدماء ضحاياه، ويقول ماكبث "ولقد توغلت في الدم بعيدا حتى اذا ما اردت التوقف عن الخوض ابعد كان التراجع عنه متعباً كالمضيّ فيه"(11).

- تعتقد ان حصونها وحماياتها وأجهزتها الأمنية والمخابراتية وبطانتها قادرة على حمايتها من الزوال.
- لا تفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لكي تبسط هيمنتها على جميع مفاصل الدولة المهمة وتضع نفسها وعائلتها وحاشيتها فوق القانون(12).

الفصل الرابع

المتضررون من القيادة المستبدة

القيادة المستبدة

عائلة القيادة المستبدة وبطانتها والحلقات القريبة منها

التابعون

البيئة

الفصل الرابع

المتضررون من القيادة المستبدة

تكشف الوثائق التي تتناول سيرة القيادات المستبدة عبر تاريخ الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها ان الاضرار التي تترتب عن استبدادها تصيب الجميع دون استثناء (القيادة المستبدة نفسها وعائلتها والحلقات القريبة منها والتابعين والاوطان والبيئة) ويترتب عنها نقص مهول في الانفس والأموال وتدمير للبنى التحتية ولها ارتدادات سلبية على الافراد في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والاخلاقية والبيئية.

يضاف الى ما تقدم فان اضرار القيادة المستبدة لا تقتصر على الجيل المعاصر لها وانما تصيب عدة أجيال في المستقبل في بلد القيادة المستبدة وفي الأقطار التي تطؤها اقدام المهاجرين منها، وفيما يأتي الجهات المتضررة من القيادات المستبدة:

- القيادة المستبدة
- عائلة القيادة المستبدة وبطانتها والحلقات القريبة منها
- التابعون
- البيئة

أولا: القيادة المستبدة

تعد القيادة المستبدة اول الجهات المتضررة من استبدادها واكثرهم خسرا فهي في الحقيقة تظلم نفسها وتختار لنفسها نهاية مأساوية ومآلاً الى زوال غير مأسوف عليها وتلاحقها اللعنات، ويؤكد هذا قوله تعالى "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون"(1)، وهي اسوأ عدو لنفسها وتعيش طيلة حياتها في توجس وترقب وقلق وخوف، اذ تتعرض للمطاردة و/ او السجن والتعذيب وربما للتصفية الجسدية منذ بداية حياتها السياسية ضمن المعارضة، وتعيش قلقا خوفا بعد تسلمها السلطة رغم انها تجند عشرات الافراد لحمايتها على مدار الساعة وتجهزهم باحدث التقنيات ولكنها لا تثق بهم مطلقا وتراقب تحركاتهم باستمرار لشعورها بانه التابعين يبغضونها ولا يثقون بها ولا يتعاونون معها ولا يحملون أقوالها وافعالها محمل الخير ويتربصون للإطاحة بها وتسرهم المصائب والكوارث والأزمات التي تحل بها ولا يؤدون أعمالهم بالكفاءة المطلوبة ويدمرون مؤسسات نظامها او يسرقونها، ولا يمدونها بمعلومات تسهم في اثراء افكارها وخططها وأهدافها وترشدها الى الاصوب والاصلح للمصلحة العامة وتعيد اليها الرّشدَ كلّما زاغت أو فرّطت في الحقوقِ العامّة أو أفرطت في استغلال سلطاتها فضلا عن ذلك يتخلون عنها وينصرون اعداءها بقصد التخلص منها عند اول سانحة.

وتنتهي حياة القيادة المستبدة بعد الاطاحة بنظامها اما بالسجن و/او الاعدام او بالهروب الى بلدان أخرى، وغالبا ما تندم يوم الإطاحة بها يوم لا ينفع الندم وتود لو ان بينها وبين ذلك اليوم امدا بعيدا، وتؤكد هذا الحقائق مآلات القيادات المستبدة مثل صدام حسين حاكم العراق ومعمر القذافي حاكم ليبيا وزين العابدين بن علي حاكم

تونس وعلي عبد الله صالح حاكم اليمن وعبد العزيز بوتفليقة في الجزائر وجعفر النميري في السودان وعيدي امين رئيس اوغندا وشاوشيسكو حاكم رومانيا.

ومما يستدعي الاستغراب والدهشة والتساؤل هو ان المستبدين في مشارق الارض ومغاربها لا يتعظون بما آل اليه مصير المستبدين الذين سبقوهم عبر مسيرة الإنسانية حين انتهت حياتهم اما بالهرب الى بلدان اخرى او بالسجن او القتل والاعدام من قبل الذين عانوا من استبدادهم، ويؤكد هذا ان الاستبداد يكون كارثة على القيادات المستبدة نفسها ومع ذلك يصرّ المستبدون على اقتراف ذات الاخطاء والانحرافات وربما اكثر من ذلك بسبب هوسهم بالسلطة والمنافع التي تدرها عليهم ويثبت هذا قوله تعالى "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[2].

ويوجه الله عز وجل الناس الى النظر والتفكر في عاقبة المفسدين واخذ العبر والدروس منها في قوله تعالى "فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ"[3]، وقوله تعالى "فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ"[4].

وصفوة القول وخلاصته ان القيادة المستبدة تظلم نفسها وتجعل ظلمها واستبدادها يحيق بها وتذوق وبال افعالها وينهار حكمها الذي تأسس على مصادرة حريات الرعية وحقوقهم ومثلها كمثل الذي يؤسس بنيانه على حافة جرف هارٍ فينهار به، ويؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"[5]. ولكن الغريب في الامر ان القيادات المستبدة لا تدرك هذه الحقيقة الا بعد فوات الأوان لعمى بصيرتها.

إضرار القيادة المستبدة بنفسها

عهدت قوات التحالف التي احتلت العراق في بداية 2003 الى احد عناصرها مهمة التحقيق مع صدام حسين حاكم العراق (1979 – 2003) بعد ان اسقطت نظام حكمه.

وقال صدام حسين لذلك المحقق الامريكي بانه كان يخشى على حياته من الجميع وانه لم يعرف طعم الاستقرار النفسي والعائلي والاجتماعي ولم يستخدم الهاتف النقال ولم ينم في بيتٍ واحدٍ ليلتين متتاليتين منذ 1990 لغاية سقوط نظامه في 2003، وبعد سقوط نظامه كان يعاني من عذابات اشد مرارة فقد قُتل ولداه عدي وقصي وهربت عائلته الى خارج العراق واختبأ هو في حفرة (بعد ان كان يملك 45 قصرا فارها) الى حين قبض عليه واودع في السجن، وكان يتوقع الاعدام في اية لحظة منذ يوم القاء القبض عليه حتى يوم اعدامه في عام 2006 أي انه كان يعيش معاناةً وقلقاً مدة تزيد على ثلاث سنوات وهكذا اذاقه الله تعالى وبال طغيانه واستبداده.

وتؤكد الحقائق ان جميع الحكام المستبدين مهما طالت مدة حكمهم يواجهون ذات المصير الذي واجهه صدام حسين مع اختلاف في بعض التفاصيل، فقد واجه ذات المصير حاكم ليبيا المستبد معمر القذافي (1977-2011) وحاكم اليمن المستبد علي عبد الله صالح (1978- 2012)، وحاكم رومانيا نيكولاي تشاوتشيسكو (1967- 1989)، اما زين العابدين بن علي حاكم تونس (1987-2011) فقد هرب من بلاده، كما هرب رئيس حكومة موريتانيا معاوية ولد سيدي أحمد ولد الطايع (1982-2005)، وفضل هتلر الانتحار قبل ان يلقى القبض عليه، كما القي القبض على موسوليني وهو متخف في زي فلاح ثم أُعدم رميا بالرصاص، وامضى الجنرال بينوشي الذي أطاح بنظام سلفادور آلندي عام 1973 اخر سنوات حياته مجرما متنقلا بين المحاكم، وقد رسم الكاتب الروائي غابريال غارسيا ماركيز نهاية الطغاة في رائعته «خريف البطريق".

ثانياً: عائلة القيادة المستبدة وبطانتها والحلقات القريبة منها

تعيش عائلة القيادة المستبدة وبطانتها والحلقات القريبة منها خوفا مزدوجا، الاول هو خوفهم من المستبد نفسه فهو يشك بولائهم ويراقب جميع تحركاتهم وسكناتهم واقوالهم ويبطش بهم بقسوة عندما يتبين له انهم ليس كما يرغب منهم ان يكونوا ليجعل منهم عبرة للآخرين، والخوف الثاني هو من ضحايا الاستبداد وتوجسهم من انتقامهم منهم.

كما تُمنى بطانة القيادة المستبدة والحلقات القريبة منها والمتزلفين والمداهنين لها بخسارتين فادحتين الاولى عند الاطاحة بالقيادة المستبدة فهي تتبرأ منهم ولا تدافع عنهم كما في قوله تعالى "إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ"[(6)]، وتدعي أنها لم تفرض عليهم طاعتها كما يظهر في قوله تعالى "قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ"[(7)]، اما خسارتهم الفادحة الثانية فتصيبهم عندما تتسلم السلطة الجهات التي تطيح بالقيادة المستبدة وتتولى مطاردتهم ومصادرة ممتلكاتهم وايداعهم في السجون ومحاكمتهم وفرض عقوبات قاسية تصل الى حد الإعدام مهما حاولوا التملص من تبعات افعالهم بالتذرع بأنهم لا حول لهم ولا قوة وما هم الا مجرد ادوات منفذة لأوامر القيادة المستبدة[(8)].

وصفوة القول ان القيادة المستبدة تتبرأ من مناصريها عندما يطاح بها وهم يتبرؤون منها، وكلاهما يكون في حالة الدفاع عن نفسه، ويكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً، ويؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى "إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا

وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ "[9]، ويظهر في هذه الايات الكريمة ان القادة المستبدين الظلمة والاتباع الضعفاء يتبرأ كل منهم من الاخر، وقد ذكر شكسبير في مسرحية يوليوس قيصر ان أعوان يوليوس قيصر Julius Caesar هم الذين اطاحوا به واجهزوا عليه بالطعن بما فيهم صديقه بروتس الذي كان يتوقع منه مناصرته لكنه طعنه الطعنة القاضية التي صُنّفت من أسوأ الطعنات وأبشعها في التاريخ عند ذاك قال يوليوس قيصر لبروتس وهو يلفظ آخر أنفاسه "حتى أنت يا بروتس.." وقد أصبحت هذه العبارة من أشهر العبارات والأقوال في التاريخ التي تجري مجرى الأمثال للإشارة إلى خيانة غير متوقعة.

التابعون يتبرؤون من القيادة

تقطع الوقائع ان التابعين يتنصلون عن القيادة المستبدة عندما يطاح بها، وقد حدث هذا الامر مع صدام حسين حاكم العراق 1979-2003 فقد تبرأ منه جميع اعوانه وبطانته الذين كانوا يهتفون له بالروح بالدم نفديك يا صدام ولم يجد له ناصرا يوم غزت أمريكا العراق واطاحت به في عام 2003.

ثالثاً: التابعون

تصيب التابعين اضرارٌ اقتصادية ونفسية واجتماعية وثقافية وعلمية لا حصر لها بسبب القيادة المستبدة من أهمها انها تفقرهم وتنشر في صفوفهم الجهل والتخلف ومذمومات الاخلاق والامراض العضوية والنفسية والفساد المالي والاداري

والاخلاقي، وتزجهم في حروب أهلية و/ او خارجية تستهلك مواردهم البشرية والاقتصادية وتعمق في بيئتهم التخلف على جميع الصعد، وليس هذا فحسب فهي تتابع تحركاتهم وتودع كل من تسول له نفسه معارضتها في سجون يتعرضون فيها الى اقسى صنوف التعذيب والتصفيات او تدفعهم الى الهجرة مخلفين عوائلهم وتاريخهم وبيئتهم.

رابعا: البيئة

تؤجج القيادات المستبدة الحروب (الاهلية و/ او الخارجية) بقصد اشغال التابعين عن استبدادها وفسادها فينجم عن ذلك قتل واعاقة مئات الآلاف من الرجال ويترك وراءها مئات الآلاف من الارامل والايتام ومئات الآلاف من الهاربين الى بلدان أخرى، وتدمر القطاعات الاقتصادية وتجعل الكثير من الافراد يعانون من اضطرابات صحية ونفسية وعاطفية إضافة الى تدمير البيئة والمناخ.

ومن اهم التأثيرات السلبية للحروب العبثية التي تفتعلها القيادات المستبدة في البيئة هي تجفيف البحيرات والمسطحات المائية كما حصل في اهوار جنوب العراق، وجرف الأراضي وتلوث المياه والتربة والهواء ورفع معدلات انبعاثات الغازات الدفيئة المسببة للاحترار العالمي في الغلاف الجوي، وحرق المدن وتدمير البنى التحتية وتدمير التنوع الاحيائي والغطاء الحرجي والغابات والأراضي الزراعية والمسطحات المائية وقتل الاحياء في الأنهر والبحيرات والمحيطات واحداث نقص كبير في السلع والخدمات وتؤدي الى تضخم اقتصادي كبير يثير اضطرابات ومشكلات اقتصادية واجتماعية لا حصر لها ويرفع معدلات الهجرة[10].

ويؤكد ما تقدم ان الحروب التي تشعلها القيادات المستبدة تعد اهم معيقات التنمية المستدامة في بيئة البلدان المتحاربة فهي تغيير مسار الموارد البشرية والمالية الى جبهات القتال بدلا من توظيفها في تطوير القطاعات الاقتصادية لاجل الترقي بحياة الافراد الى الأفضل (11).

المتضررون من القيادة المستبدة

قدم القرآن الكريم فرعون كنموذج للقيادة المستبدة وعرض المصير الذي انتهى اليه فقد اغرق نفسه وقومه في البحر في الدنيا وجعل مصيرهم إلى النار في الآخرة ويتجلى ذلك في قوله تعالى "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ".

الفصل الخامس

آليات استدامة القيادة المستبدة

اهم آليات استدامة القيادة المستبدة

أساليب القيادة المستبدة مع المعارضة

استمرار القيادة المستبدة في السلطة

الإطاحة بالقيادة المستبدة

الفصل الخامس

آليات استدامة القيادة المستبدة

لا تدخر القيادة المستبدة بعد الوصول الى موقعها جهدا او قوة او إمكانات او وسائل وآليات ومبررات الا وظفته من اجل الاستمرار في موقعها الذي تتمسك به وتعض عليه بالنواجذ ولا تتخلى عنه في جميع الأحوال حتى الرمق الاخير بصرف النظر عن الاكلاف المادية والمعنوية التي تدفعها لتحقيق شعارها "جئنا لنبقى" كتعويض عن معاناتها من الاضطهادات والحرمان ولتتمكن من امتلاك القوة المطلوبة للهيمنة على الاخرين وقهرهم ومصادرة حرياتهم وحقوقهم والزامهم بانفاذ اوامرها وكذلك للحصول على النفوذ influence والجاه prestige والامتيازات privilege والثروة wealth.

وقد ادركت القيادة المستبدة بصورة واضحة لا لبس فيها ان الاعتماد على محض القوة لا يمكنها من الاستمرار في موقعها رغم اهمية القوة في ذلك، ولذلك توظف عدة آليات لأجل استدامتها في موقعها وتجتهد باستمرار في تطوير تلك الاليات كيفيا وكميا مستفيدة من خبراتها وخبرات القيادات المستبدة التي تمكنت من الاستمرار في موقعها وبسطت سيطرتها على التابعين وطوعتهم واحتوت طموحاتهم التي تعتقد انها تشكل خطرا كبيرا على استمرارها في موقعها، ويؤكد فريد هيات محرر

صحيفة الواشنطن بوست الامريكية في قوله أن الحكام المستبدين يستمرون في «صقل» أساليبهم في البقاء في السلطة من خلال «التعلم» من بعضهم البعض.

آليات استدامة القيادة المستبدة

قبل تناول الآليات التي توظفها القيادة المستبدة لاستدامتها في موقعها لا بد من القول ان تلك الاليات لا يمكن ان تحقق الأهداف المطلوبة منها ما لم تتوفر المعطيات الاتية:

- قيادة مستبدة تستولي على موقعها بطرق غير مشروعة (الاستيلاء والغلبة والقهر والتزوير وشراء الذمم ومنع الافراد من ممارسة دورهم في اختيار قيادتهم والبطش بالمعارضين...) وتنظر الى نفسها على انها وصيٌّ على التابعين وصانع ومجسد لإرادات وطموحات مجتمع قاصر ومتخاذل وغير قادر على إدارة شؤونه والتحكم بمصيره، وغاية غاياتها الاستمرار في موقعها أطول وقت ممكن وتقاتل من اجل ذلك الامر بكل ما اوتيت حتى لو تطلب الامر ممارسة البطش والتنكيل بالآخرين ومصادرة حرياتهم وحقوقهم ونهب ثرواتهم او تقديم تنازلات لجهات اجنبية ومحلية.
- تابعون خانعون خاضعون مسلوبو الرأي والحرية ويتخلون عن دورهم في تقرير مصيرهم واختيار قيادتهم وتقويمها ومراقبتها ومساءلتها او يلتزمون الصمت عن استبدادها وانحرافاتها واخطائها وخطاياها بسبب خنوعهم او جهلهم او لامبالاتهم ولا يحاولون الاطاحة بها عندما لا تلتزم بتحقيق أهدافهم وتصادر حرياتهم وحقوقهم.

- معارضة ضعيفة وتتميز بهشاشة ايديولوجيتها وتنقصها الرؤى والاهداف الواضحة ولا تحضى بقبول جميع الاطياف المناهضة للاستبداد ومخترقة من قبل القيادة المستبدة، واقصى طموحاتها الوصول الى السلطة وامتيازاتها وليس تحقيق اهداف الجماهير وامالهم، إضافة الى كثرة اخطائها وخطاياها وازماتها وعجزها عن إيقاف القيادة عن استبدادها وانحرافاتها او الإطاحة بها، وجلّ ما تعمله هو طرح شعارات تفتح المزيد من الامال والطموحات التي تستهوي الجماهير وتلهب عواطفهم ولكنها في ذات الوقت تشل التفكير الحر الواعي القادر على اعداد العدة للتحرك نحو الأهداف الحقيقية، لذلك لا يتحفز الافراد للانضمام اليها ومؤازرتها، والادهى والامرّ من ذلك هو ان عدد أعضائها والداعمين لها يتناقص باستمرار **بعدما استيأسوا** من قدرتها على تحقيق أهدافها المعلنة، ولا تطرح في برامجها الا الاستئثار بالسلطة والتفرد بالقرارات واقصاء كل ما هو مخالف وتكرار تجربة النظام المستبد، إضافة ذلك فان قيادات أحزاب المعارضة مستبدة هي أيضا ولا توفر لأعضائها فرصة النقد وطرح أفكارهم بصدد مختلف الأمور ومناقشة قراراتها مهما علا شأنهم الفكري والسياسي اذ تفرض عليهم التبعية لها والتماهي معها وتكرس الركود المعرفي والابداعي لديهم، ولا تمارس النهج الديمقراطي في التبادل السلمي لموقع القيادة وانما تستمر في مواقعها حتى وان بلغت ارذل العمر او أضحت غير مؤهلة جسديا ونفسيا وكفاءة وهي بذلك لا تختلف مطلقا عن القيادة المستبدة في عدم ممارسة الديمقراطية [1]، وهذا ما جعل الأنظمة المستبدة في البلدان المتنامية تستهين بالمعارضة وتنظر اليها على انها مجرد خدش في جسد فيل لا يؤلم ولا يوجع ولا تكون أكثر من مجرد دغدغة لمشاعر الجماهير واحاسيسهم من دون وخز ولا تشكل تهديدا حقيقيا يرغم

الأنظمة المستبدة على احترام المعارضة والتفاوض معها والاستجابة الى مطالبها او التوقف عن سوء الاستبداد والانحرافات ومصادرة الحريات والحقوق ونهب الثروات.

- ➢ جهات اجنبية ومحلية تدعم الاستبداد.

اهم آليات استدامة القيادة المستبدة

تتباين الاليات التي توظفها القيادات المستبدة في توطيد موقعها والاستمرار فيه تبعا لطبيعة الجهات المساهمة في صناعتها (المستبد والتابعون والجهات الداعمة للاستبداد) ومعطيات البيئة المحيطة بتلك الصناعة، هذا من جهة ومن جهة أخرى تعمل القيادات المستبدة على تطوير تلك الاليات باستمرار انسجاما مع المتغيرات المحيطة بها والمؤثرة فيها، ولذلك لا يمكن الإحاطة بجميع اليات استدامة القيادة المستبدة، ولكن لعل الاتي يسلط الأضواء على اهم تلك الاليات:

- توطد القيادة المستبدة علاقاتها بالجهات الخارجية والمحلية التي اوصلتها لموقع القيادة لتضمن الاستمرار في ذلك الموقع، فتقدم التنازلات تلو التنازلات لتلك الجهات وتبالغ في طاعتها، وتوفر لها أوسع الفرص لتحقيق غاياتها ومصالحها الاقتصادية والسياسية وتنظم علاقاتها معها على وفق منهج التراضيات والخضوع لإملاءاتها خشية استبدالها بقيادات أخرى انطلاقا من ايمانها بانها ما هي الا جسم ميكانيكي تحركه تلك الجهات، فقد شبه اللورد كرومر النظام السياسي في مصر في كتابه **"مصر الحديثة"** بالآلة الميكانيكية الصامتة التي تحركها وتنظم سيرها سلطة المندوب السامي البريطاني المتوارية

عن الأنظار، وان المجتمع المصري عنده هو المادة الخام التي تبتلعها الالة الميكانيكية وتعيد صهرها وانتاجها على وفق مصالحها[2].

- تجعل المواطنين محض تجمع بشري غير قادر على التوافق على ثوابت وطنية وهوية جامعة مشتركة ترفعهم الى مستوى مجتمع موحد له اهداف مشتركة يسعى الى تحقيقها[3]، وتعطل طاقاتهم وتحولهم الى موجودات هامشية او أكوامٍ بشرية ساذجة وغبية مشبعة بالأنانية ورعية قاصرة لا تمتلك زمام امرها ولا طاقة لها على الإنتاج والتطور والإنجاز والإبداع ومنشغلة بسفاسف الامور ويتجسس بعضهم على البعض، ولا يَثِقون بأنفسهم وغير قادرين على المشاركة في التخطيط وصنع القرارات المتعلقة بالجوانب المهمة بحياتهم ومستقبلهم او تقديم المشورة والنصح للقيادة المستبدة أو الاعتراض عليها او محاسبتها ومساءلتها، ويؤمنون بانها متفضلة عليهم ببعض الفتات من المكاسب والامتيازات المادية والمعنوية او عندما تترك لهم فسحة من الحرية في الحدود التي لا تتعارض مع مصالحها[4].

- تفتعل حروبا أهلية او مع الدول الأخرى لا طائل منها، فما ان تخمد حرب حتى تفجر أخرى في موقع اخر او في وقت لاحق او تنقل المعركة بينها وبين الدول الاخرى الى التابعين او تعمد الى خلق أعداء "وهميين" وتبالغ في تضخيم تهديداتهم لأمن البلاد او تختلق fabricate ازمات ومشكلات سياسية وامنية واجتماعية واقتصادية [5].

تنقل القيادة المستبدة المعركة بينها وبين اعدائها الى الرعية

نقل فرعون معركته مع موسى عليه السلام الى الرعية وطلب اليهم اتخاذ القرارات المناسبة لتقرير مصيرهم، فقد صور لهم ان موسى عليه السلام يريد ان يخرجهم من ارضهم ويتجلى ذلك في قوله تعالى "يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ".

وقد وظفت هذه الالية جميع القيادات المستبدة عبر مسيرة الإنسانية وفرضت على الرعية المشاركة في الحروب التي تفتعلها ليس دفاعا عنها وانما دفاعا عن أنفسهم او اوطانهم او مصالحهم او قيمهم او معتقداتهم، فمثلا وظف هذه الالية صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) في جميع الحروب العبثية التي اججها مع الاخرين بقصد اشغال العراقيين عن استبداده ومصادرته للحريات والحقوق وفي ذات الوقت تدمير إمكانات العراق وقدراته وجعله الدولة الأضعف في المنطقة لكيلا يؤدي دوره في الذود عن نفسه والدفاع عن مصالح الامة.

- تسرف في توظيف العنف والقمع مع الجميع لتعزز سلطتها بالشراسة الأمنية والمخابراتية ومراكمة أدوات سيطرتها وتكون أكثر فتكا بالتابعين وتجعلهم في خوف وقلق ولا تسمح لهم بالدفاع عن انفسهم ولا يأبه قضاتها ووعاظها بصراخهم ببراءتهم من كل التهم المنسوبة اليها.

اسراف القيادات المستبدة في توظيف العنف مع التابعين

كان صدام حسين حاكم العراق 1979-2003 يبطش بالمختلفين والمعارضين بقسوة ويجعل منهم عبرة لمن اعتبر من الاحياء لكيلا تسول لهم انفسهم التفكير بمعارضته او مخالفته وليردعوا نواياهم ذاتيا ويتحولوا الى رقباء على انفسهم ولا يسمحون لها حتى بالاستفسار او السؤال عما يجري لهم وللبلاد ويتحولون الى دمى يوجهها الى حيث يشاء ومتى يشاء ومساندين له ويهتفون له "بالروح وبالدم نفديك يا صدام"، فقد كان يلقي بهم في السجون لأزمان غير محددة ويعرضهم لابشع أنواع التعذيب المهين والاليم، وينفذ حكم الإعدام بالبعض منهم في السجون او امام الاخرين دون محاكمة، ويفرض على عوائل المعدومين تسديد ثمن العيارات التي اطلقت على ذويهم المعدومين وإعلان البراءة منهم وان لا تظهر عليهم علامات الحزن، واباد مدينة كاملة (مدينة حلبجة) بالسلاح الكيمياوي، وكان يتولى تصفية معارضيه بالجملة ويدفنهم في مقابر جماعية، ويتابع تحركات الذين هربوا من بطشه الى خارج الوطن ويصفي بعضهم ويعاقب ذويهم الذين يتواصلون معهم، وكان طيلة سنين الحرب العراقية مع ايران التي امتدت الى ما يقارب تسع سنوات يرغم الشباب على الانخراط في تلك الحرب التي راح ضحيتها مئات الالاف منهم ومثل هذا العدد او اكثر معاقون بدنيا ونفسيا، وقد أسس وحدات في الجيش تكون خلف القطعات العراقية المشاركة في الحرب مهمتها قتل كل من يهرب من تلك الحرب خوفا او رفضا رميا بالرصاص امام الجميع، وقد نفذت تلك الوحدات مهمتها فقتلت عشرات الالاف من الهاربين من الحرب.

وقد خاطب في احد اجتماعاته حشداً من المسؤولين في نظامه قائلا: "انا استطيع بمجرد النظر الى أي شخص معرفة ما يفكر به" لزرع الخوف منه في نفوسهم، وقد فرض على بعض العوائل تصفية أبنائها بايديها، وخاطب الافراد في احد الاجتماعات قائلا: "انا لو قتلت واحدا او اثنين او مئة او عشرة الاف لا اشعر بالذنب" وكان يفعل كل ذلك وغيره ليرعب القاصي والداني ويجعل كل واحد يردع نفسه ذاتيا ويضبط سلوكه وافكاره ونواياه المعلنة والمخفية ويجعلها تنسجم مع تطلعاته ورغباته ويجعل الافراد مترددين في طرح أفكارهم والتعبير عن مشاعرهم حتى التي لا تمس سياسته وحكمه ويجلدون انفسهم وينتقدونها ويلومونها بقسوة ما بعدها قسوة عندما يراودها مجرد التفكير في معارضته او الاختلاف معه وكان من جانب اخر يقدم مكافآت كبيرة لمن يقدم لاجهزته معلومات عن تحركات المعارضين والمختلفين لجعل الثقة بين الافراد مفقودة والكل يشك في الكل.

- تنظر الى المعارضة بانها من مثيرات الفتن والشغب ومزعزعات الامن والاستقرار ومصدر خطر على الوحدة الوطنية وتتهم المعارضين بالخيانة والعمالة والشغب والتآمر وترميهم بكل نقيصة وتستخف بافكارهم وقدراتهم ومساهماتهم وتفرض عليهم ومن له علاقة بهم عقوبات مادية ومعنوية في غاية القسوة لتقضي عليهم وعلى كل من تسول له نفسه معارضتها او ترغمهم على الانسحاب من الحياة العامة او تدفع المعارضة الى توظيف العنف لكي تبرير سحقها على وفق مبدأ حق القيادة في استخدام القوة في الدفاع عن مصالح البلاد، ويشير غراهام فولر "Graham Fuller" الباحث في مؤسسة راند الأميركية الى ان السلطتين في الجزائر ومصر وظفتا هذا الأسلوب اذ دفعتا المعارضين إلى توظيف العنف من أجل تبرير سحقهم تحت شعار محاربة الإرهاب[6]، ويظهر في القرآن الكريم ان فرعون قضى حتى على الأطفال عندما راوده الشك بان واحداً منهم سيكون عدواً له او سيقتله في المستقبل ويتجلى ذلك في قوله تعالى "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ"[7].

- تستغفل المعارضة وتحجم نشاطها من خلال جعلها من جبهة تتولى هي قيادتها، او تسند مواقع وظيفية غير مهمة لبعض قياداتها، او تفتعل التعاطف معها أو تبادر لاستضافتها كتعبير عن نواياها الحسنة تجاهها لجعلها تعتقد بأنها على وشك اتخاذ إجراءات تسهم في تسوية الخلافات معها ولكنها في حقيقة الامر ليس لديها نية صادقة لتسوية الخلافات، وتؤكد الحقائق ان الكثير من المعارضة قد وقعت في حبائل السلطة والحقت بنفسها اضرارا بالغة وفي

ذات الوقت منحت السلطة قوة اضافية جعلتها تستقوي عليها ولا تعبأ بها وتفرض عليها إملاءاتها وتطارد المعارضين في كل مكان بشراسة وتودعهم السجون لآماد غير محددة يتعرضون فيها الى اقسى أنواع التعذيب المهين والأليم بدنياً ومعنويا، او تتولى تصفيتهم بصورة مباشرة او غير مباشرة بعدة أساليب.

نماذج من أساليب البطش بالمعارضة

وظف صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) عدة أساليب في مطاردة المعارضة والتنكيل بها واودعهم المعارضين له في سجون يتعرضون فيها للتعذيب والتصفيات، فمثلا نقل الامراض المميتة للمعارضين من خلال استدعاء بعض المرضى المصابين بالتدرن الرئوي وهو مرض خطير وفرض عليهم البصق في افواه المعارضين الذين يعتزم تصفيتهم، او يسقي السجناء من المعارضين السم الزعاف مذابا باللبن او العصير او الشاي ثم يطلق سراحهم من السجن لكي يموتوا بعد أيام، وكان يحرم عوائل المعارضين من الحصول على الوظائف ولا يسمح لهم بالالتحاق بالدراسة الجامعية ولا بالسفر ويراقب تحركاتهم.

- تخلق او تستقطب كفاءات في جميع التخصصات مهمتها تمكينها من الاستمرار في موقعها، وفي ذات الوقت تقصي جميع الكفاءات التي لا تعمل لصالحها[8].

توظف القيادة المستبدة المختصين في تحقيق غاياتها

يظهر في القران الكريم ان فرعون وظف ذوي الخبرة في تحقيق أهدافه وتعهدهم بالمكافآت المادية والمعنوية، ويتجلى ذلك في قوله تعالى "وَقَالَ فِرْعَوْنُ **ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ"**، وقوله "وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ **قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ"**،

- تجعل من نفسها الخيار الوحيد للتابعين فتفرغ الساحة من أي بديل لكي تصبح الخيار الوحيد وفي خلافه ليس امامهم الا هي او الفوضى والفتنة والحرب الأهلية وعدم الاستقرار.
- تضع افراد المجتمع في ثلاث مجموعات، تتألف المجموعة الاولى من بطانتها والداعمين والمساندين والمداهنين والمتزلفين ووعاظ السلطة الذين يتعامون او يغضون الطرف عن استبدادها او يبررونه، او يعدون التذمر منها خروجا على تعاليم الدين وفتنة وفوضى وخراب ولا سبيل للامن والاستقرار الا بطاعتها والصبر عليها او يروجون بان الله تعالى اختارها من بين عباده لتكون منفذا لتعاليمه، وتجعل هذه المجموعة من المقربين لها وتغدق عليهم المكافآت المادية والمعنوية، وتمنع المساس بهم والاعتراض على فتاواهم وتحميهم بقوانينها وتعليماتها وأجهزتها وتنظر الى كل من يقدح بهم او يعترض عليهم مشكوكا في ايمانه وصلاحه، وتتألف المجموعة الثانية من المعارضين والمختلفين معها وتنظر اليهم بانهم يشكلون تهديدا لها فتتابع نشاطاتهم وتلاحقهم وتحاربهم وتقصيهم وتقضي عليهم دون هوادة، وتضم المجموعة الثالثة الأكثرية وهم الدهماء وهؤلاء تديرهم بالخوف والتهديد والعقوبات والاكراهات وتجعلهم يعيشون في فقر

مدقع وجهل مطبق وتخلف شديد وذعر ورعب وقلق على ارواحهم وارزاقهم ومستقبلهم ولا يعرفون من اين يأتيهم الخطر منها ومتى تصادر حريتهم وحقوقهم او تودع كل من يعالنها منهم المخالفة في سجون يتعرضون فيها الى اشد التعذيب المهين الأليم او تتولى تصفيتهم او تطردهم من وظائفهم وتستخف بهم وتتجاهل اهدافهم وحاجاتهم وتفسد نيّاتهم وسلوكهم وتسقطهم في فخ الذل والعبودية والخضوع واستمراء الظلم وقبول التنازل عن حرياتهم وحقوقهم ويصمتون عن قبيح افعالها وظلمها وانحرافاتها، ويقدم القرآن الكريم فرعون نموذجاً عن تلك القيادات فقد استخف قومه، ويظهر ذلك في قوله تعالى "وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُون أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ"[9]، وقال نيكولاي تشاوتشيسكو رئيس رومانيا (1974 – 1989) عندما تظاهر الشعب ضده "أبيدوا هذه الحشرات بالمبيدات"، اما معمر القذافي رئيس ليبيا لمدة 40 عام فقال "انا المجد وانا العزة وهؤلاء الجرذان (المعارضون) هم الجرذان والخونة".

- تفقر التابعين وتتحكم بأرزاقهم وتشغلهم في تدبير قوت يومهم لكيلا يتوفر لهم الوقت للتفكير بحرياتهم وحقوقهم والمطالبة بها ومن جهة اخرى تفرض عليهم تلبية رغباتها وانفاذ اوامرها، وتجعلهم في موقف نفسي في غاية الصعوبة والتعقيد ويشعرون بأنهم هم المسؤولون عن فقرهم وتعاستهم ويأسهم وقنوطهم واكتئابهم وتخلفهم، والادهى من ذلك ترغمهم على التظاهر بالرضى عنها وتأييد جميع

خططها وقراراتها وقبيح افعالها وانحرافاتها وفسادها وأمرهم كما يصفه المتنبي قائلا:

"أريك الرضى ولو اخفت النفس خافيا فلا انا عن نفسي ولا عنك راضيا"

افقار الرعية

تهب القيادات المستبدة الثروات او تبددها لتجعل الرعية تعيش في فقر وهمهم كيفية الحصول على لقمة العيش، وتؤكد هذه الحقيقة ان مستويات معيشة الشعوب في دول الحكومات المستبدة تتدنى أرقامها تحت خطوط الفقر التي رسمها البنك الدولي، وإن مدن الصفيح والسكن العشوائي هي ظاهرة بارزة في معظم الدول التي يحكمها الطغاة المستبدون.

- تنشر الجهل وتعمقه وتسيّد أهله وتبقي التابعين في منطقة الجهل ويألفون الترهات والأراجيف والأساطير، ومن جهة أخرى تحتقر العلم وتجعل بينها وبين اهله حربا دائمة وطرادا مستمرا، فتستبعد اهل العلم والكفاءة من دائرة المشاركة في التخطيط والقرارات والادارة، او توظفهم في خدمة مصالحها فلا يتخذون قراراً إلَّا ما أذنت به، ولا يرون رأيًا غير رأيها، ولا يشاؤون دون مشيئتها، ولا توفر لهم فرصاً لتطوير امكاناتهم وخبراتهم ومعلوماتهم لاعتقادها بان تطورهم يجعل منهم منافسين لها او يمكنهم من اكتشاف استبدادها واخطائها وانحرافاتها وتدني كفاءتها وسوء سلوكها وتماديها في حقوقها على حساب حقوقهم ومنحها الأولوية لمصالحها عندما تتقاطع مع المصالح العامة،

ويقول الكواكبي في هذا: "إنّ أخوف ما يخافه المستبدون العلم فهو يعرّف الناس حقيقة فضل الحرية وعزة النفس والشرف وعظمته والحقوق وكيفية المحافظة عليها ويرفع الظلم"[10].

أساليب الطغاة في استدامة استبدادهم

وصف أرسطو في القرن الخامس قبل الميلاد اساليب الطغاة في استدامة استبدادهم قائلا "القضاء على كل من يتفوق عليهم، والتخلص من الرجال أولي الألباب، وحظر التعليم وكل ما يمتّ بسبب إلى التنوّر، واتقاء كل ما يؤتي عادة الشجاعة والثقة بالنفس، ومنع ضروب الفراغ وجميع الاجتماعات التي قد يجد المرء فيها تسليات مشتركة، وعمل كل ما من شأنه جعل الرعايا يجهل بعضهم بعضاً خشية تطور العلاقات والثقة المتبادلة بينهم، وفوق ذلك متابعة تنقلات المواطنين مهما قلت قيمتها، ومعرفة كل ما يقوله الرعايا وكل ما يفعلونه، وإكراههم بوجه ما على ألا يجتازوا أبواب المدينة أبدا حتى يكون الطاغية على علم بما يعملون، وتعويدهم بواسطة هذا الاستعباد المستمر الضعة ووجل النفس، ويبث أناساً سماعين في الجماعات وفي المجالس... ويبذر الشقاق والنميمة بين المواطنين، ويوقع الأصدقاء بعضهم في بعض، ويثير حقد الشعب على بعضهم البعض ويجتهد في التفريق بينهم".

- تؤسس العديد من الأجهزة العسكرية والأمنية والمخابراتية وقوى الشرطة والجيش والمليشيات وتزودها باحدث التقنيات وتنشرها في كل مكان ليس بقصد الدفاع عن الوطن وحمايته او حماية رعاياها وانما لحماية نفسها واستدامة

نظامها، وتعهد مسؤولية إدارة تلك الأجهزة الى اكابر المجرمين وتمنحهم صلاحيات واسعة للتجسس على بعضهم البعض ومتابعة تحركات الافراد وسكناتهم وأحاديثهم وملاحقة المعارضين، وتجعلهم يؤمنون ان مصيرهم مرتبط بمصيرها وزوالها يعني زوالهم، فمثلا أسس صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) أجهزة للمخابرات والامن والشرطة ومليشيات الجيش الشعبي وحرص على تدريبها لمناصرته، واناط مسؤولية تلك الأجهزة بأقربائه ومناصريه رغم انهم لا يمتلكون اية مؤهلات علمية او خبرات عملية او عسكرية، وكذلك كان الامر مع معمر القذافي رئيس ليبيا وعلي عبد الله صالح رئيس اليمن وغيرهم من المستبدين، وقد أشار الى مثل هذه الحالة الروائي ميغيل أنخل استورياس في روايته الشهيرة "السيد الرئيس" التي صدرت عام 1946 وأوصلت كاتبها لجائزة نوبل عام 1967[11]، كما اكد جورج اورويل في روايته 1984 ان الحكومات المستبدة تؤسس شرطة تطلق عليها "شرطة الفكر" مهمتها اعتقال الأفراد على شبهة امتلاكهم افكارا مخالفة لأفكارها[12].

- توظف احدث معطيات العلم والتقنيات والأساليب في التضليل misguidance والخداع وتزييف الحقائق او طمسها او نشر معلومات مضللة عن إنجازاتها لاستدامتها وتحقيق اهدافها الشخصية وتغطية انحرافاتها واخطائها وتسطيح عقل المجتمع والهبوط بتطلعاته إلى الحد الأدنى بينما تحرم القطاعات الاقتصادية (الصحة والتعليم والزراعة والصناعة والنقل ...) من تلك التقنيات، وقد اطلق عالم الاجتماع الفرنسي لاتوش على هذه الظاهرة "التحديث دون حداثة" قاصدا بذلك التوظيف الاداتي لصالح مؤسسات الدولة وآلياتها في

السيطرة على الافراد ولكن من دون إشاعة فضائل الحداثة في القطاعات الاقتصادية التي توفر الخدمات للمجتمع [13].

- تؤسس علاقة مصالح متبادلة مع الفاسدين قصد دعم استدامتها، وتمنحهم العقود والتوكيلات دون النظر إلى ما تقتضيه المصلحة العامة او تغض الطرف عن عدم تنفيذ التزاماتهم على وفق الشروط المتفق عليها او عن مبالغ تلك العقود [14].

تنشر القيادة المستبدة مذمومات الاخلاق بين الافراد

اصدر انور السادات حاكم مصر 1970-1980 عدة قوانين وقرارات بقصد بسط سيطرته على المجتمع واستمراره في الحكم من خلال افقار الشعب المصري فزور الانتخابات واسس محاكم امن الدولة وكرس حكم الفرد والاستبداد وتعتيم الوعي وتزييفه ونشر مذمومات الاخلاق (الغدر والخيانة والتجسس على الاخرين) منها على سبيل المثال القانون الذي يفرض العقاب على اتفاق شخصين او اكثر حتى لو كانت غايته مشروعة بهدف تحريم أي نشاط سياسي شعبي ويعفي من العقوبة المقررة كل من بادر من الجناة باخبار الحكومة بوجود مثل ذلك الاتفاق، وكذلك القانون الذي يفرض عقوبات على اجتماع اكثر من خمسة اشخاص في الطريق العام اذا امرهم رجال السلطة ان يتفرقوا ولم يفعلوا ويكونون مسؤولين عن كل جريمة تحدث بسبب هذا التجمهر حتى وان لم يعلموا بها، وتطول القائمة التي تتضمن مثل هذه القوانين.

المصدر: حيدر إبراهيم علي، تجدد الاستبداد في الدول العربية ودور الامنوقراطية، منشور ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز 2005)، ص: 195.

- تعاقب الجماعة إذا أخطأ أحدهم وتخلط البريء منهم بذي الذنب قصد جعل كل واحد من الافراد رقيبا على نفسه ويمنع نفسه من فعل او قول ما يمكن ان يفسر بانه يحمل في طياته الإساءة اليها وفي ذات الان تجعل الافراد يراقب بعضهم بعضا وكل واحد منهم يمنع كل من تسول له نفسه فعل او قول ما يحتمل الإساءة اليها، ويقول الشاعر الحارث بن حلّزة اليشكري في معلقته:

"يَخلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَنبِ وَلا يَنفَعُ الخَلِيَّ الخِلاءُ".

القرود الخمسة والموز والماء البارد

أحضر شخص خمسة قرود، ووضعهم قرب شجرة موز ووضع بجانبها سلما، وما ان يبدأ قردٌ من المجموعة باعتلاء السلم محاولاً الوصول إلى الموز حتى يطلق على القردة الأربعة رشاشاً من الماء البارد يستمر حتى يعود القرد الذي اعتلى السلم، وبعد قليل سيحاول قرد آخر أن يعتلي نفس السلم ليصل إلى الموز، فيبدأ رش القردة الباقين بالماء البارد حتى يعود الى الأرض، وهكذا يستمر الامر، حتى يبدأ القردة بمنع كل قرد منهم يعتلي السلم للوصول إلى الموز خوفاً من الماء البارد، وبعد ان تعلم القردة مراقبة وضبط بعضهم البعض أخرج قرداً من الخمسة قرود من الحضيرة ووضع مكانه قرداً جديداً لم يعاصر رش الماء البارد ولم يشاهده ولنطلق عليه اسم سعدان. ولذلك سيسرع إلى السلم لقطف الموز، حينها ستهب مجموعة القردة المرعوبة من الماء البارد لمنعه وستهاجمه حتى يتعلَّم بعد أكثر من محاولة أنه إن حاول قطف الموز سيضربه باقي قرود المجموعة. ثم أخرج قرداً آخر ممن عاصروا حوادث رش الماء البارد (غير القرد سعدان)، وأدخل قرداً جديداً عوضاً عنه، ستجد أن نفس المشهد السابق سيتكرَّر من جديد حيث سيذهب القرد الجديد إلى الموز، والقردة الباقية تنهال عليه ضرباً لمنعه بما فيها سعدان على الرغم من أنه لم يعاصر رش الماء، ولا يدري لماذا ضربوه في السابق، كل ما هنالك أنه تعلَّم أن لمس الموز يعني (علقة) على يد المجموعة لذلك ستجده يشارك ربما بحماس أكثر من غيره بكيل اللكمات والصفعات للقرد الجديد ويستمر في تكرار ذات التجربة حتى أخرج آخر قرد ممن عاصروا حوادث رش الماء ووضع قرداً جديداً، وسيتكرَّر ذات الموقف وفي الاخر كان لديه قردة يمنع بعضهم البعض من الذهاب الى الموز مع انهم لم يعاصروا عقوبة رش الماء البارد.

- تختار بطانتها وحاشيتها من اكابر المداهنين والمتزلفين sycophants والنفعيين والوشاة والمرجفين والمتخاذلين والجهلة وفاقدي الخيار والإرادة او أناس من شاكلتها او اكثر خسة ووضاعة وأشدَّ خُبثاً منها وتغدق عليهم وتعزز لديهم الشعور بانهم يستمدون مواقعهم وامتيازاتهم من الدوران في فلكها وربط مصيرهم بمصيرها ليستميتوا في الدفاع عنها وتزيين قبيح افعالها او التستر عليها ولا يجدون في انفسهم حرجاً أو خوفاً أو رادعاً من ارتكاب أفظعِ الجرائم بالاخرين وأبشعِها لإرضائها حتى وان ترتب عن ذلك تجاوزات قانونية تقهر التابعين وترغمهم على السكوت [15].
- تلغي الفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية الذي يعد الضامن الأساس لمنع الاستبداد والتسلط والطغيان وتضع نفسها وبطانتها فوق القانون او لتصدر قوانين جائرة او تنفذ القوانين على وفق مصالحها، فإن شاءت طبّقتها او الغتها او عطلت العمل بها، وفي ذات الوقت تشرع قوانين ظاهرها تحقيق المصلحة العليا للبلاد والعباد وباطنها حماية نفسها وتحقيق مصالحها ومصالح بطانتها او تصدر قوانين وتعليمات القصد منها التخريب الأخلاقي، وتنشر في صفوف التابعين جميع ألوان الفساد السياسي والمالي والإداري والأخلاقي وتعمقها فيهم عموديا وافقيا[16]، كما تؤسس برلماناً صورياً لإضفاء الشرعية على قراراتها وافعالها او تزور الانتخابات البرلمانية او تتلاعب بنتائجها او ترهب الناخبين او تشتري أصواتهم او تقرر نتائج الانتخابات مسبقا وتلغي القوانين التي تمنع اعادة انتخابها [17].

تشرع القيادة المستبدة قوانين لاستدامتها

شرع أنور السادات حاكم مصر (1970-1980) قانون الانفتاح الاقتصادي وصرح بان الأسباب الموجبة لتشريعه هي تحقيق مصلحة مصر والفقراء "الغلابا" لكنه في الحقيقة فتح منافذ جديدة للفساد المالي والإداري ومكن الأثرياء من الاستيلاء على معظم مجالات الاستثمار والثروات في البلاد وقد التقت مصالح هذه الطبقة الطفيلية مع بعض أصحاب النفوذ السياسي واهم قيادات نظامه، وتسبب ذلك القانون في افقار المصريين وعمّق مذمومات الاخلاق في صفوفهم، وحدث مثل هذا الامر في العراق عندما اصدر صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) قانون الاستيراد دون تحويل عملة اجنبية الى الخارج في تسعينيات القرن العشرين وكان الهدف الظاهر منه الاقتصاد في العملات الأجنبية أيام الحصار الاقتصادي على العراق ولكنه في حقيقته مكن التجار وأصحاب الأموال الذين تربطه بهم علاقات تبادل مصالح من زيادة ثرواتهم وتسبب في رفع معدلات التضخم الاقتصادي وافقار التابعين.

- تستحدث نظاما إداريا شموليا شديد المركزية تغطي امتداداته جميع الأنشطة الاقتصادية في البلاد وتعهد قيادة مؤسساته الإدارية المهمة الى اقربائها واكابر المداهنين والمتزلفين والجهلة والاسافل والنكرات واحطهم خلقا واقلهم كفاءة شريطة اتقانهم التزلف لها، وتغدق عليهم العطايا المادية والمعنوية وتجعل منهم ادواتها وقوتها التي بها تصول وتطول وشغلهم الشاغل مناصرتها وتحقيق مآربها وحمايتها وخدمتها وتلميع صورتها والتستر على اخطائها وانحرافاتها والتجسس على الاخرين وظلمهم، وتشجعهم على التماهي معها في الاستبداد والافساد وتغض الطرف عن سلبياتهم ما داموا يمكنونها من بلوغ مصالحها ويعرِضونها

للمجتمع بانها الملهم والمنقذ للبلاد، وتعزز لديهم الشعور بانهم يستمدون مواقعهم وامتيازاتهم من الدوران في فلكها والدفاع عنها والحرص على سلامتها ومصالحها ويتنافسون فيما بينهم في التزلف لها ومداهنتها ولكنها في ذات الوقت لا تثق بهم وتراقبهم باستمرار لتتأكد انهم يؤدون لها خدمات تعزز مكانتها.

اناطة إدارة الدولة بالاقرباء

ورد في رواية "القاهرة الجديدة" لنجيب محفوظ: "والحكومة اسرة واحدة الوزراء من الأقارب وهم يعينون الوكلاء من الأقارب والوكلاء يختارون المديرين من الأقارب والمديرين ينتخبون الرؤساء من الأقارب والرؤساء يختارون الموظفين من الأقارب حتى الخدم يختارون من خدم البيوت الكبيرة، فالحكومة اسرة واحدة او طبقة واحدة متعددة الاسر وهذه الاسر تحرص على امتيازاتها والاستفادة من مواقعها وتمتنع عن تأدية واجباتها".

المصدر: د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الانسان بين الحلم والواقع، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 6، 2006)، ص: 105.

- تعتمد سياسة فرّق تسد divide and rule لتشتيت المجتمع وجعله فرقا متناحرة بأسهم بينهم شديدا من خلال إذكاء الخلافات والتناقضات والانقسامات والصراعات بين الاديان والطوائف والاعراق ومكونات المجتمع وتشحن نفوس الافراد بالكراهية والتعصب والتطرف والتحاسد والتباغض ورفض التعددية والرأي الآخر او تدعم أحدى الفرق لتتولى ضرب الفرق

الاخرى ثم تسحب الدعم عنها وتقدمه لفريق اخر وهكذا، او تجعل جميع الفرق تتنافس فيما بينها في صراعات متأبدة وعنيفة لكي تخضع الجميع لقيادتها واستبدادها ومصادرتها لحرياتهم وحقوقهم وكرامتهم[18].

- تستدرج التابعين عند بداية تسلمها السلطة لتأييدها من خلال تأسيس علاقات طيبة معهم وتمنّيهم بانها ستحقق لهم حياة حرة كريمة ومدخولات مادية مجزية تلبي احتياجاتهم، وتمنح الاولوية لمصالحهم عندما تتقاطع مع مصالحها وانها ستحقق التطور في جميع القطاعات الاقتصادية وتعمل كل ما في وسعها لتنمية علاقاتها بهم وتتقرب اليهم باللين والكلمة الطيبة وتشركهم معها في الادارة واعداد الخطط واتخاذ القرارات وتطلب اليهم النصح والمشورة وتضفي قدرا من الوقار على مفردات خطابها وتضمنه تعبيرات عن زهدها في السلطة والوجاهة والثروة وان رغبتها العارمة هي الترقي بالتابعين على جميع الصعد وحمايتهم من الأخطار، ولكن ما ان تستقر في موقعها حتى تبدأ بالتراجع عن وعودها وتنقلب على تعهداتها وتفرض عليهم طاعتها والرضوخ لاستبدادها والخضوع لها كقطيع يقبل بما تتفضَّل به عليهم فتصادر حرياتهم وحقوقهم وتعمق فيهم الفقر والجهل والتخلف والتخاذل والفساد الاخلاقي والاجتماعي والسياسي وتسلب إرادتهم وتجعلهم متخاذلين وعاطلين وغرباء عن انفسهم ومجتمعهم واوطانهم وتنهش فيهم الامراض العضوية والنفسية والاجتماعية، وقد أشار الى هذه الحالة قوله تعالى "وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ"[19].

القيادة المستبدة تستدرج التابعين

يشير شكسبير في مسرحية "ريتشارد الثالث" Richard III الى ان الملك ريتشارد الثالث سحر التابعين في البداية بكلامه المعسول وبراعته في البلاغة وشخصيته الجذابة الى حد جعلهم يتمنون نجاحه في الوصول الى العرش، ولكنه ما ان وصل الى سدة الحكم حتى اخذ بالتركيز على مصالحه الشخصية واضطهاد التابعين.

واوضح جورج اورويل في قصته "مزرعة الحيوانات" التي نشرت في انكلترا يوم 17 أغسطس 1945 ان المستبد يستغل سذاجة التابعين في الوصول إلى موقع السلطة.

المصدر: عبد الباقي اليوسف قراءة لرواية «مزرعة الحيوانات» للكاتب البريطاني جورج أورويل، ط:1 ترجمة ونشر دار الألف كتاب الطبعة الأولى عام 2015 https://www.welateme.net/cand/modules.php?name=News&file=article&sid=5958

وقد وظف صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) اسلوب استدراج التابعين ببراعة عندما كان يشغل موقع نائب رئيس الجمهورية (1970-1979) فقد كان يعِد التابعين وعودا حسنة ويتقرب اليهم ويتواصل معهم بصورة مباشرة ويحقق لهم طلباتهم واهدافهم دون تردد ويجزل لهم العطايا والمكافآت فتمكن بذلك من جعلهم يحتفون به ويؤيدونه ولكن ما ان تبوأ منصب رئاسة الجمهورية حتى كشف عن حقيقته فبدأ بإعدام رفاقه الذين اعانوه على الوصول الى موقعه واضطهد الجميع وعذب المختلفين معه وفرض عقوبات عليهم تصل الى الموت وزج العراقيين بعدة حروب لإشغالهم عن استبداده اهلكت منهم خلقاً كثيرا وبددت ثرواتهم وجعلتهم في فقر وتخلف ونشرت الفساد السياسي والمالي والاداري ومذمومات الاخلاق ودفعت العديد منهم الى الهجرة طلبا للامن وفرص العمل.

- تبارك سلوك التابعين الذين يسارعون لمرضاتها واجابة رغباتها وتشجعه وتدعمه ماديا ومعنويا ولا سيما عندما يكون مصحوبا بالتنازل عن الكرامة

والمبادئ والقيم الانسانية، وتكرم التابع الأضعف المنافق المتزلف المداهن الذي لا يتحداها لحفز بقية التابعين للخضوع لها والاعتماد عليها.

- ترفض ان يتصرف التابعون بوحي خالص من خبراتهم وافكارهم قبل موافقتها او يقبلون الافكار والآراء التي تطرح عليهم قبل ان تأذن لهم فتفرض عقوبات في غاية القسوة على كل من يتجرأ على أي عمل او اتخاذ أي قرار دون اخذ موافقتها بصرف النظر عن أهمية ذلك العمل وخطورته، ويقول الله تعالى عن فرعون "قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ"[20].

تفرض القيادة المستبدة على التابعين اخذ موافقتها في جميع الامور

استنكر فرعون ايمان السحرة الذين جاء بهم لدحر موسى عليه السلام عندما امنوا بموسى عليه السلام قبل ان يأذن لهم بذلك وتوعدهم بعقوبات قاسية غير مسبوقة ويتجلى ذلك في قوله تعالى "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ" سورة الشعراء، الايات: 46-49.

وقد مارس صدام حسين حاكم العراق 1979-2003 نفس النمط من السلوك في أحد الاجتماعات فقد عنف أحد وزرائه الذي تجرأ على شرب الشاي قبل ان يباشر هو في شرب الشاي وعرضت ماكنته الإعلامية هذا الحدث مرات عديدة لتبعث رسالة للجميع على ضرورة تحاشي فعل أي امر او اتخاذ أي قرار قبل اخذ الاذن منه.

- لا تجعل التابعين على بينة من خططها وأهدافها لكيلا يستطيعوا معرفة ما يمكن ان يحل بهم لكي تتركهم نهبا للمفاجآت، وقد وظف صدام حسين هذا الأسلوب مرات عديدة كان من أبرزها في 2 اب 1990 حين احتل الكويت بغتة ونجم عن ذلك الاحتلال اضرار كارثية تسببت في تدمير العراق والكويت.

لا تجعل القيادة المستبدة التابعين على بينة من قراراتها

دأب صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) منذ ان تولى الحكم على اشعال حروب عبثية مدمرة وازمات ومشكلات اقتصادية وسياسية مباغتة بقصد اشغال العراقيين عن استبداده ومصادرته لحريتهم وحقوقهم منها ما يأتي:

- أضرم حرباً مع إيران استمرت قرابة تسع سنوات أسفرت عن مقتل وجرح واعاقة مئات الآلاف من العراقيين.
- فرض على الطلبة الالتحاق بمعسكرات خارج المدن للتدريب على الجيش الشعبي خلال فصل الصيف.
- افتعل ندرة بعض المواد الغذائية الضرورية جدا بقصد صرف اهتمام الافراد عن سياساته.
- أصدر أمرا بقصف مدينة حلبجة في شمال العراق بالأسلحة الكيماوية تسبب في قتل الالاف وتشريد العوائل.
- اجتاح الكويت في آب 1990، مما ادى الى تدخل دولي بقيادة الولايات المتحدة تحت مظلة الامم المتحدة لطرد قواته من الكويت وبذلك تسبب في قتل العديد من افراد القوات المسلحة العراقية وتدمير اليات الجيش العراقي ومعداته وتقويض العراق اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا واخلاقيا وجعل الامم المتحدة تفرض على العراق حظرا اقتصاديا استمر 13 عاما تسبب في تعميق الفقر والفساد المالي والإداري ومذمومات الاخلاق وتدمير القطاعات الاقتصادية ودفع الكثير من العراقيين للهرب الى الدول الأخرى بحثا عن الامن والرزق.
- افتعل مشكلات مع الولايات الامريكية فشنت على العراق في 1998 عملية عسكرية امريكية اسمها «ثعلب الصحراء».
- رفض الإنذار الموجه اليه من أمريكا في 17 مارس (آذار) 2003 فشنت بالتحالف مع بريطانيا حربا مدمرة على العراق بتاريخ 20 مارس (آذار) 2003 انتهت بسقوط نظامه.

- توظف الدين ومؤسساته وتؤسس علاقة مصالح متبادلة بينها وبين وعاظ السلطة الذين يتخذون من الدين أداة للتقرب اليها بقصد التحصل على الثروة

والشهرة الزائفة لتثبيت شرعيتها واستدامتها وتسويغ افعالها وتسويقها للتابعين على انها من وسائل الله ووجودها خير من انعدامه أصلاً وان شتمها والطعن بها مانع للخير وفي ذات الوقت تشجيع الرعية وبخاصة الفقراء على تقبل اوضاعهم من خلال ترسيخ فضيلة الفقر لديهم عبر نشر اقوال مثل "الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء"، و"ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم"، و"ان الفقراء هم جلساء الله يوم القيامة"، و"احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه" [21]، كما توظف المؤسسات العلمائية والإفتائية وتعهد اليها مسؤولية اخضاع الدين للتأويل والتلاعبات والاجتزاء وتوظيفه في خدمة مقاصدها والدفاع عنها وتصعيد مرتبتها إلى مصافّ الأولياء الصالحين أو الأنبياء المخلَصين، واحاطتها بقداسة الصلاح والتقوى والإخلاص والاستقامة لبسط هيبتها وتسويغ افعالها وسلوكاتها وانحرافاتها واخطائها وتحريم الاحتجاج والاعتراض والخروج عليها او التذمر من استبدادها وفسادها وقبيح افعالها التي تلحق بالتابعين الظلم والجور، او اصدار فتاوى تعد الاستخفاف بها من أسباب ذهاب الدين والدنيا والامن، والسكوت عن قول الحقّ امامها لازمةً للتقوى وقرينة للورَع، ومن جهة اخرى تحث التابعين للانقياد لظلمها والرضوخ لسطوتها والصبر على جورها ومخالفتها لتعاليم الدين والانسجام معها مهما كانت مجحفة وظالمة، والاكتفاء بالتقرب إلى الله تعالى بطاعة القيادة والدعاء لها بالتوفيق والاستمرار في موقعها على وفق قاعدة "طاعة ولاة الأمر واجبة وان إماماً غشوماً خير من فتنة تدوم وان ستين سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان" وان لا يتفوّهوا بمُفرَدات تؤذي مشاعرها ولا يزاحمون سطوتها، وينظرون اليها بانها حمى الله

في بلاده وظله المحدود على عباده، وان طاعتها من طاعة الله وعصيانها من عصيان الله فاذا كانت عادلة فلها الاجر وعلى الرعية الشكر وان كانت جائرة فعليها الوزر وعلى الرعية الصبر، يضاف الى ما تقدم فان وعاظ القيادة المستبدة يشغلون التابعين في الخوض في المشكلات الاجتماعية والقضايا التي لا طائل منها ولا نفع فيها كالخلافات في الجوانب الطقسية بين المذاهب، ويقول المصلح الديني مارتن لوثر في القرن الخامس عشر "ان الحكومة ينبغي ان تتمتع بصلاحيات غير محدودة في التصرف بشؤون العباد ولا يعد فسقها وجورها خروجا عن تعاليم الدين وليس من حق المسيحي ان يقف ضدها اذا كانت افعالها جائرة لان معارضتها وعصيانها خطيئة تؤدي الى الفتنة التي هي اكبر من القتل والدس والسرقة وخيانة الأمانة وتجلب المظالم للافراد اكثر من شرور ظلمها، وليس ثمة أفعال افضل من طاعتها وخدمتها وتنفيذ رغباتها والاستجابة لقراراتها والاستكانة لبطشها وجورها ومصادرتها للحريات والحقوق"[(22)]، ويتجلى مما تقدم الخطر الأكبر الناجم من مخالطة الفقيه للقيادة المستبدة اذ تجعل تلك المخالطة الفقيه يجند نفسه لتبرير أفعالها والتماس المعاذير والأسباب لها ويتجرد عن مهمته الأساسية كرجل عالم بالدين وأهدافه وتعاليمه وقادرا على نقد ممارسات القيادة المستبدة وتقويمها ومراقبتها وشجب **مظالمها** وسوء افعالها **ومحاسبتها** ولا يصمت عن جورها وظلمها وفسادها **ولا يجعل من نفسه** من أدواتها ويلبس الباطل لبوس الحق فتتمادى في جورها وتعتقد انها على صواب فتستمر في ضلالها واستبدادها، فضلاً عن ذلك يجعل سكوت الفقيه في تلك الحالات الافراد يحسبون اقترابه من القيادة المستبدة دليلاً عملياً على عدالتها ويكون ذلك مبرراً كافياً لحفزهم لطاعتها والإخلاص لها،

ويصرفهم عن الأمور الأكثر أهمية المتعلقة بمشكلات الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفقر والاستبداد والتخلف، أو القضايا الأكثر أهمية في الدين نفسه[23].

اضرار مخالطة الفقهاء للقيادة

يقول ابن الجوزي في فقهاء المؤسسات العلمائية والإفتائية "ومن تلبيس إبليس على الفقهاء مخالطتهم للأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك، وربما رخصوا لهم ما لا رخصة فيه لينالوا من دنياهم، فيقع بذلك الفساد في الأمير، فيقول الامير حينذاك "لولا أني لم اكن على صواب لأنكر عليَّ الفقيه، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالي"، فيقول العامة: "لا بأس بهذا الأمير وأفعاله؛ فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده" وبذلك يفسد الفقيه دينه ويفسد على التابعين حياتهم ويجعل الأمير المستبد يتمادى في استبداده"، ولذا اعد دخول الفقيه على السلطان خطرا عظيما؛ لأن نية الفقيه قد تحسن في أول دخول على السلطان، لكن تلك النية تتغير بإكرام السلطان للفقيه وإنعامه، فلا يتماسك عن مداهنة السلطان وترك الإنكار عليه.

المصدر: أبو الفرج ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ط1، (الرياض، دار الوطن: 1423هـ، ج الثاني)، ص: 709.

- تتوسع في توظيف الإلهاء عبر وابل متواصل من الإلهاءات كالحانات والمراقص ومسارح الفن الهابط وتداول اخبار الفنانين وقراءة الأبراج والمعلومات غير النافعة وما في حكمها لتجعل التابعين ولا سيما الشباب منشغلين عن استبدادها واخطائها وانحرافاتها وعن المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الحقيقية كالفقر والبطالة وانعدام الامن وتردي الخدمات الصحية والتعليمية والفساد ومصادرة الحريات والحقوق [24].

توظيف استراتيجية الإلهاء

لم يشأ احد القياصرة ان يعهد لجيشه وأجهزته الأمنية والمخابراتية مسؤولية المحافظة على استدامة حكمه خوفا من الثورة فاتجه الى إلهاء الجميع ولا سيما الشباب، ففتح لهم بيوت الدعارة والحانات والألعاب الجماهيرية، وقد اغنته هذه الأساليب عن توظيف أساليب الاكراه في اخضاع الجميع لسلطته.

المصدر: اتين دي لابواسييه، مقال في العبودية، ترجمة مصطفى صفوان، (القاهرة: مكتبة مدبولي،1990)، ص:106.

وتقطع الحقائق ان صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) تمادى في توظيف استراتيجية الإلهاء مع بداية حربه العبثية مع إيران في عام 1980 التي امتدت لأكثر من ثماني سنوات، اذ نشر الحانات والمراقص لإشغال العراقيين عن استبداده واخطائه وخطاياه واثار تلك الحرب المدمرة التي استهلكت إمكانات العراق وايران البشرية والمادية وعمقت فيهما المفاسد السياسية والمالية والإدارية ومذمومات الاخلاق ودفعت العديد من الافراد الى الهجرة الى البلدان الأخرى.

وحري بالابانة ان تلك الحرب ابتكرت أسبابها واججتها الدول الغربية وامريكا لتحقيق اهدافها في القضاء على العراق وايران وقد تحقق لها ذلك ومع ذلك لا زال العديد لا يدركون هذه الحقيقة التي لا يتطلب معرفتها جهدا كبيرا.

- تعمم آلية التنفيس فتسمح للافراد والصحافة ووسائل الاعلام بطرح الملاحظات والانتقادات وتداول الطرائف والأحاديث التي تتناول اداء المؤسسات بسخرية شريطة عدم التطرق إلى استبدادها وانحرافاتها واخطائها وانتهاكاتها لحريات الافراد وحقوقهم من قريب او بعيد ولا حتى بالتلميح.
- تبتكر المشاكل وتقدم الحلول: تعتمد هذه الالية أسلوب "المشكلة - ردّ الفعل - الحل": اذ تبتكر القيادة المستبدة مشكلات غير متوقعة بقصد معرفة ردّ فعل التابعين او تضعهم في موقف يطلبون اليها اتخاذ إجراءات تعينهم على مواجهة ذلك الموقف ثم تبادر الى المباشرة في تنفيذ إجراءات ظاهرها معالجة ذلك الموقف وباطنها تحقيق أهدافها، فمثلا تترك العنف بين الافراد يتنامى، أو تنظم تفجيرات دامية مروعة لتجعلهم في قلق وخوف وليس امامهم الا مطالبتها بتشريع قوانين وتعليمات تسهم في توفير الامن على حساب التضحية بحرّيتهم، أو تفتعل أزمة مالية او اقتصادية لا سبيل امامهم من الخروج منها الا بالتنازل عن حقوقهم والقبول برواتب واجور لا تضمن لهم العيش الكريم[25].
- تعطل قدرات الافراد على التفكير والتحليل المنطقي والحس النقدي عبر أنظمة تعليم متدنية وأجهزة اعلام لا تسهم الا في تجهيلهم وجعلهم همج رعاع غير قادرين على استيعاب العلم والتقنيات وتطبيقها في جميع القطاعات الاقتصادية ويرضخون لاستبدادها ويستحسنون رداءة أدائها وانحرافاتها وسوء سلوكها او في الأقل يسكتون عنه [26].

- تتوعد التابعين في حالة عدم انصياعهم لها بإصدار قرارات واتخاذ إجراءات اكثر اجحافا وظلما في المستقبل.
- تفتح امام التابعين جميع أساليب كسب المال المشروعة وغير المشروعة لاجل صرف اهتمامهم عن الجوانب الإنسانية والأخلاقية ومتابعة شؤون الوطن وقضاياه الأساسية [27].
- تمنع تأسيس الأحزاب باستثناء الحزب التابع لها وتوظفه في تعبئة الجماهير لصالحها ومتابعة التنظيمات المناوئة لها، فمثلا كان في العراق أيام حكم صدام حسين 1979-2003 حزب واحد هو حزب البعث العربي الاشتراكي، وهو في الحقيقة ليس الحزب الحاكم وانما **حزب الحاكم** ويضم في عضويته الانتهازيين والمداهنين والموالين له خوفا او طمعا وهو مجرد ذراع من اذرع الأجهزة الأمنية والمخابراتية.
- تخلع على نفسها القدسية من خلال اضفاء القاب لها علاقة بالدين، فمثلا تزعم انها ترتبط بعلاقة نسب بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وال بيته الكرام وتعهد الى وعاظها تعزيز هذا الامر لدى الدهماء لكي تحكم ولا معقب لحكمها وليس عليها ان تقدم تبريراً لما تأمر به وما على الرعية الا طاعتها وانه ليس من حقهم انتقادها او الاعتراض عليها او الإطاحة بها وان بإمكانها توريث الحكم لأبنائها، ويقول ابن خلدون "كيف يكون للملك (الحاكم) الذي يميل بطبعه الى الانفراد وطلب المجد ان يكون حارسا امينا للدين"[28].

تضفي القيادة المستبدة القداسة على نفسها

اعتمد عدد من الحكام في القرن العشرين آلية إضفاء القداسة على انفسهم ليعززوا من سلطتهم المطلقة، فعلى سبيل المثال وظف هتلر هذه الالية في خطاب ألقاه في 28 أبريل 1939 عندما قال بأنه يشكر الله عز وجل الذي اختاره ليكون فوهرر، وكذلك فعل الجنرال فرانكو في خطابه امام البرلمان عام 1947 اذ قال: بأن الله قد أخذ بيده ليحقق النصر.

المصدر: صالح الدين شرقي، الاستبداد بالحكم واليات مواجهته، رسالة دكتوراة، ص: 76. غسان سليم عرنوس، ص: 583

كما وظف صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) هذه الالية حين ادعى بانه ينتمي نسباً الى آل بيت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واطلق على نفسه لقب "عبد الله المؤمن" وخلع على نفسه مسمى "قائد الجمع المؤمن" واطلق اسم "القادسية الثانية" على حربه مع الجارة ايران تيمناً بمعركة القادسية بين المسلمين والفرس في اثناء الفتح الإسلامي للعراق وفارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكتب بخط يده جملة "الله اكبر" على علم العراق بدلا من الثلاث نجوم، وفرض على أعضاء حزبه الذين يترشحون لمواقع اعلى في الحزب حفظ أجزاء من القران الكريم، وفرض ذات الامر على السجناء الراغبين بتقليص مدة بقائهم في السجون، كما اطلق محمد أنور السادات حاكم مصر (1970-1981) على نفسه لقب "الرئيس المؤمن" و"رب العائلة المصرية" ليؤكد للمصريين ان كل من يخرج عنه في الرأي هو خروج عن "القيم" في "دولة العلم والإيمان".

المصدر: هالة مصطفى، "الدولة والحركات الإسلامية المعارضة بين المهادنة والمواجهة في عهدي السادات ومبارك" (القاهرة: كتاب المحروسة، 1996)، ص 152.

- تجعل عدد النساء يفوق عدد الرجال من خلال زج الرجال بحروب عبثية يفقد فيها قسم كبير منهم حياتهم او يتعرضون للإعاقة او يصابون بامراض نفسية او تصفيتهم جسديا بتهمة المعارضة او الخيانة والعمالة او تودعهم في السجون لآماد طويلة يتعرضون فيها لأبشع التعذيب الأليم والمهين او ترغمهم على الهجرة الى بلدان أخرى قصد تهديم كيان الاسرة ونشر المفاسد في المجتمع بسبب فقدان المعيل والعوز وتزايد عدد الارامل والايتام وارتفاع معدلات العنوسة، ويظهر في القرآن الكريم ان فرعون وهو رمز الاستبداد قد وظف منهج تصفية الذكور واستحياء الاناث، ويتجلى هذا في قوله تعالى "يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ"[29]، وتؤكد الحقائق ان الدول الاوربية التي شاركت في الحربين الكونيتين الأولى في عام 1914 والثانية في عام 1939 لا زالت تعاني من نقص واضح في عدد الذكور مقارنة بعدد الاناث وقد تسبب ذلك في تهديم كيان الاسر ونشر المفاسد.

انزال اشد العقوبات الرادعة بحق المختلفين

يظهر في القران الكريم ان فرعون تعهد للسحرة الذين حشدهم لمواجهة موسى عليه السلام بانه سيجزل لهم العطايا ويجعلهم من المقربين اليه ان حققوا له أهدافه في تلك المواجهة، "وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" ولكنه هددهم بأقصى العقوبات عندما اعلنوا انهم آمَنوا بربِّ هارون وموسى لمّا استيقنت قلوبُهم الحقّ، ولم يتردّد في نسَج تفسير تآمري لِما انتهى إليه موقفهم، ويتجلى ذلك في قوله تعالى "قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ" .

- تتخلص من جميع المطلعين على ماضيها وكل من يذكرها به او تقضي عليهم او تودعهم في السجون او تهمشهم خشية فضح خباياها وماضيها المشين وكشف اسرارها المملوءة بالممارسات المشينة لكي توفر لنفسها فرصة تزييف ما تشاء من تاريخها وتنسب لنفسها ما تشاء حتى لو كان كذبا او تفرض عليهم بالترغيب والترهيب توظيف إمكاناتهم في خدمة مصالحها والتسبيح بحمدها وتزيين قبيح افعالها وزخرفة باطلها واخطائها وانحرافاتها وسلوكاتها.
- تعمل دون هوادة على استمالة النخب في جميع التخصصات بالترغيب والترهيب لخدمة اهدافها فضلا عن ذلك تنتج نخباً في الاعلام والفنون

والآداب والدين وبقية التخصصات وتسلط عليهم الأضواء وتغدق عليهم الامتيازات والمكافآت المادية والمعنوية وتجعل منهم أداتها الرئيسة في التعبئة والشحن العاطفي والتضليل وتزييف الوعي والإفساد وطرح ما يتفق وتوجهاتها وتسويغ استبدادها وسياساتها المنحرفة وتبرير موبقاتها ومصادرتها للحريات والحقوق، وصناعة تابعين تسكن في عقولهم ونفوسهم ثقافة الإذعان وعاجزين عن العيش خارج محيط استبدادها ويؤمنون بانها ضرورة لحفظ الامن والاستقرار ويقبلون خططها وأهدافها وقراراتها وسلوكاتها وتوجهاتها[30]، ويرى "هاربيرت شيللر" أن المؤسسات الإعلامية تتلاعب بعقول الافراد عن طريق تنقيح الصور والمعلومات وإحكام السيطرة عليها بالتركيز على خبر معين دون غيره لتمرير خبر آخر أكثر خطورة دون اثارة اهتمامهم[31].

- تمنع التابعين من استخدام التقانة (القنوات الفضائية والحواسيب والهواتف النقالة) لكيلا تتاح لهم الفرصة لتوسيع معلوماتهم، وتحظر على الرعية السفر خارج البلاد وتجعلهم يتجهون نحو الغيبيات والسحر والخرافات كمتنفس للهروب من واقعهم المتأزم والظلم والفقر وتركات الحروب التي تحصد أرواحهم، وقد وظف صدام حسين حاكم العراق هذا الامر فقد حرم العراقيين من الاطلاع على القنوات الفضائية ومنعهم من استخدام الحواسيب والهواتف النقالة والاطلاع على الصحافة الأجنبية ومنعهم من مغادرة العراق يضاف الى ذلك دعم طيلة مدة حكمه السحرة والمشعوذون، فمثلا ابتدع جلاوزته في عام 1985 إشاعة ان مريم العذراء قد تجلت في احدى الكنائس الواقعة في احد اقضية الموصل شمال العراق لكي يهرع اليها الافراد للتبرك وطلب

مساعدتها للتخلص من مشكلاتهم وينشغلون في ذات الوقت عن ظلمه وقبيح افعاله[32].

- تجعل شعارها دائما "جئنا لنبقى" فترفض التداول السلمي لموقع القيادة، لذلك لا تغادر موقعها ولا تطلب اعفاءها من ذلك الموقع عندما ترتكب أخطاء جسيمة او تعتل صحتها او تبلغ من العمر عتيا او يصيبها الوهن في لياقتها النفسية والصحية والترهل في عزيمتها وارادتها [33]، ويعرض الجدول الاتي اسماء بعض المستبدين في العالم ومدة بقائهم في السلطة وطريقة ازاحتهم:

اسماء بعض المستبدين وطريقة ازاحتهم من مواقعهم

الاسم	الدولة	مدة البقاء في السلطة	طبيعة الازاحة من السلطة
روبرت موجابي	زامبيا	2017-1987	أُرغم على التنحي
معمر القذافي	ليبيا	1979 – 2011	ثورة شعبية
نيكولاي شاوشيسكو	رومانيا	1974 – 1989	أُعدم هو وزوجته رمياً بالرصاص في أحد الميادين بالعاصمة بوخارست عقب الثورة الرومانية عام 1989
زين العابدين بن علي	تونس	1987 – 2011	ثورة شعبية، هرب الى خارج البلاد

صدام حسين	العراق	1979 – 2003	إزاحته القوات الامريكية وبعد ذلك حوكم وأُعدم
علي عبد الله صالح	اليمن	1978 – 2012	ثورة شعبية
معاوية ولد سيدي احمد الطايع	موريتانيا	1984 – 2005	انقلاب مدني
انور خوجة	البانيا	1941 - 1985	الوفاة
محمد حسني مبارك	مصر	1981-2011	ثورة شعبية
جوزيف تيتو	يوغوسلافيا	1943-1980	الوفاة
فيدل كاسترو	كوبا	1959-2008	الوفاة
شاهنشاه ايران محمد رضا بهلوي	إيران	1941-1979	فر من البلاد بسبب ثورة شعبية الى مصر وتوفى فيها

المصدر: غانم فنجان موسى وفاطمة فالح احمد، المعارضة في البلدان المتنامية-الشعارات والمتحققات، (عمان: دار زمزم للنشر والتوزيع، 2024)، ص: 225.

- تختزل الدولة في شخصها وتجعل من نفسها وصيا على الشعب ومهيمنا عليه، وتتولى أكثر من منصب في البلاد وتسيطر على الأنشطة المهمة فيه كما يسيطر الاخطبوط Octopus على فريسته، فمثلا شغل سردار بردي

محمدوف رئيس جمهورية تركمانستان منصب رئيس الدولة ورئيس الحكومة والرئيس التنفيذي للحكومة الاتحادية وهو أيضًا القائد العام للقوات المسلحة ورئيس هيئة الرقابة العليا (وهي أهم جهاز حكومي للرقابة على الشؤون المالية والاقتصادية في البلاد) وغيرها.

- تسيطر على وسائل الاعلام ووسائل التواصل وتتحكم بنوعية وكمية المعلومات التي تسمح للأفراد الاطلاع عليها بهدف توجيه مشاعرهم واهدافهم واهتماماتهم الى حيث تشاء وتجعلهم بلا اهداف يسعون الى تحقيقها او يجازفون لأجلها، وفي ذات الوقت تمنع نشر وتداول المعلومات التي تعتقد انها تسيء اليها من قريب او بعيد او بالتلميح، ويقول فولتير "انك لا يمكن ان تفكر الا برضى الملك"، ويقول الكاتب بومارشيه في مسرحيته زواج فيجارو "لقد قيل لي انه وضع خاص عن حرية الصحافة، شرط ان لا أتكلم في كتاباتي عن الديانة والسياسة والاخلاق وذوي المناصب والهيئات الرسمية والأوبرا ولا عن أي شخص له مكانة ما وبخلاف ذلك استطيع كل شيء بعد تفتيش رقيبين او ثلاثة".

- تعهد مسؤولية ادارة وسائل الاعلام الى المداهنين والمتزلفين وتغدق عليهم بالعطايا والمكافآت لتلميع صورتها وتزيين قبيح افعالها وتسويق اكاذيبها ونشر الأفكار المضللة وتزييف الحقائق وترويع التابعين وتخويفهم وتسطيح أفكارهم وأهدافهم وطموحاتهم وأحلامهم وفي ذات الوقت تطلق القابا على نفسها لكي تجعل التابعين يعتقدون بانها هي القيادة دون منافس، ولذا اطلق الاعلام في العراق على عبد الكريم قاسم (حاكم العراق 1959-1963) لقب "الزعيم

الأوحد"، واطلق على صدام حسين "القائد الرمز" و"القائد الضرورة" واطلق الاعلام المصري على جمال عبد الناصر لقب "البطل القومي" وهكذا[34].

أساليب القيادة المستبدة مع المعارضة

تتباين أساليب القيادات المستبدة مع المعارضة، ويطرح الاتي اهم تلك الأساليب:

- ✓ لا تدخر القيادة المستبدة وسيلة أو فكرة تساندها وتدعمها إلا ووظفتها لتحقيق اهدافها فمثلا توظف الأموال لشراء ذمم التابعين واغراهم لمساندتها والخضوع لها وتوظف الإكراه لترهيبهم والسكوت عن ظلمها واستبدادها وتؤسس أجهزة امنية ومخابراتية لمراقبة تحركات التابعين وردود افعالهم ازائها ولا سيما المختلفين معها وتقمعها وتضطهدهم وتنزل بهم اقسى العقوبات وتعرضهم الى تعذيب مهين وأليم لقسرهم على أن قبول او السكوت عن اخطائها وانحرافاتها واستبدادها وأحيانا حتى التماهي معها في كل شيء بل حتى في اللباس، يضاف الى ذلك تسخّر رجال العلم والاعلام وتستقطب المداهنين والمتزلفين ورجال الدين لتزيين قبيح افعالها وزخرفة باطلها او اخافة التابعين منها، او توظف رجال الدين لاحاطتها بقداسة الدين وتشرع لها البقاء والاستمرار، ولا تجيز الخروج عليها والاعتراض على سياساتها او طرح أفكار ورؤى مختلفة.
- ✓ اتهام المعارضة بانها سبب جميع المشاكل والشرور في البلاد وأنها العائق أمام تقدمه (بالاستعانة بخبراء في فن تزييف الحقائق) او اتهامها بالخيانة والتبعية لجهات خارجية او تنعت المعارضين بأنهم لا يمثلون الا قلة غير مؤثرة او انهم

متطرفون ومطالبهم غير مشروعة أو غير أخلاقية او لا يمكن الاستجابة لها في ظل الظروف والمعطيات والفرص المتاحة وفي ذات الوقت تحرك وسائل إعلامها لجعل الافراد ينظرون الى المعارضة بانها تتآمر على البلاد وتجهض محاولات السلطة الرامية لتحسين حياة الناس وتهدد الامن المجتمعي ويجب معاقبة المنتمين اليها بايداعهم في السجون وفصلهم من وظائفهم ومصادرة أموالهم.

- ✓ متابعة تحركات المعارضة ومتابعة نشاطاتها في الداخل والمهجر بقصد معرفة مصادر قوتها ونقاط ضعفها واساليبها لاجل القضاء عليها.
- ✓ شراء ذمم بعض المعارضين بالمكافآت، ولا سيما المؤثرين، لحثهم على الانقلاب على المعارضة او التخلي عنها.
- ✓ زج بعض العناصر بين صفوف المعارضة لتنفيذ اعمال شغب واعتداء على الاخرين باسمها بهدف تشويه سمعتها.
- ✓ ترهيب كل من له علاقة بالمعارضة او يتعاطف معها لعزلها عن المجتمع، فمثلا تنزل بعوائل المعارضين والداعمين لهم أقصى العقوبات (المادية والمعنوية) وتسومهم سُوءَ الْعَذَابِ المهين الاليم وتقطع ارزاقهم وتتابع تحركاتهم باستمرار وتفرض عليهم قطع علاقتهم بالمعارضين.
- ✓ توظيف وسائل الإعلام في تقويض صدقية المعارضة وتشويه سمعتها وتاريخها ودوافعها، وتسلط الأضواء على أخطائها وانشقاقاتها وتضخمها وتوظفها لصالحها.
- ✓ تقديم مقترحات ومعالجات للمعارضة لا تسهم في تسوية الخلافات المركزية، بهدف ارباك المعارضين ووضعهم في موقف حرج امام جمهورهم.

- ✓ اعتماد سياسة ممنهجة لخفض زخم المعارضين واضعاف معنوياتهم وجعلهم محبطين كأن تعلن بانها تتعاطف مع مطالبهم ومقترحاتهم او انها عازمة على الاستجابة لها كلها او بعضها أو انها ستستجيب لمطالبهم على مراحل او تعتمد التسويف، او تستجيب لبعض مطالب المعارضة، ولا سيما المطالب الثانوية بهدف تهدئة المعارضين المتشددين dulcify او تتظاهر بانها مضطرة الى تأخير استجابتها لمطالب المعارضة بحجة عدم توفر المتطلبات في ظل المعطيات المتاحة على وفق منهج "أرى وجهة نظرك، لكن يدي مقيدتان"[25]، او تؤلف لجنة لدراسة مشروعية مطالب المعارضة واسباب الخلافات معها وفي ذات الوقت توجه اللجنة الى ضرورة التباطؤ في اعمالها بزعم ان البيانات المتاحة غير كافية لإصدار التوصيات المطلوبة، أو تجعل قرارات تلك اللجنة غير ملزمة او قابلة لعدة تفسيرات.
- ✓ تأليب فصائل المعارضة بعضها ضد بعض لتقويض وحدتها وتحويل غضبها إلى داخلها وتدمر نفسها بنفسها.
- ✓ ارغام المعارضة على مناقشة المسائل الخلافية على وفق شروط السلطة ورفض مناقشة كل ما يقع خارج ذلك او تفرض على المعارضة أوقاتا و/ أو اماكن غير مناسبة للقائها.
- ✓ شن حملات واسعة من الاعتقالات ضد المعارضة او قمعها او دحض صحة مطالبها أو تقلل من شأن مطالبها مستعينة باستقصاءات زائفة أو معلومات وبيانات غير حقيقية لإرغام المعارضة على التخلي عن مطالبها او توجه اتهامات للمعارضين لا أساس لها أو تهدد بمقاضاتهم لحملهم على الانسحاب من المعارضة.

- ✓ خلق معارضة صورية وتسلط الأضواء عليها كبديل عن المعارضة الحقيقية ومدها بالدعم (المادي والمعنوي).

خلق معارضة صورية
عمد عبد الكريم قاسم حاكم العراق (1958-1963) الى تكليف داود الصايغ في عام 1960 وهو أحد المفصولين من الحزب الشيوعي بتأسيس حزب أطلق عليه الحزب الشيوعي العراقي كبديل للحزب الشيوعي الرئيس في العراق.

- ✓ عقد مفاوضات شكلية مع المعارضة لا تسهم في تسوية الخلافات.
- ✓ حرمان المعارضة من توظيف وسائل الاعلام.

نماذج من قمع المعارضة

يعرض القرآن الكريم عدة نماذج عن قمع المعارضة، حسبنا ان نقدم منها ما يأتي:

النموذج الاول: اعترض سيدنا ابراهيم عليه السلام على عبادة قومه للأصنام التي يصنعونها بأيديهم، واوضح لهم بان تلك الاصنام لا تضرهم ولا تنفعهم وعليهم عبادة الله تعالى فهو الذي خلقهم وهو قادر على نفعهم وضرهم، ولكنهم رفضوا وقرروا حرقه بالنار امام الجميع، ويظهر ذلك في قوله تعالى "قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**".

النموذج الثاني: فرض فرعون على السحرة الذين جاء بهم لنصرته على موسى عليه السلام عقوبة قاسية لم يسبقه بها احد عندما رفضوا تأييده وامنوا بالحق الذي جاء به موسى عليه السلام، ويتجلى ذلك في قوله تعالى "قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ **لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ** قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ".

استمرار القيادة المستبدة في موقعها

تتباين المدة التي تستمر فيها القيادة المستبدة في موقعها في طولها وقصرها من مجتمع لاخر وذلك مرهون بالمعطيات الاتية:

- قوة المعارضة او ضعفها.
- استعداد المجتمع او عدم استعداده لقبول الاستبداد والتعايش معه والركون الى القيادة المستبدة ومشاركتها في الفساد والاستبداد والاستعداد للخروج عن

النسق الإنساني الطبيعي الحر العزيز الكريم، او اتخاذ موقف الحياد منها او ترويج فتاوى وعاظ السلطة التي تزين أفعال القيادة المستبدة وتحث المجتمع على الصبر على استبدادها.

- قدرة القيادة المستبدة على توظيف أجهزة أمنية ومخابراتية ذات كفاءة تمكنها من السيطرة على التابعين واسترقاقهم وجعلهم يألفون الخنوع والخضوع ويشعرون عندما يذعنون لها بانهم كسبوا عبوديتهم ولم يخسروا حريتهم.
- مقدار الدعم الذي تقدمه الجهات المحلية والأجنبية للقيادة المستبدة.
- ارتفاع كفاءة أجهزة الاعلام التي توظفها القيادة المستبدة في تلميع خططها وقراراتها وتبرير انتكاساتها واخطائها وانحرافاتها ونهبها للثروات والتستر على قمعها للمعارضة ومصادرتها للحريات والحقوق، وحري بالإبانة ان المستبدين الذين يتزعمون حزبا سياسيا يستمرون في الحكم مدة اطول من سواهم، اذ يوظفون ذلك الحزب في تعبئة التابعين لصالحهم ومتابعة تحركات المنافسين السياسيين وبقية افراد المجتمع، وقد حصل هذا الامر في جميع الانظمة الشمولية كالاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية والصين والدول المتنامية في اسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية، فمثلا وظف صدام حسين حاكم العراق (1979-2003) حزبه (حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق) لمساندته في جميع افعاله واستبداده والبطش برفاقه المختلفين معه وارغام الشعب العراقي على الخضوع له.

الإطاحة بالقيادة المستبدة

تقطع الشواهد ان باستطاعة التابعين معارضة القيادة المستبدة او منعها من الاستبداد او الاطاحة بها عند بداية استبدادها بسهولة ويسر، فقوتها في تلك في

بداية استبدادها تشبه قوتها نبتة صغيرة من السهل اقتلاعها او مثل المرض في بداية اعراضه يمكن معالجته وفي خلافه يكون عصياً على العلاج او تتطلب معالجته دفع اكلاف باهظة، ولذا فان تغافل التابعين عن استبداد القيادة ورضوخهم لها يجعلها تستقوي عليهم ويفتح شهيتها للتمادي في استبدادها ومصادرة حرياتهم وحقوقهم ومنح الأولوية لمصالحها فيتعذر عليهم الإطاحة بها او تكون الإطاحة بها عسيرة ويتطلب تضحيات جسيمة (مادية ومعنوية) وتترك بعد الاطاحة بها اثارا سلبية فادحة على الجميع ليس من السهل معالجتها [35].

نهاية القيادات المستبدة

تؤكد الوقائع ان الأحزاب الشيوعية في دول أوروبا الشرقية استولت على الحكم بعد ثورة اكتوبر عام 1917 في روسيا قد أدارت تلك الدول مدة تزيد على خمسة عقود كانت مستبدة وصادرت حريات الافراد وحقوقهم وعمقت فيهم التخلف والفساد المالي والإداري والأخلاقي وجعلتهم يعانون من ازمات اقتصادية وسياسية ونفسية واجتماعية خانقة وينظرون الى ما تحققه دول أوروبا الغربية بإعجاب في المجالات المتعلقة باحترام حرية الافراد وقبول التعددية والاختلاف والتطور الاقتصادي والعلمي والثقافي فتولد لديهم احتقان شعبي حاد سرعان ما أخذ طابعا سياسيا انتهى باسقاط حكم تلك الأحزاب الشيوعية واختفاء قياداتها تباعا منذ ان بدأت حركة التغيير في بولونيا حيث ازيح الحزب الشيوعي البولوني عام 1989، واستمر توالي سقوط تلك الاحزاب حتى وصل الى انهيار الاتحاد السوفييتي ولجوء رئيسه ميخائيل كورباتشوف الى امريكا، ورغم مرور اكثر من ثلاثة عقود على تلك التغيرات التي حدثت في دول اوروبا الشرقية فان تلك الدول لم تتمكن لحد الوقت الحاضر من معالجة الاثار السلبية التي تركتها الأحزاب الشيوعية في جميع القطاعات الاقتصادية والسياسية والعلمية والثقافية والاخلاقية.

المصدر: غانم فنجان موسى وفاطمة فالح احمد، انتكاس القيادة، (عمان: دار زمزم للنشر والتوزيع، 2020)، ص: 70.

الفصل السادس

متلازمات القيادة المستبدة

أولا: الفساد.

مسببات متلازمة الفساد والقيادة المستبدة

تأثيرات الفساد السلبية

الأطراف المساهمة في الفساد

ظواهر تدل على الفساد

مجالات الفساد

مكافحة الفساد

ثانيا: التخلف.

الارتدادات السلبية للتخلف

تجاوز التخلف

المدة المطلوبة لتجاوز التخلف

ثالثا: هيمنة القطاع العام.

الفصل السادس

متلازمات القيادة المستبدة

يشير مفهوم المتلازمة syndrome الى تزامن متغيرين او أكثر، ويشير مفهوم متلازمات القيادة المستبدة الى المتلازمات الاتية التي بدونها لا تستمر القيادة المستبدة في موقعها ولا يستقيم امرها:

- الفساد.
- التخلف.
- هيمنة القطاع العام.

أولا: الفساد

يشير الفساد corruption الى جميع الممارسات غير المشروعة وغير الأخلاقية الخارجة عن القوانين والنظم والتعليمات والقيم الأخلاقية الفاضلة التي تنظم حياة افراد المجتمع، وهو شكل من أشكال خيانة الأمانة يقترفها شخص او عدة اشخاص يشغلون مناصب في السلطة من أجل الحصول على مزايا ومكاسب شخصية غير مشروعة او هو اساءة استخدام السلطة قصد تحقيق مكاسب شخصية، ويعرفه البنك الدولي ومنظمة الشفافية الدولية بانه إساءة استخدام السلطة

العامة بشكل مباشر وغير مباشر لتحقيق مكسب خاص[1]، كما يعرف بانه سلوك شخص في موقع السلطة منحرف عن المسار الطبيعي للسلوك القويم، وهذا يؤكد ان الفساد فعل غير متوافق مع منظومة قيم الاخلاق الفاضلة التي يتبناها المجتمع.

ويعرّف معجم الوسيط الفساد بأنه الخلل والاضطراب واساءة استعمال السلطة وخيانة الأمانة والبعد عن الإستقامة أو الفضيلة أو المبادئ الأخلاقية والتحريض على الخطأ باستخدام وسائل غير اخلاقية أو غير قانونية.

وقد وردت كلمة الفساد في القرآن الكريم في اكثر من 50 موضعا بدلالات متعددة ومعاني مختلفة جميعها اشتركت في التحذير منه لأضراره البالغة على حياة جميع افراد المجتمع، وانكرت سلوكات الافراد الفاسدين والمفسدين وفرضت محاربتهم ومعاقبتهم نظرا لخطورة ارتدادات الفساد السلبية على الجميع دون استثناء ولعدة أجيال[3]، ويؤكد الله تعالى ضرورة محاربة الفاسدين في قوله تعالى "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[4].

ويعد الفساد ظاهرة موجودة بدرجات متفاوتة في جميع الدول المتطورة والمتنامية على حد سواء فلا تخلو منه حتى الدول المتطورة التي تحكمها أنظمة ديمقراطية وفيها مؤسسات كفيلة بالحد منه بينما يكون في الدول المتنامية على اشده وممنهجا وتتولى ادارته شبكة من المسؤولين في السلطة وأصحاب الأموال وله جذور عميقة في حياة الافراد والمؤسسات الاقتصادية لأسباب عديدة منها عدم تداول السلطة وغياب الديمقراطية والحريات ولا سيما حرية الانتخابات وحرية التعبير ونقد

السلطة، وانعدام العدالة وعدم خضوع المتنفذين في الدولة للمساءلة والمراقبة وغياب قيم الشفافية والنزاهة والمساءلة والمؤسسات التي تتصدى لمواجهة الفساد [6].

ويحظى موضوع كشف الفساد ومحاربته في المرحلة المعاصرة باهتمام بالغ من قبل الباحثين والمفكرين والسياسيين والمسؤولين عن إدارة الدولة والقضاة والمنظمات والهيئات الدولية الحكومية وغير الحكومية في جميع دول العالم قاطبة بهدف دراسة أسبابه وارتداداته واضراره والجهات المستفيدة منه والجهات المتضررة منه قصد التوصل الى آليات تفعل فعلها في مكافحته ومعالجة الاختلالات والثغرات في التشريعات والتعليمات في الجوانب المالية والاقتصادية والإدارية والسلوكية والرقابية والشفافية واجراءات المساءلة ومحاسبة الفاسدين وفرض العقوبات عليهم بالتعاون مع جميع دول العالم لا سيما بعدما اصبح مشكلة عالمية لها انعكاسات سلبية خطيرة بدرجات متفاوتة على الافراد والمجتمعات والمنظمات تعيق عمليات التطور والتنمية في جميع القطاعات الاقتصادية.

تأثيرات الفساد السلبية

يعد الفساد من أخطر الظواهر المعقدة التي لها ارتدادات وتأثيرات سلبية كبيرة على الافراد فهو يجعل الأغلبية من الافراد في فقر وجهل ومرض ويحرمهم من متطلبات العيش الكريم والخدمات الأساسية ويعرقل عمليات التنمية في جميع القطاعات، ولا سيما في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، ويؤدي الى تراجع اخلاقي واضح ويقوض الثقة في المؤسسات السياسية والاقتصادية ويشجع على الاستخفاف بسيادة القانون، ولا تقتصر تأثيراته السلبية على جيل واحد وانما تمتد لعدة أجيال.

وقد استحوذت ظاهرة الفساد ومواجهتها على اهتمام دول العالم قاطبة والمنظمات والهيئات الدولية والحكومية وغير الحكومية والافراد، ولا سيما بعدما تفاقمت اضراره وارتداداتها السلبية التي من أبرزها ما يأتي:

- يفقد العمل المنتج الجاد قيمته مع انتشار الفساد والمفسدين.
- انتشار مذمومات الاخلاق في المجتمع وتعمقها.
- حدوث تفاوت اقتصادي كبير بين الافراد يجعل افراد المجتمع في مجموعتين هما: مجموعة تضم اغلب افراد المجتمع وتعاني من فقر وعوز وحرمان وامراض وجهل، ومجموعة أخرى تتألف من قلة قليلة من افراد المجتمع تستحوذ على معظم ثروات البلاد وتتحكم بأقدار الجميع وتهدر الأموال على ملذاتها وحماية مصالحها ومناصرة القيادة المستبدة بحكم علاقة مصالح متبادلة معها [2].
- يبطئ التطور الاقتصادي ويشوه ويكافئ عدم الكفاءة ويمنع المنافسة المشروعة.

علاقة الفساد بالقيادة المستبدة

تنشر القيادات المستبدة الفساد وتعمقه قصد توظيفه في إشغال الافراد عن استبدادها وانحرافاتها واخطائها فتعمل جهدها على تغييب قيم الشفافية والنزاهة والمساءلة وسيادة القانون والابقاء على كل الهياكل التي أنتجته، فلا تغير القوانين واللوائح والسياسات ولا تعدلها ولا تطورها لكي توفر مناخا مناسبا يضمن لها والفاسدين المزيد من التربح واستغلال النفوذ، وهو ما يصفه البعض بانتشار نمط "ثقافة الفساد"[5].

وتقطع الحقائق ان الفساد يوجد حيثما كان الاستبداد، فالقيادات المستبدة على مر التاريخ كانت رموزا للفساد، ولذلك يعد الفساد الابن الشرعي للقيادة المستبدة وبينهما علاقات مصالح متبادلة فهي تتصرف في ثروات الاوطان وكأنها ملك لها وتهدرها على مصالحها الشخصية وملذاتها وشراء الذمم لضمان الولاء لها، وتخلق طبقة أو نخبة يملكون الأموال موالين لها وهي بدورها توفر لهم فرصا لا حصر لها في الفوز بالعقود الاستشارية والتوكيلات والمقاولات والاستيراد والتصدير والتهرب الضريبي او تغض الطرف عن رداءة تنفيذهم لتعهداتهم او عدم إنجازها في الأوقات المحددة، وهم يوفرون للقيادة المستبدة الدعم المطلوب لوصولها الى السلطة والاستمرار فيها.

ويؤكد ما تقدم بوضوح تام ان العلاقة بين القيادة المستبدة والفساد هي علاقة تبادلية يُنشئ أحدهما الآخر ثم يحمي بعضهما البعض [7]، ويظهر مما سبق ان اهم مسببات الفساد هي:

- احتكار القيادة المستبدة لجميع السلطات ووضع نفسها فوق القوانين والمساءلة.
- استحواذ القيادة المستبدة على المال العام وتوظيفه في شراء الذمم للوصول الى موقعها وضمان استمرارها فيه والسيطرة على التابعين وجعلهم اموانا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وجهلة وتنهش بهم أنواع عديدة من الامراض العضوية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية، وتوظفه في تضييق الخناق على كل معارض لها، وتحيط نفسها بالفاسدين والمفسدين، وهؤلاء بدورهم يحيطون أنفسهم بجيش من المعاونين الفاسدين الجدد، وبهذه الطريقة تتوسع حلقات الفساد وتتشعب لتغطي جميع مفاصل النظام السياسي والاقتصادي

والاجتماعي وتتحول ظاهرة الفساد تدريجيا الى ثقافة عامة لا خيار امام التابعين الا قبولها وممارستها، ويصف أحد المدونين في منصات التواصل الاجتماعي حال الموظف تحت ظل القيادة المستبدة ان الموظف البسيط عندما يقبض مرتبه الشهري في الأسبوع الأول منه يأكل الدجاج، ويأكل بيض الدجاج في الاسبوع الثاني ويأكل ما يأكله الدجاج في الاسبوع الثالث، وفي الاسبوع الأخير من الشهر يصبح هو الدجاجة.

- لا تفصل القيادة المستبدة بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتسيطر عليها وتجعل السلطة التنفيذية تسيطر على التشريعية والقضائية وتضغط عليهما وتتدخل فيهما ولا تكون السلطة التشريعية قادرة على محاسبة السلطة التنفيذية، والسلطة القضائية غير مستقلة بشكل كافٍ لكشف الفساد والفاسدين ومعاقبتهم.
- جعل القوانين والتعليمات والاجراءات غير واضحة او فضفاضة او قابلة لتفسيرات متناقضة.
- لا تعتمد القيادة المستبدة قوانين او طرقاً واضحة للمساءلة ومكافحة الفساد تضمن الشفافية في الاعمال الإدارية والمالية والمحاسبية والمتابعة وبذلك توفر للفاسدين الظروف والإمكانات التي تمكنهم من استغلال موارد الدولة وامكاناتها لمصالحهم الخاصة ولا تفرض عقوبات مناسبة عليهم ولا تنفذها فيتمادون في ممارسة الفساد دون رادع او خوف من عقوبات.
- غياب قوانين حماية المبلغين عن الفساد او عدم وضوحها فيتراجع دور التابعين في مكافحة الفساد وتضعف المشاركة المجتمعية في التبليغ عنه.

- تزييف الحقائق واخفاؤها وتقييد حرية الافراد في الوصول إلى المعلومات التي تتعلق بالشؤون العامة ولا سيما المتعلقة بالجوانب المالية والاقتصادية.
- غياب مؤسسات لمكافحة الفساد مستقلة إداريا وماليا وسياسيا وتمارس دورها الرقابي في محاسبة الأشخاص.
- لا ترسي القيادة المستبدة نظماً تحقق الشفافية والنزاهة وحرية الإعلام والمجتمع المدني وتضمن استقلال القضاء في قضايا الفساد ومحاسبة الفاسدين ومعاقبتهم.
- ترسيخ ثقافة مجتمعية تقبل الفساد وتمارسه، كالوساطة والرشوة وتعميق الولاءات العشائرية والطائفية والحزبية وغيرها من الأمور التي تعيق المشاركة السياسية الحقيقية القادرة على مساءلة السلطة التنفيذية.
- تعهد مسؤولية ادارة المؤسسات الى الفاسدين والمنتفعين والانتهازيين والمداهنين.
- لا توفر للتابعين مساحة واسعة من حرية التعبير والاختلاف والتعددية والشفافية ولا تسمح لهم بمراقبتها ومساءلتها.
- سيطرة أصحاب الأموال على الدولة.
- خلق فئة قليلة جدا تستأثر بالاموال والأراضي والعقارات والجاه والنفوذ في المجتمع [8]، وفي ذات الان افقار اغلب الافراد وجعلهم في ظروف اقتصادية وصحية مزرية للغاية ودخلهم متدني جدا فتضطرهم الى قبول الهدايا والرشى والخضوع للسلطة حتى مع الحرمان من الحقوق، وتزعزع اهتمامهم بالمصلحة

العامة وتنمي لديهم اللامبالاة والسلبية وتضعف لديهم الاهتمام بالقضايا السياسية والثقة بالدولة واجراءاتها والالتزام بالقيم الأخلاقية التي ترفض الانحرافات ومخالفة القوانين والتعليمات والقيم الإنسانية، وتدفعهم لمنح الأولوية للمصالح الخاصة والطائفية والمناطقية والحزبية عندما تتقاطع مع المصلحة العامة.

الأطراف المساهمة في الفساد

لا يتحقق الفساد الا بوجود طرفين هما: موظف يستخدم سلطاته من اجل مكتسبات خاصة (مادية ومعنوية) بطرائق غير مشروعة وشخص يرغب بتحقيق أهدافه، وفي بعض الحالات لا يتحقق الفساد بصورة مباشرة بين الطرفين الأول والثاني الا عبر وسيط مقابل عمولات او مكتسبات مادية او معنوية من احد الطرفين او كليهما، وتحصل هذه الحالة عندما يرفض الطرف الأول او الثاني او كلاهما الإفصاح عن انفسهم لأسباب شتى.

مظاهر الفساد

يتخذ الفساد المظاهر الاتية: اختلاس الأموال والممتلكات والثراء السريع وغير المشروع وهدر المال العام ومحاباة الأقارب والمناصرين والمحسوبية وإعطاء الرشى والهدايا وقبولها، والاحتيال والغش والتزوير وغسيل الأموال والاحتكار والتلاعب في نتائج الانتخابات، وتهريب الاموال، والتلاعب في العقود والمناقصات والمزايدات وفي تنفيذ المشاريع ومنح العقود والمناقصات والمزايدات على أسس لا علاقة لها بتكافؤ الفرص، وتراكم الثروات في أيدي القيادة المستبدة واتباعها

ومناصريها، وانتشار السوق السوداء والتهرب الضريبي، وعدم كفاءة البناء التنظيمي والإجراءات الإدارية التي تنظم العمل وتحدد المسؤوليات والصلاحيات والرقابة واختيار العاملين، وازدواجية السلطة، وهدر الوقت والإمكانات، والنفاق الوظيفي، وانعدام الثقة فيما بين العاملين وبينهم وبين القيادة، وتعسف العاملين في استخدام السلطة وابتزازهم للافراد، وإساءة استخدام النفوذ، واختلاس المال العام وعدم ملاحقة المسؤولين الفاسدين قضائيا وجنائيا وغياب المؤسسات التي تتصدى للفساد والمفسدين(9).

مجالات الفساد

تتعدد مجالات الفساد وتتداخل مع بعضها البعض وغالبا ما يكون انتشاره في احدها سببا مساعدا على انتشاره في المجالات الأخرى، وفيما يأتي اهم مجالات الفساد:

- **الفساد الإداري:** يحدث عندما توظف القيادة سلطتها لخدمة أهداف شخصية، وعدم إتباع النظم الموضوعية عند اختيار العاملين وتعيينهم، وغياب الشفافية والمساءلة وتدني كفاءة الرقابة على أنشطة الدولة وتجزئة إجراءات المعاملة الواحدة بين عدة أشخاص وإبتزاز الموظفين للمواطنين، وحرمان المواطنين من حقهم في الاعتراض على إستغلال السلطة لهم، والمبالغة في الإجراءات الروتينية والبيروقراطية.

- **الفساد السياسي:** يحدث وينتشر عند غياب الديمقراطية وعدم تداول السلطة وغياب المحاسبة والمساءلة، ورفض الاعتراف بحقوق المواطنين الأساسية وعدم معاقبة الفاسدين والاثراء غير المشروع والسطو على المال العام وتوظيفه في تزوير إرادة الناخبين وشراء أصوات الناخبين او انتخاب الافراد لاعتبارات لا علاقة لها بالكفاءة مثل الانتماءات السياسية والعشائرية والدينية وبذلك يجعل السلطة التشريعية والمنتخبين والاتحادات والمنظمات منفذا للفساد ويصبح التصويت على المشروعات والقوانين والإجراءات وسائل وأساليب لعقد الصفقات وتبادل المنافع الشخصية، وتظهر اكثر حالات الفساد السياسي خطورة عندما تكون القيادة مستبدة وترهب المعارضة او تقصيها او تكون المعارضة هشة.
- **الفساد المالي:** ويشير الى سلوك غير قانوني يؤدي الى هدر المال العام وأعمال السمسرة في المشاريع وتجارة السلاح وكافة المعاملات المالية والاقتصادية المخالفة للأحكام والمبادئ الانسانية، وتؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، ويندرج تحت الفساد المالي إختلاس المال العام والعدوان عليه، كتضخيم فواتير الإنفاق العام لصالح أفراد أو طبقات معينة وأخذ رسوم مقابل خدمة مجانية او رفع الرسم المقرر للحصول على الأرباح وتسمى هذه الحالة قانونيا (الغصب)، وتزييف العملة وبطاقات الائتمان وأعمال السمسرة والتلاعب في سوق الصرف مثل تجارة العملة وسوق المال الخاصة بالأسهم والسندات وبعض الأعمال التي تصدر عن شركات السمسرة كقيامها بإصدار أسهم بدون أن يكون لها أصول وكذلك المضاربة غير المشروعة التي تستهدف التأثير على

أسعار الأسهم أو إطلاق الشائعات والتعاملات الخفية واستخدام معلومات سرية لإتمام صفقات تحقق أرباحا طائلة[10].

مكافحة الفساد

لا بد من التوكيد ان مكافحة الفساد لا تكون الا باعتماد الديمقراطية وبرلمانات منتخبة ومؤسسات تعنى بالشفافية والنزاهة والمساءلة والحوكمة وتطبق إجراءات صارمة ضد الفاسدين، واجهزة اعلام تتمتع بمساحة واسعة من الحرية، ومجتمع شجاع ومعد لمحاربة الفساد ومتاحة له فرص واسعة للتعبير بصراحة عن مواقفه من مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والفنية وغيرها.

وتقطع الحقائق ان الفساد ينتشر في جميع الدول بدرجات متفاوتة رغم إجراءات مكافحته، ويكون على اشده في الدول المتنامية ويفعل افعاله السلبية بوضوح في الافراد والمجتمع والمؤسسات لاسباب لعل من ابرزها الفقر والاستبداد ومصادرة الحريات والحقوق ونهب الثروات وغياب الشفافية والنزاهة، كما انه لا يزال ظاهرة تقلق الافراد والمؤسسات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية في الدول الديمقراطية التي قطعت أشواطا واضحة في الديمقراطية والشفافية وطورت إجراءاتها في مكافحته.

ثانيا: التخلف

يعرف التخلّف بانه العجز عن مسايرة الركب المتوجه نحو تطوير حياة الافراد الى الافضل، ويشير المعنى الاصطلاحي للتخلف الى التأخر الزمني والقيمي

والسلوكي عن ركب الحضارة، ويجعل التخلف المجتمع يتميز بالجمود والرتابة (اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية) ولا يتطور نحو الأفضل وليس فيه نخب وقيادات قادرة على صياغة نظريات ومفاهيم وخطط ذات رؤى علمية وعملية تسهم في الترقي بواقع الافراد نحو الأفضل في جميع القطاعات الاقتصادية[11]، ويعرف التخلّف أيضا بأنه التأخر والتراجع في شتى مجالات الحياة (الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعلمية والتقنية والصحية وغيرها)، وله آثارٌ سلبية في المجتمع واضحة كوضوح الشمس منها الجهل والفقر والبطالة وانتشار الفساد ومذمومات الاخلاق، وتدهور جميع القطاعات الاقتصادية، وتعطيل عمليات التنمية[12].

ويعد التخلف ظاهرة كلية ذات جوانب متعددة تتفاعل فيما بينها بشكل جدلي وتتبادل التجديد والتعزيز مما يجعلها قوية ومتماسكة وتقاوم جميع عمليات القضاء عليه او تجعل القضاء عليه عسيرا ويجعل البيئة التي يحل فيها تعاني من وهن مزمن ومثقلة بعوامل الإعاقة والخلل ودائمة التوتر وتعصف فيها الازمات.

والتخلف هو نتاج عدة عوامل (داخلية وخارجية) مجتمعة تتفاعل فيما بينها وله ارتدادات وتأثيرات سلبية تطرد كل أسباب التطور وعوامل التحضر في مقدمتها وجود قيادة مستبدة تغتصب السلطة وترفض تداولها وتصادر حريات الافراد وحقوقهم وتعمق التخلف في مجمل حياتهم ومع مرور الزمن تجعله يصل إلى عقولهم ووجدانهم وأهدافهم واحلامهم واحتياجاتهم ومواقفهم من أزمنتهم الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل) ودقائق شؤونهم الخاصة والعامة وتنظيم علاقاتهم مع ذاتهم ومع الاخرين والسلطة، وتتسع لديهم الفجوة بين الطموح والواقع ويزداد نزوعهم الى قبول الواقع المرير والتكيف معه والانصراف عن التمسك بالطموح والعمل على احداث تغيير شامل نحو الأفضل.

ويمثل التخلف في المرحلة المعاصرة اخطر قضية أو تحدٍ يواجه اغلب سكان الكرة الارضية بسبب اتساع الفجوة الحضارية بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، وليس بالإمكان مواجهته بسهولة ما دامت الدول المتقدمة تزداد تطورا وتسير الدول المتخلفة متسارعة نحو المزيد من التخلف على جميع الصعد، ولا سيما في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ويتعمق فيها الفقر والمرض والجهل وتحكمها قيادات مستبدة تمتلك وحدها حق تحديد الأهداف وصنع القرارات واتخاذها وحق منح الحريات والحقوق ومصادرتها دون مراقبة ومساءلة وتوظف التزلف والاستزلام والمبالغة في تعظيمها وتعمل على وفق مصالحها الخاصة وتوجيهات الدول الأجنبية التي نصبتها وتدعم استمرارها بجميع الأساليب، وتؤمن بان ليس للتابعين حق في التمتع بالحرية والمكانة والاهمية والحقوق وما عليهم الا الرضوخ والتبعية لها والعيش في عالم بلا رحمة ولا تكافؤ ومسلوبي الإرادة والاستقلالية ومحكوم عليهم بالدونية كقدر مفروض عليهم ويكون كل ما يمت إليهم مباحاً لها (حياتهم وحريتهم وممتلكاتهم)، ولا تعترف بإنسانيتهم وبحياتهم وقدسيتها وحقهم في حرية الاختيار والتملك والرفض والقبول.

ارتدادات التخلف السلبية

تكون للتخلف عدة ارتدادات سلبية خطيرة على مجمل حياة الافراد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والفنية وغيرها لكن اخطرها تلك التي تجعل الانسان يألف التخلف ويعززه ويدعم استمراره ويرتبط به ويشعر نفسيا بانه يضمن له بعض التوازن النفسي الذي يمكنه من الاستمرار في العيش.

ويترك التخلف ارتدادات سلبية على كل مَيْل او توجه او علاقة بين الافراد ومعاييرهم وقيمهم واهدافهم وسلوكاتهم، ولا سيما عندما تكون البيئة المحيطة بهم مثقلة بمتغيرات تشدهم الى الوراء وتجعلهم يميلون الى الاستكانة والانسحاب بدلا من مجابهة التخلف والتصدي له، وفيما يأتي ارتدادات التخلف السلبية التي تعمل القيادات المستبدة على تعميقها افقيا وعموديا في الافراد لضمان سيطرتها عليهم (13):

- يألف الافراد الضيم والذل والضعة من طول معايشة التخلف، ويستمرئون سذاجة التفكير واللامبالاة والفساد ومذمومات الاخلاق والتفاهة والفسق والانكفاء على الذات، ويستعذبون الهوان والحرمان، ويصبح لديهم الاستعداد لقبول القيادة المستبدة وكأنها قدر مفروض عليهم لا يستطيعون التخلص منه حتى لو اذلتهم وعرضتهم للهدر والقهر وصادرت حرياتهم وحقوقهم وتحكمت في ارواحهم واجسادهم واموالهم وجعلتهم في فقر وجهل وليس من حقهم نقدها ومعارضتها ومساءلتها وغير قادرين على إيقافها عن الاستبداد والتعسف والتعدي على حرياتهم وحقوقهم بسبب خوفهم منها ومن بعضهم البعض، والانكى من كل ذلك يتبارون في تأييدها ويحرضونها على البطش بالمختلفين معها دون الشعور بمنقصة او غصة(14)، ولسان حالهم كما يقول عبد الرحمن الشرقاوي في روايته "الأرض" التي نُشرت عام 1954 "خلي الحكومة تتحكم واللي في القلب في القلب"(15)، ويذكر الكاتب "ميلان كونديرا" في روايته "كائن لا تُحتمل خفته"، ان إحدى شخصياته الخمسة الرئيسة، وهي الشابة اليافعة "سابينا"، فشلت في نضالها ضد القمع الشيوعي في بلادها وتحوّلت شعلة حماسها العام إلى نموذج منطفئ لإنسان مقهور ينكفئ على ذاته، تاركة كل أسباب النضال والشأن العام

برمّته، ومكتفية بما تقضيه من أيامها في حياتها الخاصة(16)، ويصف المتنبي حالهم قائلا:

قد تعيش النفوس في الضيم حتى لترى الضيم انها لا تضام

- يسود العلاقات بين الافراد الإكراه والقهر والتسلط والتوتر والتحاسد والفرقة والصراعات وفعل المنكَر والاثم والعدوان والشعور بالدونية والخوف والتقهقر والركود والفشل والاتكالية والإحباط وعدم احترام الذات وفقدان الثقة بالآخر ومصادرة حريته في الاختلاف، وكل منهم يتهم الاخر بالغدر والخيانة والغش والكذب والتحايل وعدم الوفاء بالتعهدات، ويبغي بعضهم على بعض الى درجة تبلغ حد الرغبة في إبادة الخصم بمختلف الوسائل القمعية الممكنة، وهم معدومي الإرادة في الاختيار وحرية التعبير عن الاختلاف في الآراء والتوجهات والاهداف والأساليب ولا يمتلكون زمام مصيرهم تسييرا وتوجيها وصناعة وبناء اقتدار ذاتي وجمعي يحقق لهم كامل انسانيتهم(17)، والادهى من كل ذلك يكون الافراد محاصرين والمساحة المتاحة لهم فيما يجوز التفكير فيه والتصريح به ضيقة جدا او معدومة مقارنة بمساحة ما لا يجوز التفكير فيه والتصريح به، ولا سيما في المجالات التي لها علاقة بحرياتهم وحقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومستقبلهم، وبمرور الوقت تتلاشى المساحة المتاحة لهم فيما يجوز التفكير فيه والتصريح به ويصبحون كائنات مستنسخة ليس من حقهم الاختلاف والتعددية والتفرد والتوصل الى قناعات وقرارات مغايرة للمألوفات البالية في الافكار والطموحات والأساليب، ومرغمون على الانسجام والتعايش مع واقعهم المأزوم

الذي ينطوي على الكثير ضد قناعاتهم ورغباتهم دون التجرؤ حتى على اظهار استيائهم من واقعهم.

- يجعل التخلف افراد المجتمع كتلة متراصة من الأشياء تقتصر وظيفتهم في الحياة على اشباع بطونهم وشهواتهم وهم غير قادرين على الدفاع عن حقوقهم وحرياتهم وقضاياهم المصيرية وتوحيد انفسهم في مجتمع موحد قادر على التوافق على ثوابت وطنية ويطمح في الحرية والاستقلال والترقي الى الافضل ويمنع القيادة المستبدة من التمادي في الظلم والاستبداد وهدر حقوقهم ويستطيع محاسبتها ومساءلتها وحتى عزلها عندما لا تحقق أهدافهم المشروعة في حياة افضل [18].

تهدر القيادة المستبدة انسانية التابعين

تتفاوت مديات هدر انسانية الانسان من اباحة اراقة دمه في القتل او التصفيات كحد اقصى الى هتك إنسانيته وانكار طاقاته وكفاءته وحقه في الاختيار وتعريضه لمختلف صنوف التسخير والتحقير واساءة المعاملة حتى يفقد مكانته ومنعته وحريته وحقوقه.

وتقطع الحقائق ان القيادات المستبدة تهدر إنسانية التابعين وحياتهم وحقوقهم فمثلا هدر صدام حسين حاكم العراق المستبد (1979-2003) إنسانية جميع العراقيين طيلة مدة حكمه، فقد زجهم في حروب عبيثة قتل فيها مئات الالاف ومثل هذا او يزيد تعرضوا للإعاقة (الجسدية والنفسية) واعدم اعداداً لا تحصى من المختلفين معه واودع الكثير منهم في سجون تعرضوا فيها لأبشع صنوف التعذيب الأليم والمهين واستخف بالجميع ومنع حرية الرأي والمعارضة واستولى على ثروات البلاد وافقر الشعب وجعله في فاقة وعوز وافتعل ازمات اقتصادية وسياسية لإشغال الافراد عن استبداده ومنعهم من الاطلاع على المعلومات باستثناء التي تزين افعاله وتعده الاعلم والاشجع، وحرم على الافراد السفر واستقطب المداهنين والمتزلفين وعمق العصبيات والعشائرية وابعد الاكفاء علميا ومهنيا وجعل أجهزته الأمنية والمخابراتية تحيط بالجميع وتتابع تحركاتهم وتحصي عليهم انفاسهم وتنشر الخوف والرعب والانتهازية بين الافراد فأعاد العراق الى القرون الوسطى.

- يكتفي الدهماء من افراد المجتمع وهم الغالبية بأن يعوضهم الله تعالى في الاخرة عن معاناتهم من ظلم القيادة المستبدة في الدنيا وما يصيبهم منها من فقر وجهل ومرض وتخلف ليعفوا انفسهم من مسؤولية مواجهة القيادة المستبدة ووضع حدٍ لاستبدادها وانعكاساته السلبية عليهم واقصى ما يفعلونه انهم يدعون الله تعالى عليها في الغرف المغلقة بينما يدعون في العلن لها بالصحة والقوة والاستمرار متجاهلين قول الله تعالى "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ وَرَسُولُهُ عَمَلَكُم وَسَتُرَدُّوْنَ اِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ"[19].
- ينقسم المجتمع على طوائف واعراق وفئات وتجمعات تتكرس فيه الانشقاقات والتشرذم ومنح الأولوية للمصالح الفئوية واقصاء الاخر ويكون الإنسان فيه مغلوباً على أمره، عاجزاً عن التغيير أو التحدي ومغرباً ومغترباً عن ذاته، ومستباحا ومعرضاً لمختلف المخاطر وليس امامه الا الخضوع أو الامتثال القسري واجترار احزانه وهزائمه الخاصة والعامة ومضطرا للتواطؤ مع القيادة المستبدة والتعايش معها لتحصيل بعض الرضى منها أو تجنب بطشها [20].
- يستقر "**العنف**" في سلوك افراد المجتمع ويصبح سيد المواقف والسبيل الوحيد للحصول على الحقوق، فيستقوي الافراد بعضهم على بعض، ويتسلط كل واحد منهم على مَن هم أدنى منه ويتماهون مع القيادة المستبدة في استبدادها ورفضها الاختلاف، وليس هذا فحسب وانما يحضونها على البطش بالمعارضين، ويمارسون العنف ضد من هو اضعف منهم او ضد انفسهم على شكل عدوانية مرتدة إلى الذات فينهالون عليها باللوم الدائم والتحقير المستمر وينظرون الى انفسهم نظرة دونية منزوعة من الرأفة ويميلون الى الاستسلام لِمَن يقودهم او يوجههم نحو

تخريب الممتلكات العامة وسرقتها وتعطيل الاعمال، ويذهب زيغمونت باومان، عالم الاجتماع البولندي الأصل، في كتابه "الحداثة والهولوكوست" إلى أن القضاء على جميع أشكال الرأفة عند الشعب يستلزم ثلاثة شروط: أولاً، تفويض باستخدام العنف في صورة أوامر رسمية عن جهات قانونية، أو ربما دعوة الشعب إلى منح هذا التفويض؛ ثانيًا، تميط العمل من خلال توزيع الأدوار وإقرار الانضباط؛ ثالثًا، تجريد ضحايا العنف من الصفات الإنسانية من خلال وضعهم في قوالب أيديولوجية جامدة أو توصيفهم بأنهم جماعات تخريبية إرهابية أو إلصاق بعض الصفات الشيطانية بالجماعة المستهدفة في الخطاب السياسي والثقافي مثل "العملاء" أو "المخربين" أو "الفوضويين" أو "الرجعيين" و"الظلاميين"، ولا يتحقق الشرط الثالث إلا بتواطؤ المجتمع كله بداية من الإعلام والنخب الثقافية وأساتذة الجامعات وحتى موظفي الدولة والأفراد العاديين، ففي هذه اللحظة يتمثل "شرف الموظف" كما يقول عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر في تنفيذ أوامر السلطة العليا بكل إخلاص وإن كانت لا تتوافق وقناعاته فهو ينكر مرجعية الضمير الإنساني أو يعلقها حتى ينتهي الظرف التاريخي بسلام، فيصير جنديًا في آلة عسكرية ضخمة[21].

التابعون يحرضون القيادة المستبدة على البطش بالمختلفين معها

حرض قوم فرعون المستبد على البطش بموسى عليه السلام لانهم كانوا قوما فاسقين ومتخاذلين، ويتجلى هذا في قوله تعالى "وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ".

وقد حصل في العراق ذات الامر ابان حكم صدام حسين 1979-2003 اذ حرضه المرتزقة والمداهنون والمتزلفون طيلة مدة حكمه على البطش بالمعارضين الرافضين لظلمه واستبداده وقد عمل على وفق ما حرضوه عليه ليتمادى في طغيانه وتسلطه على شعبه مخالفا القوانين والمسؤوليات الأخلاقية واحكام الشريعة.

- يبحث افراد المجتمع عن اغطية لحماية أنفسهم من السلطة ومن بعضهم البعض ولا سيما عندما تتنامى الاحزاب والعشائر والطوائف والمذهبية والمناطقية وتتحول الى مجموعات متناحرة يتحكم فيها الرعاع والهمج والمصالح الشخصية والمستبدون [22].
- يخشى الافراد من الحرية ويهربون منها اما لجهلهم بأهميتها في الترقي بهم الى الأفضل في جميع المجالات او لاعتقادهم بانها مسؤولية جسيمة غير قادرين على الاضطلاع بها، بيد أن جهلهم ذلك يعد خطأ وخطيئة لا تغتفر، وترى الروائية النمساوية ماري إبنر إيشنباخ: "إن أعدى أعداء الحرية، إلى جانب الطغاة ورجال السلطة، هم العبيد السعداء"، وهم الناس البسطاء التافهون الذين يمنحون السلطة قوة إضافية ويجعلونها تستقوي على الجميع ولا سيما المعارضين لها، لانهم

يلقون أغصان إيمانهم الأعمى بتفاهات السلطة رغم قدرتهم على اصلاح واقعهم بأنفسهم، كما يقول بيغوفيتش في كتابه "هروبي إلى الحرية" بأن الناس تحتاج إلى خلاص أخلاقي فردي، وإلى خلاص جمعي مشترك عن طريق طلب الحرية ورفض الاستبداد[23].

- يناصب الافراد الديمقراطية العداء صراحة ويرفضون الاختلاف والتعددية وينظرون الى الاخر المختلف بانه الشر والخطأ والخطايا، ويرفضون مناظرته والاطلاع على برامجه واهدافه واساليبه وانجازاته ويتطيرون من ملاحظاته وانتقاداته لبرامجهم وأهدافهم واساليبهم وبذلك يفقدون فرصة اثراء أهدافهم وبرامجهم وممارساتهم واساليبهم وتصويب اخطائهم [24].
- يعاني الافراد من تقهقرات وهيمنات واكراهات واحباطات وازمات اقتصادية واجتماعية وتهميش سياسي وفقر مدقع وجهل مطبق وامراض (عضوية ونفسية واجتماعية) ويسكنون في العشوائيات ومدن الصفيح والمقابر، وخير مثال على ذلك مقابر القاهرة التي يعيش فيها الآن أكثر من مليون شخص [25].
- تأليه القيادة المستبدة بعقل مسكون ببنية المماثَلة بينها وبين الإله و"الأمير" (سواء كان الأمير فرعونا أو بختنصر أو خليفة أو ملكا أو سلطانا أو رئيسا أو زعيما) ويخلعون عليها صفات الألوهية ويطيعونها كأنها مندوب الله في الأرض، وكلامها هو كلام الإله **وما عليهم سوى السمع والطاعة**، ويطالبونها ويتوسلون اليها بالبقاء في موقعها بل يتحايلون عليها ان تستمر في الحكم حتى عندما ترتكب أخطاء جسيمة بحقهم وحق الوطن، ويعزز هذا التوجه لديهم وعاظ السلطة والمداهنون والمرتزقة [26].

تأليه القيادة المستبدة

استهل خروشوف خطابه في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي المنعقد في 25 شباط 1956، قائلا "ان من غير الجائز ومن الغريب عن روح الماركسية اللينينية ان ترفع شخصا واحدا وتحوله الى سوبرمان يملك صفات غير طبيعية مماثلة لصفات اله يعرف كل شيء ويرى كل شيء ويستطيع عمل كل شيء ويفكر نيابة عن الجميع ويكون معصوما في سلوكه"، وكان يعني بذلك ستالين رئيس الاتحاد السوفيتي الذي كان يوصف بانه يجمع في شخصه اعظم بايولوجي واعظم اقتصادي واعظم مؤرخ، وهو قائد الإنسانية العبقري واعظم قائد عسكري في جميع الأزمنة وهو قائد الطبقة العاملة في كل مكان وقائد الإنسانية التقدمي والزعيم المعصوم واكبر عبقرية عرفتها الإنسانية في الوقت الذي ضمت معسكرات الاعتقال سبعة ملايين انسان وقتل ما لا يقل عن نصف مليون في عام 1938 وكان يعدم نخبة المجتمع السوفيتي، واشترك في الحرب الكونية الثانية التي راح ضحيتها 62 مليون ما عدا الأعداد الكبيرة من المُصابين وتسببت في تدمير اقتصاد الدول التي شاركت فيها.

ولا يخفى على الجميع ان القيادات المستبدة عبر مسيرة الإنسانية لا تختلف كثيرا عن ستالين فيما تقدم الا في بعض التفاصيل.

المصدر:

هشام علي حافظ وجودت سعيد وخالص جلبي، كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد، ط: 2، (بيروت: دار رياض الرئيس، 2002)، ص: 169-170.

افتقاد القيادة المستبدة

خرج المصريون بالملايين في تشييع جنازة جمال عبد الناصر في يوم 28 كانون الأول/ديسمبر 1970 وهم في عويل وبكاء هستيري ولطم الخدود تعبيرا عن حزنهم لوفاته بدلا من ان يفرحوا لزواله فقد احتقرهم وعذبهم وافقرهم وجذر فيهم التخلف الاقتصادي والاجتماعي والفساد المالي والإداري والاخلاقي وادخلهم في حرب عبثية اهلكت الحرث والنسل.

المصدر: حيدر إبراهيم علي، تجدد الاستبداد في الدول العربية كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز 2005)، ص: 190.

- يفقد افراد المجتمع المثل العليا التي تعد المنشط للإرادة الوطنية ويتجاوزون على القوانين والأنظمة والإجراءات المؤسساتية، ويوظفون التهديد مع الاضعف والعنف والرشوة والتزوير والكذب وغيرها من الممارسات غير المشروعة بسبب تراجع الإحساس الجمعي لديهم وفقدان الحس الوطني والسياسي وينصرفون عن الاهتمام بشؤون الوطن وتطويره، ويتزايد ميلهم الى منح الأولوية للمصالح الشخصية عندما تتقاطع مع المصالح العليا المشتركة [27].

- لا يتنافس الافراد في الترقي في اهميتهم وانما في مراءاة القيادة المستبدة طمعا بالمكافآت او خوفا من عقوبات وهي بدورها تبارك هذه الخليقة لديهم وتعمقها فيهم وتغدق على كل من يتخلق بها غير مدركين انهم لم يخلقوا للانصياع للقيادة

المستبدة وطاعتها والثناء على رفعتها والافتخار بخططها وقراراتها واعمالها والتماهي معها والتشبه بنمط حياتها وهويتها وإيماءاتها وتعابيرها واساليبها وبكل ما تفعله حتى وإن جارت واستبدت بهم وهضمت حقوقهم وصادرت حرياتهم ونهبت أموالهم [28].

- يسعى الافراد إلى المزيد من الثروة بجميع الأساليب المشروعة وغير المشروعة فينخفض تقديرهم للفضيلة [29].
- يجهل الافراد حقوقهم ولا يفتقدونها ان أُلغيت ويتجنبون المطالبة بها ولا ينتفضون لاسترجاعها من القيادة المستبدة ولا يفهمون المستقبل ولا يخططون له وجوهر حياتهم مؤسس على المثل الشعبي "إحييني اليوم.. وموتني بكرة"، او "لا تفكر لها مدبر"، ويتحكم التفكير الدائري في خططهم وقراراتهم واهدافهم وسلوكاتهم وعلاقاتهم وافعالهم وعواطفهم ويبدأ هذا التفكير بفكرة معينة وينتهي بذات بالفكرة ويكون مؤسساً على بديهيات ومسلّمات غير مثبتة وهشة ومختلة في تماسكها وصدقيتها ويعزز سطحيتهم في الرؤى والأهداف ويجعلهم مدمنين على الكسل والتواكل ونفي مسؤولية الإرادة والعقل والفعل الإنساني عن جهلهم وأخطائهم ولذلك لا يتقدمون الى الامام وانما يراوحون في نفس المكان وسرعان ما ينتكسون ويفشلون في الاسهام في التطور المفيد لهم وللحضارة الإنسانية، بينما تتسارع خطوات العالم الذي يعتمد التفكير المستقيم في تحقيق تطورات مذهلة على جميع الصعد.
- يرفض الافراد التغيير حتى لو كان يحمل لهم فوائد جليلة لأسباب عديدة منها الخوف من المجهول و/او التمسك بالتقاليد والمألوفات رغم علمهم بعدم جدواها.

- لا يألف الافراد ثقافة المعارضة العلنية وحرية التعبير عن آرائهم بصدد مختلف القضايا صراحة وعلنا بدءا من العائلة مرورا بجميع المنظمات وصولا الى اعلى المستويات في الدولة وانما يعملون على وفق "اترك ما لقيصر لقيصر"، او كما يقول الاردنيون "خلي راسك بين هل رؤوس وقول يا قطاع الروس" أو "مالي خص" أو "امشي جنب الحيط"، ويرفضون قبول الاختلاف والتعددية والحوار الموضوعي الهادف الذي لا غنى عنه في الوصول إلى أفضل الخيارات في كل قضية، ويعتقد كل فرد فيها بأنه لا صواب إلا صوابه ولا اجتهاد إلا اجتهاده رغم جهله لما يتعصب له، وينظمون علاقاتهم مع الاخرين على وفق قاعدة "اما معي أو ضدي"، فاذا أحبوا الآخر اعتقدوا انه خير دائم ومبرأ من الخطأ والنقائص، واما اذا اختلفوا معه فهو شر مستمر وخطأ واضح، ويسيطر عليهم جهلان: الجهل البسيط وهو أنهم يدركون الشيء على غير حقيقته دون ان يعلموا، وجهل مركب وهو أنهم يدركون الشيء على غير حقيقته ويجزمون أنهم يدركونه على حقيقته، وتكون لهذه الظاهرة انعكاسات سلبية خطيرة على اداء الجميع وسلوكهم وتجعلهم يتقنون التزلف وصناعة فراعنة مستبدين وتمجيدهم وتبرير اخطائهم وانحرافاتهم، وتؤكد الوقائع ان العراقيين تمادوا في مثل هذه الممارسات ايام حكم الطاغية صدام حسين فكانوا يهتفون له "بالروح بالدم نفديك يا صدام"، ويطالبونه بإنزال اقصى العقوبات بمن يخالفه ابتغاء مرضاته و/ او طمعا بالمكافآت المالية والمعنوية وتوقيا لغضبه، وفي خلاف ذلك يشعرون انهم آثمون ويستحقون أبشع صنوف العقوبات، وقد شجعه ذلك على الامعان في البطش بالمختلفين معه وقد اعاد هذا النهج والسلوك غير الاخلاقي immoral العراق الى ما قبل العصور الوسطى.

- يقدم الافراد المصالح الخاصة والحزبية والفئوية على المصالح العامة ولو حدث الطوفان، ولو طلب إليهم انتخاب من يمثلهم فان كل واحد منهم ينتخب نفسه أو من يرتبط معه بعلاقة أو مصلحة فئوية او قبلية بصرف النظر عن المهارة والكفاءة والاخلاص والشجاعة.
- لا تتراكم في ذاكرتهم المعلومات ومثلهم في ذلك كمثل برميل بلا قعر، فهم لا يتذكرون الأحداث ولا يستفيدون من الدروس المستخلصة منها في الإعداد للمستقبل للارتقاء بتصوراتهم وأهدافهم واساليبهم وتنقية مسيرتهم من الاخطاء والزلل وتطويع العقبات والتحديات التي تواجههم بالكفاءة المطلوبة ويقول الامبراطور الروماني ماركوس اوريليوس في عام 1700 قبل الميلاد "يمكن للعقبات ان تعرقل افعالنا ... ولكننا نستطيع ان نواجهها ونصل الى اهدافنا"، يضاف الى ذلك انهم لا يتداولون المعلومات الحقيقية بينهم بحرية لأسباب اجتماعية وسياسية، وتضرب ثقافة التستر على الأخطاء والتقصير او انكارها او القاء مسؤوليتها على الاخر او إيجاد كبش فداء سواء كان فرداً او جماعة بجذور عميقة في سلوكهم لحماية انفسهم من التعرض الى المساءلة والعقوبات (المادية والمعنوية) القاسية التي تفرض على مرتكبي الأخطاء والمقصرين، رغم علمهم ان هذه السياسة الدفاعية لا تنجح دائما بسبب انتشار الوشاية وافشاء الخبايا.

نماذج من ممارسات الافراد غير العقلانية في بيئة القيادة المستبدة

النموذج الأول: طالب ملايين المصريين يومي التاسع والعاشر من حزيران/يونيو في عام ١٩٦٧ جمال عبد الناصر بالبقاء في منصبه بعد ان اعلن عن تنحيه عن رئاسة مصر على اعقاب هزيمته في الحرب مع الكيان الصهيوني في الخامس من حزيران/يونيو في عام 1967 التي مكنت الكيان الصهيوني من احتلال أجزاء مهمة في سوريا ولبنان والأردن ومصر وتسببت في قتل وجرح آلاف العرب والحقت بهم جميعا كارثة حطمت نفسية الإنسان المصري والعربي.

النموذج الثاني: استقبل السودانيون جمال عبد الناصر استقبالا بالغ الحرارة عندما قدم الى السودان للمشاركة في مؤتمر القمة في الخرطوم الذي عقد في آب/أغسطس ١٩٦٧ بعد ما يقرب من شهرين على هزيمة الخامس من حزيران في نفس العام وقد ابدت الصحف الغربية وخاصة الأمريكية دهشتها لهذا الاستقبال الحار لانه يحدث لأول مرة في التاريخ لقائد مهزوم.

المصدر: د. امام عبد الفتاح امام، الطاغية، (الكويت، مجلة عالم المعرفة العدد 183، ص:261-263

- يميل الافراد الى التقوقع داخل خندق المفعول به في جملة العمل والإنجاز بعد أن هجروا طواعية موقع الفاعل واصبحوا اسرى الشكوى والتذمر من الظلم والفقر والتخلف السياسي والاقتصادي والفساد المالي والاداري في الغرف المغلقة ويعتمدون كليا على القيادة/السلطة في ادارة شؤونهم ويطلبون إليها تحقيق أحلامهم دون ان يبادروا بأنفسهم الى معالجة ما يعانون منه.
- تضيّق إجراءات الدولة وقوانينها المساحة على الاكفَاء الشجعان وتجعل شرط نجاح الافراد ان يكون الفرد اتباعيا لا ابتداعيا، تابعا لا رائدا، خائفا لا ثوريا، ومواليا ويتصيد اخطاء الاخر لا معارضا.
- لا يفتأ الافراد عن ابتداع ذرائع واعذار ومبررات يعلقون عليها اخفاقاتهم وخيباتهم وخطاياهم وعدم قدرتهم على بلوغ الأهداف المطلوبة كمحاولة لتبرئة

الذات وأحيانا يلعبون دور الضحية، وقد وفر هذا النهج للسلطة فرصة ذهبية للاستقواء عليهم، ويؤكد جورج واشنطن ان "تسعون بالمائة من الفشل ينبع من المعتادين على تقديم الاعذار".

- تنامي اعداد الذين يكتمون ايمانهم بأفكار مختلفة عن السلطة بدافع حماية أنفسهم وعوائلهم بعدما سكن الخوف منها عقولهم وقلوبهم وتزايد ميلهم الى الانكفاء على النفس والعزلة واللامبالاة والنأي عن السياسة وقضايا تطوير الوطن ولا سيما بعد ان استيقنوا ان المعارضة تركز على مصالحها الفئوية وتقصي فصائلها بعضها البعض وانها غير قادرة على تحقيق احلامهم في الحرية والامن والاستقرار وتخليصهم من براثين الفقر والمرض والجهل ولا تستطيع الدفاع عن حقوقهم وحرياتهم ومصالحهم وصناعة الرأي العام والوعي الجمعي المؤثر في الاحداث ومنع الاستبداد.

- تزايد اعداد الانتهازيين the opportunists الذين يؤيدون المنتصر بصرف النظر عن الأساليب التي يوظفها في تحقيق الانتصار، ولهؤلاء تأثيرات سلبية كبيرة تلحق بالجميع اضرارا مادية ومعنوية لا حصر لها، فهم يجعلون الفئة المنتصرة تستقوي على الفئة الأخرى، وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الطائفة في قوله تعالى "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ"[30]، وقوله تعالى "مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هؤلاء وَلَا إِلَىٰ هؤلاء"[31]، وقوله تعالى "وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا"[32].

وصفوة القول وخلاصته ان الرعية متى كانت ظالمة وكثر فسادها سلط الله تعالى عليها ظالماً يظلمها ويؤزها إلى الشر ويحثها عليه ويزهدها في الخير وينفرها عنه

ويسومها سوء العذاب ويأخذ منها بالظلم والجور أضعاف ظلمها، ويؤكد هذا قوله تعالى "وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[33]، وتصور هذه الاية الكريمة مشهدا واقعا في حياة الأمم، وهو أن الظالمين من الناس يوالي بعضهم بعضا ويناصر بعضهم بعضا بسبب ما بينهم من صلات في المشارب والأهداف والطباع، وأن الأمة التي لا تتمسك بمبدأ العدالة يسود فيها الظلم والاعتداء ويكون حكامها على شاكلتها، كما تنذر تلك الآية في الوقت ذاته الظالمين وتتوعدهم بسوء المصير إذا لم يقلعوا عن ظلمهم ويثوبوا إلى رشدهم ويلزموا أنفسهم بالعدالة ورعاية الحق.

تجاوز التخلف

ان تجاوز التخلف ليس مستحيلا وانما هو ممكن في النهاية شريطة توفر المتطلبات الاتية:

- تتوفر لدى الرعية الرغبة والارادة والتصميم والعزيمة والوعي الجمعي المؤمن بحق الجميع في غدٍ أفضل وأزهى للأجيال القادمة في وطن يمنحهم فرصا تمكنهم من صنع حياتهم ورفاهيتهم وتغيير واقعهم الى الأفضل على جميع الصعد.
- تعد الرعية خططا طويلة الأمد بموضوعية شديدة تسهم في تجاوز التخلف وتحقق تنمية شاملة ومتوازنة في جميع القطاعات الاقتصادية.
- وضع حزمة من القوانين والإجراءات الواضحة والممكنة التطبيق تتصدى لمحاربة التخلف.

- تهيئة جميع الامكانات البشرية والمادية والمالية المطلوبة للقضاء على مكامن التخلف وجذور منابته الحقيقية وأسبابها الجوهرية.

المدة المطلوبة لتجاوز التخلف

يستغرق تجاوز التخلف الاجتماعي والثقافي وقتا أطول وتكلفة باهظة مقارنة بتجاوز التخلف الاقتصادي والعلمي والصناعي والتقني بسبب تأصّلهما في نفوس الافراد، ولذلك تكون اماد الخطط التي تستهدف القضاء على التخلف الاجتماعي والثقافي طويلة ويتطلب تنفيذها موارد بشرية ومبالغ طائلة وصبرا وبصيرة قصد منح الشعوب أوسع الفرص تجعل الشارد يفيق والجاهل يدرك اضرار التخلف عليه وعلى الاخرين.

ثالثا: هيمنة القطاع العام

تعمد القيادات المستبدة مع بداية هيمنتها على السلطة الى توسيع سطوتها على جميع القطاعات الاقتصادية عبر استحداث مؤسسات وشركات تطلق عليها مؤسسات القطاع العام تعمل تحت إشرافها وعلى وفق مقاصدها قصد سلب وظائف المجتمع المدني الحيوية في جميع القطاعات الاقتصادية واحتكارها لنفسها وفرض سيطرتها على الافراد من خلال التحكم في ارزاقهم وطبيعة وكمية السلع والخدمات المتاحة لهم وتعميق فسادها افقيا وعموديا، وتجعل تلك المؤسسات تتميز بما يأتي:

- تتكدس فيها أعداد كبيرة من العاملين يجري تعيينهم على وفق معيار الولاء للقيادة المستبدة والعمل بوحي من ولائهم لها اكثر من التزامهم بالواجبات التي

عليهم انفاذها فتكثر فيها البطالة المقنعة والسافرة والمحسوبية والوساطات والرشوة والفساد الإداري والمالي بأشكاله المختلفة.

- تكون جودة السلع والخدمات التي تتولى المؤسسات العامة انتاجها وتسويقها في الغالب مترديه وأسعارها باهظة بسبب إهمال مصلحة المستفيد من تلك السلع والخدمات، وليس هذا فحسب وانما تجعل المستفيدين من تلك السلع والخدمات يحصلون عليها بعد عناء وانتظار ودفع اثمانها مهما بلغت، وبذلك تجعل السلطة المستبدة من تدفق السلع والخدمات احد اهم الاليات التي توظفها للسيطرة على الافراد واذلالهم واشغالهم عن استبدادها وانحرافاتها واخطائها وخطاياها والتحكم باراداتهم في الحصول على السلع والخدمات التي تلبي حاجاتهم، ويتحقق ذلك عندما تعرض تلك المؤسسات للافراد ما ترغب السلطة بعرضه لهم وليس بناء على حاجاتهم الفعلية وتجعلهم يشعرون بانهم حققوا فوزا عظيما عندما يحصلون على السلع والخدمات.
- تكون نفقات المؤسسات العامة اكثر من ايراداتها وبذلك تعد من بين وسائل تبديد الثروة الوطنية بدلا من تنميتها لصالح المجتمع.
- تستغرق عمليات صنع القرارات واتخاذها في المؤسسات العامة وقتا طويلا وتكون في الغالب توافقية وغير كفوءة بسبب كثرة الجهات ذات العلاقة بالقرارات.
- عدم مراعاة العدالة في تطبيق مبدأ الثواب والعقاب في المؤسسات العامة.
- لا تعمل المؤسسات العامة على وفق خطط استشرافيّة مترابطة توضح الاعمال التي يتعين ان تضطلع بها في المستقبل وتكاليف تلك الاعمال ومردوداتها

ومدى توفر متطلبات تنفيذها، يضاف الى ذلك تعقيد الإجراءات الحكومية وازدواجيتها وعدم وضوحها وتدني كفاءة التنفيذ والرقابة والمساءلة والتقويم ومتابعة الأداء والتكامل والتنسيق بين القطاعات الاقتصادية.

- لا تتبنى المؤسسات العامة ثقافة مؤسسية معززة للإنتاجية والابتكار والتغيير والتطوير ومحفزة لخدمة المواطن.

الفصل السابع

ارتدادات القيادة المستبدة

اهم ارتدادات القيادة المستبدة

تحرير التابعين من الاستعباد

الفصل السابع

ارتدادات القيادة المستبدة

عرض القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام مع فرعون بالتفصيل قصد استنباط دروس ومواعظ من ارتدادات القيادة المستبدة، ويتجلى منها ان الاستبداد يمثل مأساة بشرية جسيمة مستمرة لا تنتهي بانتهائه أرّقَتِ الأمم الغابرة والحاضرة وتركت تأثيرات سلبية على عدة أجيال وفي مختلف جوانب حياة جميع الافراد (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية) وأنه هو العدو الأول للخير والبر والاستقامة والإصلاح والتطور والفضيلة.

ويتجلى من دراسة الارتدادات السلبية للقيادة المستبدة ان القيادة المستبدة لا زالت منذ الازل هي البلاء الأكبر الذي يبلى به الافراد والأمم والاوطان فهي داء أشد وطأة من الوباء وأعظم تخريبا من الخوف الذي يقطع القلوب والظلام الذي يعمي الأبصار والألم الذي لا يفتر والشر والظلم والإساءة والغدر والانانية والطمع والجدب المستمر، فهي تشل العقول وتعطل الطاقات والأعمال، وهي حريق متواصل للإمكانات والموارد، وقصة سوء لا تنتهي وتقف على طرف نقيض من حرية الإنسان ومن قدرته على تحقيق الاختيار السليم وتفقده الشجاعة والعزة والكرامة والأخلاق والعلم والفضيلة وتفسد الاذواق وتنشر الرذائل والمنكرات[1].

وتحفز الدروس والعبر المستخلصة من استبداد فرعون ذوي الالباب الشجعان الحريصين على حرياتهم وحقوقهم واعتدادهم بأنفسهم والطامحين بمستقبل افضل لهم ولأجيالهم واوطانهم الى ضرورة مناهضة الاستبداد ووأده حال ظهوره بصرف النظر عن اكلاف مناهضته لدرء اضراره وعواقبه الكارثية التي لا تنتهي بزوال المستبد وانما تستمر معاناة الشعوب منها لعدة اجيال، ويضحى انتزاعها من عقول الشعوب وقلوبهم امرا عسيرا ويتطلب اعداد خطط معدة باتقان وتنفيذها وتضحيات جسيمة (بشرية ومادية ومعنوية) تستهدف غسل القلوب والعقول وتطهيرها من عواقب الاستبداد السلبية.

ويمكن معرفة الارتدادات السلبية للقيادة المستبدة من مآلات الشعوب التي ابتليت بقيادات مستبدة في افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية وامريكا الوسطى حيث تعطلت فيها الحياة والطاقات في جميع القطاعات وتعمق الفقر والجهل والتفاوت الطبقي المخيف بين الحكام والمحكومين وانتشرت الامراض العضوية والنفسية والاجتماعية ومذمومات الاخلاق والمنكرات والبغي وصودرت حريات الافراد وحقوقهم وحرموا من العيش الكريم (مادياً ومعنوياً) (2).

وحري بالإبانة ان الإحاطة بجميع ابتلاءات القيادة المستبدة ومصائبها واضرارها الكارثية غير ممكنة في جميع الاحوال فهي تتباين من بلد الى اخر تبعا لدرجة استبداد القيادة وقسوتها في قمع الحريات ومصادرة الحقوق ونهب الثروات واقصاء المختلفين وخنوع التابعين وجهلهم بحقوقهم وعدم مناهضتهم لها، ولكن قبل توضيح الارتدادات السلبية للقيادة المستبدة لا بد من التنبيه الى ما يأتي:

- لا تتحمل القيادة المستبدة وحدها الاثار السلبية للاستبداد وانما يشترك معها في ذلك التابعون لعدة أسباب اهمها انها ليس بإمكانها الوصول الى السلطة

والاستمرار فيها وبسط سيطرتها على الجميع ومصادرة حرياتهم وحقوقهم مهما أوتيت من ملكات ورغبة دون اعانة التابعين فهم يمدونها بالقدرة المطلوبة للوصول الى السلطة والاستمرار فيها وبسط سيطرتها على الجميع ونهب الثروات ومنح الأولوية لمصالحها الشخصية عندما تتقاطع مع المصلحة العامة ومصادرة حريات التابعين وحقوقهم بسبب تخاذلهم وخنوعهم وتزلفهم ومداهنتهم وطاعتهم وعدم قدرتهم على توحيد صفوفهم ومطالبهم وتركيزهم على مصالحهم الفئوية والطبقية والحزبية بدلا من التركيز على مصالح الوطن العليا او بالتواطؤ معها او السكوت عن استبدادها وانحرافاتها.

- لا تنتهي اثار الارتدادات السلبية للقيادة المستبدة بزوالها، وانما تستمر في فعل فعلها السلبي في عقول الافراد ونفوسهم لأجيال عديدة.
- يتطلب اصلاح اضرار ارتدادات القيادة المستبدة إرادة وتصميما وجهودا استثنائية واستعدادا لدفع اكلاف مادية ومعنوية باهضة.
- يتسبب التغاضي عن اضرار ارتدادات القيادة المستبدة او تجاهلها او تأجيل معالجتها في استفحالها ويجعلها تستهلك امكانات الجميع وتذرهم حطاما لا حظّ لهم في تطور يخرجهم من التخلف والإحباط والانقسامات ومذمومات الاخلاق في المستقبل.
- تتناسب اضرار الارتدادات السلبية للقيادة المستبدة طرديا مع قدرتها على الاستبداد وضعف المجتمع واستعداده للرضوخ لاستبدادها، اذ تكون اضرار تلك الارتدادات عديدة ومتشعبة وكارثية على الجميع كلما كانت القيادة المستبدة

قادرة على بسط سيطرة تامة على المجتمع، وكان المجتمع ضعيفا وغير قادر على إيقافها عن استبدادها، والعكس صحيح.

اهم الارتدادات السلبية للقيادة المستبدة

لا مغالاة في القول ان المحصلة النهائية للارتدادات السلبية للقيادة المستبدة هي مجتمع يكابد التخلف والركود والازمات الاقتصادية والسياسية والتفاوت الخطير في توزيع الثروات بين الافراد حيث تتكون طبقة من الأغنياء (وهم قلة قليلة) تربطهم بالقيادة المستبدة مصالح متبادلة، وطبقة من الفقراء (وهم الغالبية الساحقة) محبطين ومهمشين وتنهش فيهم امراض عضوية ونفسية واجتماعية ولا يمتلكون السيطرة على شروط بقائهم، وفيما يأتي اهم الارتدادات السلبية للقيادة المستبدة:

- تصاب الامة التي ترضخ للقيادة المستبدة لمدة طويلة بشتى الامراض الفكرية والاجتماعية والنفسية وتعاني من تمزق روحي وحضاري وتستوطن في نفوس افرادها مذمومات الاخلاق والفساد والتخاذل، وتعد ترك المطالبة بالحريات والحقوق والسكوت عن الظلم من متطلبات الحكمة والفضيلة والفطنة والذكاء، وتنعت التواقين إلى الحرية والكرامة والعدالة بالحمقى والمتهورين وحلمهم بالحصول على حقوقهم وحرياتهم والتطور مجرد وهم يقودهم الى القنوط واليأس والخضوع للاستبداد والتعايش معه وما عليهم الا الانضواء تحت راية المنتصر أيا كان طمعا او خوفا او ايثارا للسلامة حتى لو تجرعوا الذل والمهانة وتصرفوا من منطق الضعف وليس امامهم الا التنافس في استحضار الماضي لعل فيه امجادا ومسرة كمحاولة للهروب من الواقع المرير تعوضهم عن تعاستهم وبؤسهم في الحاضر [3].

- تجعل الافراد يعيشون في عالم ليس من صنعهم وتقرر مصيرهم احداث ومعطيات تعطل قدراتهم وامكاناتهم وتزيف وعيهم وتعمق فيهم التخلف وتهمشهم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وتجعلهم في خوف مستمر ولا يأمنون على أرواحهم وحياتهم وحرياتهم وممتلكاتهم ولا يعرفون متى يأتيهم الخطر الذي يصادر حرياتهم وحقوقهم، وتسود بينهم علاقات القوة والنفعية، ويميلون الى الخضوع والاستسلام متخلين عن دورهم في تنمية قدراتهم الذاتية والابداعية والترقي في حياتهم، ويكون كل واحد منهم جحيما للآخر بدلا من التضامن والتعاون معه والثقة به، ويفقدون الجرأة على ان تكون لهم أحلام وطموحات تتجاوز عجزهم [4]، وهمهم التكيف مع القيادة المستبدة بدلا من مجابهتها وتغيير حياتهم نحو الأفضل والتمتع بحريتهم وحقوقهم وكرامتهم والعيش عيشا كريما ماديا ومعنويا ونفسيا وجسديا وروحيا، والتطور على جميع الصعد وبخاصة الاقتصادية والصحية والتعليم وغيرها.
- تتبدد لدى الرعية رغبة الانتماء الى الوطن ويعيشون مغربين ومغتربين عن ذواتهم ومجتمعهم ومستباحين وعرضة لمختلف المخاطر ويجترون هزائمهم الخاصة والعامة ومغلوبين على امرهم وعاجزين عن تغيير واقعهم الى الأفضل وليس امامهم الا الخضوع والامتثال للاستبداد والانشغال بلقمة العيش وحماية انفسهم والانكفاء او الهجرة الى حيث فرص العمل والاستقرار النفسي.
- تسود بين افراد المجتمع علاقات مؤسسة على المصالح الفئوية والتمسك بالتقاليد البالية والاقبال العشوائي على الاعجاب بكل ما تطرحه الدول الغربية وتطبيقه رغم ضحالته الأخلاقية ونزوعه الاستهلاكي بدلا من تأسيس علاقات على

التضامن وتوحيد الجهود وتوظيف الطاقات والامكانات في المجالات التي تحقق لهم أهدافهم في التحرر من القيادة المستبدة وتنمية قدراتهم الذاتية وتوظيفها في الترقي بهم الى الأفضل والتمتع بحريتهم وحقوقهم المشروعة ولا تضطرهم الى المساومة والتكيف مع الواقع الذي تفرضه عليهم القيادة المستبدة.

- ارغام المعارضة على التخلي عن دورها في الدفاع عن الحريات والحقوق [5].
- تتعطل طاقات الافراد وتنعدم ثقتهم بأنفسهم والآخرين وتطغى الـ(أنا) على اولوياتهم وسلوكاتهم، وشعارهم "أنا ومن بعدي الطوفان" ويتميزون بالسلبية والتشاؤم والقلق واليأس واللامبالاة والخمول والكسل والعزلة والشك بنوايا بعضهم البعض وتسيطر عليهم الخرافة وتموت فيه الفضيلة وتتدنى انتاجيتهم كميا ونوعيا ويتزايد ميلهم لمنح الاولوية للمصالح الخاصة عندما تتقاطع مع المصلحة العامة [6].
- تنتشر ظاهرة الاستبعاد الاجتماعي social exclusion وتزداد معاناة الافراد من التمايزات الطبقية والثقافية والدينية والاقتصادية (يعرف الاستبعاد الاجتماعي بانه حرمان الافراد من حقوق المواطنة على كافة المستويات، وهو امر ليس شخصيا وليس له علاقة بتدني القدرات الفردية بقدر ما يمثل نتاج بنية اجتماعية معينة ورؤى محددة ومؤشرا على أداء هذه البنية لوظائفها) [7].
- تذهب هيبة القوانين والتعليمات وتقضي على الديمقراطية وحرية التعبير والاختلاف والتعددية والعدالة والامن المجتمعي وتعطل التطور في جميع

القطاعات الاقتصادية ويحدث ذلك عندما تنتهك القيادة المستبدة القوانين وترفض مساءلتها عن افعالها.

- تنشئ اجيالا يتجذر فيها الخوف واليأس والاستسلام وتعظيم المستبد والتزلف له (خوفا او طمعا) جيلا بعد جيل ولا تجيد سوى الخنوع والضعف والاستسلام والتعايش مع ذواتهم المغلوبة وتجهل حقوقها وان عرفتها لا تمتلك القوة والشجاعة للمطالبة بها، والأمرّ في هذا الامر انها يتعذر تنقيتها من تلك الاخلاقيات بسهولة حتى بعد زوال القيادة المستبدة.

- تستحكم في التابعين الضَّعَةَ والقهر والذل والدونية ويتعذر عليهم تحرير أنفسهم وعقولهم من الاذعان للاستبداد وتزيين قبيح أفعال المستبد وخطاياه، ويصنعون لأنفسهم مستبدا عندما لا يجدون من يستعبدهم لإشباع حاجتهم من الاستعباد، وتكون هذه الظاهرة واضحة لا سيما في الأجيال التي استحكمت فيها خليقة الاستعباد، ويؤكد هذا قوله تعالى "إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ" [8]، ولذا يعد تحرير عقول تلك الاجيال وأفكارها من الاستكانة والمهانة التي توارثتها من أولى سُبُل تحريرها من الاستبداد رغم ان ذلك ليس بالأمر اليسير ويتطلب جهودا حثيثة وتضحيات جسيمة لمدة قد تقصر او تطول تبعا لاستعداد تلك الأجيال لمغادرة الخضوع والاستبداد [9].

توارث الخوف

يعد توارث الخوف وتجذره في التابعين من اخطر الارتدادات السلبية للقيادة المستبدة فهو لا يزول عنهم حتى بعد زوالها او انتقالهم الى مواقع خارج سيطرتها، ويظهر في ايات القرآن الكريم ان بني إسرائيل الذين عاشوا واباؤهم واجدادهم تحت استبداد فرعون صاحبهم الخوف حتى بعد ان غادروا عنه، ولذلك رفضوا دخول الأرض المقدسة مع موسى عليه السلام عندما طلب اليهم ان يدخلوها معه وقالوا لموسى عليه السلام إن في الأرض المقدسة التي تأمرنا بدخولها قومًا جبارين لا طاقة لنا بحربهم، ولا قوة لنا بهم، في قوله تعالى "يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ"، ولذا جاء الأمر الإلهي بأن يتيهوا أربعين سنة لكي يهلك الجيل الذي ترعرع في الخوف من فرعون ويأتي جيل من أبنائهم واحفادهم لم يترعرع في ظل الخوف، قال تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ".

- تتحوّل العلاقات بين أفراد المجتمع من علاقات تحكمها وتنظمها قوة الحق إلى علاقات يضبطها محض القوة وتصبح الروابط الاجتماعية بينهم هشة وزائفة على مختلف الصعد ومؤسسة على الكذب بين افراد الاسرة الواحدة وبين الأصدقاء وبين الإدارة والعاملين في المؤسسات الاقتصادية والمتعاملين مع تلك المؤسسات، ويتوارثون هذه السمات جيلا بعد جيل [10].
- تعيد صياغة شخصية افراد المجتمع على وفق منظومة مهلهلة من القيم السلبية والأمراض الاجتماعية والنفسية، وتهدر كرامتهم وتهدم إنسانيتهم وتسلبهم حرية الاختيار وتجردهم من الأخلاق الفاضلة وتقضي على احترامهم وتقديرهم

لأنفسهم وتتصاعد لديهم مستويات تبخيس انفسهم ويتملكهم إحساس بعدم جدواهم، وينظرون الى أنفسهم على انهم أشياء وادوات ووسائل وقطيع او أكوام بشرية فاقدة للثقة بنفسها وبالآخرين ومشبعة بالأنانية ويتجسس بعضهم على بعض ولا يشاركون في أية إستراتيجية للتنمية ويصبحون مفعولا به في هيكل القوة الفاعلة في الامة وليس لهم علاقة بمجتمعهم ووطنهم ومشكلاته وطموحاته وهمهم الحصول على لقمة العيش ويبررون مذمومات الاخلاق فمثلا يقبلون الرشوة على انها "الإكرامية" ولا ينظرون الى الواسطة بانها خرق للقانون وجريمة تستحق المساءلة والعقاب(11).

- يغدو الاستبداد سمة جميع الافراد، اذ يتماهى كل من يتولى سلطة مع القيادة المستبدة في ممارسة الاستبداد على من هو أدنى منه وظيفيا او اجتماعيا او اقتصاديا كتعويض عن هدر كرامته وانسانيته وحقوقه وحرياته.
- يتزايد الرياء والتملق والمراءاة والنفاق ولا سيما للمستبد ويؤكد هذا ما يحدث في البلدان المتنامية حيث يكثر التابعون من الاغاني والاناشيد والاشعار والنصب والتماثيل والجداريات والمظاهرات الصاخبة يعبرون فيها للمستبد عن ولائهم وطاعتهم له ويفدونه بالروح والدم.

مراءاة المستبد

تعرض النماذج الاتية حالات من المراءاة:

- يخبر القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام ان ملك مصر طلب الى التابعين تفسير رؤياه فقالوا له انها اضغاث احلام لا معنى لها، ويظهر في قولهم هذا انهم ربما امتنعوا عن تفسير رؤياه وقول الحقيقة له خشية على انفسهم منه ان هم فسروها بما لا يسره، "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ".
- مارس العراقيون اشد حالات النفاق والتزلف والمراءاة والمداهنة لصدام حسين طيلة مدة حكمه 1979-2003 رغم انه اذاقهم مر العيش واهلك الكثير منهم في حروب عبثية وجعلهم في تخلف وامراض ونقص كمي ونوعي في الخدمات الأساسية على جميع الصعد لاجل اتقاء أسوائه وشروره وحماية أنفسهم فقد كانوا يهتفون له "بالروح والدم نفديك يا صدام" ويصدحون له باغانٍ واشعار واناشيد تسبح بحمده ويقيمون له النصب والتماثيل والجداريات بينما هم في حقيقتهم يمقتونه اشد المقت، ولذلك لم يجد من أولئك المتزلفين والمداهنين مناصرا له يوم أطاحت بحكمه الولايات المتحدة الامريكية في نيسان 2003.

- تفسد القيادة المستبدة اختيارات الافراد واذواقهم.

يفسد الاستبداد الاذواق

يظهر جليا في قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ان الاستبداد يفسد الاذواق اذ رفض بنو إسرائيل المن والسلوى، وهما طعامان من أفخر الأطعمة وأفضلها، وطلبوا القثاء والفوم والعدس والبصل لانهم اعتادوا عليه عندما كانوا تحت حكم فرعون، قال تعالى: "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ".

- تُشتت القيادة المستبدة قلوب الافراد وعقولهم بدلا من ان تكون متصالحة وموجهة نحو غايات إنسانية محددة غير متناقضة، وتحدث هذه الحالة حين يمنحون طاعة القيادة المستبدة الأولوية عندما تتقاطع مع طاعة الله تعالى لإيمانهم ان الله تعالى غفور رحيم ويعاقب المتعدين على حدوده في الآخرة بينما تفرض عليهم القيادة المستبدة عقوبات قاسية في حالة عدم طاعتهم لها، فتجدهم عبيدا لله تعالى في العبادات (الصلاة والصوم والعبادات الأخرى) وفي ذات الوقت عبيدا لقيادة مستبدة تسخرهم كيف تشاء ومتى تشاء.
- يحدث انفلات امني في الدول ذات التعددية العرقية و/ او الدينية او القبيلة او الطبقية بعد تغيير القيادة المستبدة وتعم فيها فوضى عارمة ويستهان بالحرية والقانون وينتشر العنف والفساد المالي والإداري وتتزايد فيها الانقسامات والمافيات والمليشيات والمخدرات، وتتدهور الخدمات وترتفع معدلات التضخم

والتهرب الضريبي وغسيل الأموال ونهب الثروات، وقد حدث مثل هذا الامر في يوغسلافيا في عام 1980 بعد وفاة جوزيف تيتو وحدث في الصومال في 1990 بعدما أطيح بنظام محمد سياد بري وفي الاتحاد السوفيتي بعد سقوط النظام الشيوعي سنة 1991 وفي العراق بعد سقوط صدام حسين عام 2003 وفي ليبيا بعد انهيار حكم معمر القذافي في عام 2011 وفي رومانيا بعد سقوط نيقولاي تشاوتشيكو، وكذلك الامر في بقية الدول ذات الطبيعة المماثلة.

- تصادر القيادات المستبدة حرية ذوي الكفاءات والمبدعين واستقلاليتهم في البحث والابداع والانتاج الفكري والمعرفي والتقني وتضطرهم الى التوقف عن البحث العلمي او الهجرة الى حيث الامن والحرية والإبداع وفرص العمل او لتوظيف إمكاناتهم لصالحها.
- تكون العلاقات بين القيادة المستبدة والاتباع مضطربة ومؤسسة على الشك والتوجس وعدم الثقة، فهي تحرمهم من حقوقهم وحرياتهم وتتمادى في الاستبداد ونهب الثروات ومنح الأولوية لمصالحها وهم بدورهم يحجمون عن تنفيذ الاعمال التي تحددها لهم ولا يمدونها بمتطلبات النجاح والمعلومات والمقترحات التي تعينها على اعداد الخطط وصناعة القرارات التي تسهم في توظيف الموارد المتاحة بكفاءة [12].

مآلات الافراد خلال الاستبداد وبعده

يصف الشاعر عبد الله البردوني مآلات الافراد تحت حكم القيادة المستبدة وبعدها في قصيدته الاتية:

عجز الكلامُ عن الكلام والنور أطفأه الظلام

والأمن أصبح خائفاً والنوم يرفض أن ينام

والصدرُ أصبح في الورِ والخلفُ أصبح في الامام

والشمس باردةٌ تخاف الحرَّ تخبأ في الغمام

والذئب أمسى حارسا يحمي الأرانب والحمام

والكلبُ سيدُ قومه في الكهف يقتات العظام

والطهر يبني حاجزاً بين الرعية والإمام

والثعلبُ المكارُ يضحك من غباءٍ مستدام

والعدلُ يقعد في زوايا السجن أرهقه القيام

والموتُ يقتل نفسَه والشعبُ يقتُله اللئام

والظبيُ إن يعدو من الصياد تلحقْه السهام

والدار أضحت خيمةً والقبر يُبنى بالرخام

والأرضُ تُروى من دماءِ الناس أرهقها الصيام

والجوعُ يمشي عاريًا بين الجميع ولا يُلام

واليوم يهدمُ ما بناهُ الأمسُ ذو المليون عام

والنفطُ يملأ أرضنا والناسُ تبحث عن طعام

والكلُ فينا ميّتٌ والكلُ يدعو للسلام

والخصمُ يزحف نحوَنا والجيشُ يبحثُ عن غلام

والقائدُ العربيّ كالثعبانِ غدارٌ وَسام

والشيخُ مشغولٌ بتلوين العباءةِ واللثام

والدارُ تطعنُ اختَها والغمدُ يطعنهُ الحسام

والنارُ تأكل كل شيءٍ مثلَ أولادِ الحرام

- تنعدم العدالة ويفقد القانون هيبته واحترامه والعمل الجاد قيمته واهميته في تطوير حياة الافراد والترقي بهم الى الافضل [13].

تحرير التابعين من القيادة المستبدة

لا سبيل لتحرير التابعين من القيادة المستبدة الا بتوفر المتطلبات الاتية:

- إصرار التابعين على تحرير أنفسهم وعقولهم وأفكارهم من الاستكانة والمهانة والاستعباد مهما ارتفعت الاكلاف والعقوبات المادية والمعنوية، ويقول العلامة البشير الابراهيمي: "محال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا!" [14].
- وجود معارضة قوية وشجاعة قادرة على توحيد صفوفها وحريصة على مصالح العامة وترتقي بأفكارها واهدافها ومناهجها وممارساتها الى منح الأولوية للمصلحة العامة وليس المصالح الفئوية وتعمل على وفق خطط معدة باتقان تستهدف انقاذ التابعين من الاستبداد وتمكينهم من الفوز بحرياتهم وحقوقهم وانقاذهم من هوانهم ومشقتهم وفقرهم وجهلهم وتفشي مذمومات الاخلاق بين صفوفهم شريطة توفر المتطلبات المادية والمعنوية لإنفاذ خططها، عملا بقوله تعالى "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ"[15].

وصفوة القول وخلاصته

يعد التصدي للقيادة المستبدة وايقافها عن الاستبداد وازاحتها عن السلطة التزاما دينيا واخلاقيا ووطنيا يسهم في تحقيق اهداف الافراد في العيش الكريم وتحقيق العدالة وتنقيتهم من الممارسات السلبية.

ولا بد ان يدرك التابعون انهم إنْ لم يتصدوا الى الاستبداد فانهم سيكابدون من ارتداداته السلبية التي تطال مختلف جوانب حياتهم، وان أولادهم واحفادهم واولاد احفادهم الى اخر جيل من أجيال ذريتهم سوف يحاسبونهم حسابا عسيرا ويمقتونهم ويلعنونهم على الذلة والضعة والهوان والفقر والتخلف الذي ورثوه منهم.

الفصل الثامن

موقف الإسلام من الاستبداد

موقف الإسلام من الاستبداد

واقع الاستبداد في الدول الاسلامية

الفصل الثامن

موقف الإسلام من الاستبداد

رفض الاسلام الاستبداد واقر بانه لا يستقيم له شأن معه وانهما ضدان لا يلتقيان، فالإسلام يهدي الافراد الى عبادة ربهم وإقامة العدل وعدم مصادرة حريات الاخرين وحقوقهم بينما يقودهم الاستبداد الى وثنية واستعباد وحرمان من الحقوق والحريات وهو داء خبيث لا تقتصر شرور عواقبه على المستبد بل تتعداه الى الامة كلها [1].

وتقطع الحقائق ان الإنسانية لم تعرف عبر مسيرتها في مشارق الأرض ومغاربها ديناً غير الإسلام رفض الاستبداد واوجب مقاومة المستبدين وحث التابعين على مناوأتهم والاطاحة بهم بعد نصحهم انطلاقا من ايمانه بان الانسان خليفة الله تعالى خلق ليُعَز ويُكرم لا ليُذل من قبل مستبد يتحكم في ارادته واختياراته وحركاته وسكناته وحاجاته.

وحري بالابانة ان كلمة الاستبداد لم تأت في الكتاب الحكيم وانما وردت فيه معانيها ومرادفاتها أو ما يضارعها أمثال: الطغيان والتعسف والظلم والفساد [2].

وتأسيسا على ما تقدم استحق الاسلام بجدارة ان يكون افضل منهج ثوري كرم الانسان وجعله خليفة الله تعالى في الارض وحرره وأطلق طاقاته ومنحه حرية الاختيار من اجل رُقيّه ورفعته وحرم استعباده وسحْق كرامته وانسانيته، ورفع عنه

القيود التي تثقله او تعيق طريقه وتمنعه من التطور والتقدم نحو الافضل، ونظم العلاقات فيما بين افراد المجتمع وبينهم وبين الحاكم على العدل والثقة والاحترام والتعاون وليس على الاستبداد والظلم والممارسات والأساليب والعادات والمألوفات التي لا تحترم عقل الانسان وحريته وحقوقه في الاختيار والاختلاف والمشاركة في اعداد الخطط واتخاذ القرارات التي لها علاقة بحياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ليجعله فاعلا في تطوير الحياة والترقي بها الى مستويات ينعم فيها الافراد بحياة حرة كريمة شريطة ان لا تكون حرية افساد وفسوق، ويلقي الاتي الأضواء على قبس من مبادئ الإسلام التي يتجلى منها ان الإسلام في قيمه ومبادئه واخلاقياته يقف على النقيض تماما من الاستبداد الذي يصادر الحريات والحقوق وينشر الخوف والاضطهاد والكبت ويعمق الفقر والجهل ومذمومات الاخلاق ويعطل الطاقات وليس هذا فحسب وانما يناهضه ايضاً:

- افاض القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في رفضهما الاستبداد والطغيان ولم يرخصا للأمة السكوت عن استبداد الحاكم ومعاصيه، وقد اعد علماء الإسلام صراحة مقاومة الاستبداد واجباً شرعياً، ولذا تكون الامة التي تسكت عن استبداد الحاكم وتطيعه في المعاصي والمنكرات بمجموعها آثمة ومشاركة له في المعاصي والاستبداد والمنكرات، واوجبا مراقبة خطط الحاكم وقراراته وسلوكه عن كثب ومساءلته، وان لا يكون الفرد عونا وسندا له في الظلم والاستبداد والانحرافات واهمال مصالح التابعين والتركيز على مصالحه وفي ذات الوقت أَقَرّا حرية الأفراد في اختيار العقيدة والدين وحرية التعبير عن الرأي وحرية التصرف وحرية القول والنقد، ولم يصادرا رأياً وإن خالف أصولهما ومبادئهما

ولذلك نجد القرآن الكريم يعرض حجج مخالفيه دون بتر أو اجتزاء، ثم يحللها مفنداً مضمونها ومبيناً مغالطات أصحابها، لكن الحرية في الإسلام مشروطة ومقيدة قصد جعلها حرية لحماية الحق ونشر العدل، وملاذاً يلجأ إليه الضعفاء ليلتمسوا القوة وليوقفوا الطغاة الجبارين[3].

- قيد الإسلام سلطة القيادة بالشرع، اذ لا يحق لها مخالفته او تجاوزه، ويقول الله تعالى "وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ"[4]، وقوله تعالى "ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُون"[5]، ويتجلى مما تقدم ان ليس من حق السلطة في الإسلام ظلم الأفراد وحرمانهم من حقوقهم وحرياتهم بينما في ظل الاستبداد تظلم القيادة الافراد وتحرمهم من حقوقهم وحرياتهم.
- اقر الإسلام حرية الاعتقاد ولم يُكره الناس على اعتناقه وحظر اكراه الافراد في قوله تعالى "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" [6]، وقد أعد الإسلام حرية الاعتقاد من متطلبات العمل الإنساني والثواب والعقاب، وخص الانسان بها من بين المخلوقات، ويؤكد هذا قوله تعالى "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوْراً"[7]، ومنحه الإرادة لفعل ما يشاء وجعله مسؤولاً عن خياراته في الدنيا والآخرة ولم يضمن الله تعالى الحرية للإنسان فقط بل ضمنها أيضاً لإبليس اذ منحه الفرصة للاعتراض على أمر السجود لآدم ولم يشأ سبحانه أن يقهره على السجود ولو أراد لكان فلا رادّ لأمره "قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" [8]، ولذلك حدد الله تعالى مهمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تبليغ رسالته وارشاد التابعين وتعليمهم وانه ليس عليهم بمُصَيْطِرٍ في قوله تعالى "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِر" [9]،

وقوله تعالى "إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ" [10]، وقوله تعالى: "وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" [11]، وقوله تعالى "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ"[12]، وقوله تعالى "إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ" [13]، وتؤكد هذه الآيات امراً في غاية الاهمية وهو انه ليس من حق القيادة مصادرة حرية التابعين في الاختيار واكراههم على قبول افكارها وأهدافها وخططها وقراراتها وسلوكاتها لما في ذلك من ارتدادات ونتائج سلبية كارثية على الجميع بما فيهم القيادة اهمها ان اكراه التابعين ينفرهم عنها ولا يتعاونون معها ولا يتبادلون الثقة معها ويسيئون الظنون بها ولا يلتزمون بتوجيهاتها ولا ينفذون الاعمال التي تعهد اليهم بالكفاءة المطلوبة، واكثر من ذلك يتمنون انتكاسها وزوالها ويعملون على ذلك، بينما في ظل الاستبداد تصادر القيادة حرية الافراد في الاعتقاد وتفرض عليهم أيديولوجيتها ومنهجها وأهدافها واساليبها.

- ضمن الإسلام حرية التفكير واوجب على الناس التفكر فيما يدور حولهم قصد شحذ اذهانهم وتنشيط عقولهم على التأمل والاستقلال بإدراكهم لتكوين رؤى تسهم في التوصل الى حلول واجابات للتساؤلات والمشكلات التي تواجههم وتوظيف المعطيات المتاحة لهم بكفاءة في تحقيق الصالح العام، ويؤكد هذا قوله تعالى "قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا" [14]، وقوله تعالى "قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" [15]، بينما في ظل الاستبداد يتعين على التابعين اعتماد خطط القيادة المستبدة وقراراتها دون تفكر وتأمل وتبصر وقد اعتمد الطغاة هذا المنهج في تنظيم علاقاتهم مع الرعية،

فقد فرض فرعون على الرعية اعتماد آرائه لاعتقاده بانها تقودهم الى الرشاد "قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ"[16].

- كفل الإسلام للجميع التمتع بكامل الحرية في الجهر بالحق في كل أمور الدين والدنيا سواء تعلق ذلك بالشؤون الخاصة أو القضايا العامة قصد تحقيق النفع للرعية وحماية مصالح الفرد والمجتمع وحفظ النظام العام في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شريطة **ان** يتميز الذي يتمتع بتلك الحرية بالموضوعية والحد الأدنى من القدرات الثقافية والعلمية بالموضوع تمكنه من إبداء رأي حصيف يسهم في تحقيق المصالح العليا وليس مصالح شخصية وفئوية، بينما في ظل الاستبداد تصادر القيادة حرية التابعين فيما يتعلق بجميع الأمور ولا سيما بإبداء الآراء بصدد الشؤون العامة ومصالح الرعية.
- أقر الإسلام حرية النقد وذهب الى اكثر من ذلك فجعلها أمراً واجباً وفرْض كفاية بهدف دعوة الاخر إلى الخير وامره بالمعروف إن ضل طريقه، ونهيه عن الشر والمنكر، ويقومه إذا اعوج، ويعارضه ويواجهه بالقول الصريح باساليب لا تثير حفيظته ليفيق ويتوقف عن استبداده وظلمه وانحرافاته واخطائه ونهبه للثروات ومصادرته للحريات والحقوق، وان لم يفعلوا ذلك يلعنهم الله تعالى كما يظهر في قوله تعالى "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ"[17]، بينما في ظل الاستبداد تفرض القيادة المستبدة عقوبات قاسية على كل من يتجرأ على نقد خططها وقراراتها وسلوكاتها.

- فرض الإسلام على الافراد قول الحق دائما حتى عند سلطان جائر قصد إعادته إلى الصواب ومنعه من الاستبداد والتعسف أو التجاوز على القوانين ومنح الاولوية لمصالحه وتكميم الأفواه ومصادرة الحريات والحقوق، ولا يتحقق ذلك الا عندما تعمل الامة على وفق قوله تعالى "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [18]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده او بلسانه او بقلبه وذلك اضعف الايمان"، وذلك لان الرضوخ والسكوتَ عن المنكر له اضرار تورد المجتمع إلى الهاوية على جميع الصعد وتبقى تداعياتها مستمرة وتلقي بظلالها على عدة أجيال، ولا سيما عندما تلقى قبولا من أصحاب القلوب المريضة الذين يحبون ان تشيع المعصية والظلم والمفاسد في المجتمع[19]، بينما في ظل الاستبداد تعتقد القيادة المستبدة بانها الاعلم والأكفأ في جميع المجالات فترفض بشدة مناصحتها وتأبى استشارة الاخرين[20].
- ألزم الإسلام الجميع بالعدل حكاما ومحكومين في قوله تعالى "إِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ" [21]، وقوله تعالى "وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" [22]، وقوله تعالى "إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا" [23]، اما في ظل الاستبداد لا تلتزم القيادة المستبدة بالعدل وتظلم الرعية وتنهب الثروات وتمنح الأولوية لنفسها ولبطانتها عندما تتقاطع مع المصلحة العامة.

- حرم الإسلام الظلم فقد جاء في القرآن الكريم ان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وانه ليس بظلام للعبيد وانه حرم ظلم الاخرين وظلم الانسان لنفسه، ولهذا ليس من حق الحاكم ظلم التابعين وارغامهم على الانصياع لاستبداده وطغيانه ومصادرته لحرياتهم وحقوقهم وإرادتهم بالخوف والشدة والتهديد والعقوبات والاكراهات، كما حذر الإسلام من عواقب الظلم في قوله تعالى "إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[24]، بينما في ظل الاستبداد تظلم القيادة المستبدة التابعين وتكرههم على انفاذ خططها وقراراتها بما فيها التي تصادر حرياتهم وحقوقهم وتزجهم في حروب عبيثة يفقد الكثير منهم حياتهم فيها وتستهلك الطاقات والموارد.
- لا قدسية للحاكم في الإسلام، والمقدس الوحيد فيه هو الله عز وجل ورسله وكتبه، وحرمات الدين الحنيف، وما نص عليه الشرع القويم، وقد كان الإسلام صارما في نفي القداسة والعصمة عن كل شخص حتى في سلطة النبي على أمته فقد جعل خطاً واضحا بين الوحي الذي عصمه الله تعالى في تلقيه وتبليغه، وبين شخصه المبارك على كمال أمانته وخلقه ويتجلى ذلك في قوله تعالى "وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ"[25]، وقوله تعالى "فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ" [26]، وقوله تعالى "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ"[27]، وقوله تعالى "فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ"[28]، ولذلك لا قداسة لأحد من الرؤساء والحكّام والملوك والامراء والوزراء والنواب ومسؤولي الاحزاب والمؤسسات ولا حصانة لهم تحول دون مساءلتهم ولا قانون يستثنيهم، بينما اضفت النظريات الثيوقراطية التي اخذت بها القيادة المستبدة هالة القداسة على الحاكم وأعماله وتصرفاته[29].

لا قدسية للحاكم في الإسلام

كان الإسلام واضحا وضوحا لا لبس فيه في نفي القداسة والعصمة عن كل شخص بعد النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنه حتى في سلطة النبي على أمته جعل خطا واضحا بين الوحي الذي عصمه الله في تلقيه وتبليغه، وبين شخصه المبارك على كمال أمانته وخلقه.

ويظهر في كتب السيرة ان الحباب بن المنذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقعة بدر "أهو منزل أنزله الله فليس لنا أن نتجاوزه، أم الرأي والحرب والمكيدة؟" فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بل هذا الرأي والحرب والمكيدة" فإذا الحباب يقول: "ليس هذا لنا بمنزل" فاقترح مكانا آخر، فاخذ الرسول الكريم صلى الله عليه بمقترح الحباب.

- اوجب الإسلام إرجاع الأمر إلى الأمة في اختيار من تراه مناسبا للحكم عن طريق البيعة الشرعية، وان يتولى ذلك الموقع من هو اكثر كفاءة ونزاهة ومبرأ من الفساد والافساد ومذمومات الاخلاق واكثر قدرة على الوصول بالتابعين الى أهدافهم في الحرية والتطور على جميع الصعد، وذهب الى ان القيادة لا تستمد ولايتها العامة من قوى غيبية، او ما يسمى بالحق الإلهي المقدس، وانما تستمدها من الأمة التي تختارها بمحض اختيارها، ولم ينصّ الإسلام على مشروعية تولي القيادة بالقوة ولا هو أرشد إليها ولا أقرّ وقوعها ولو في نازلة وليس من حقها العمل على وفق ان من يغلب بسيفه ويجتمع عليه الناس فعليهم طاعته، بينما في ظل الاستبداد تصل القيادة الى موقعها بالغلبة والقوة والتزوير والمؤامرات والوراثة والتأثير في إرادة الناخبين.

- اعد الاسلام الأمة هي مصدر السلطة والخروج عن ارادتها تمرداً وهي صاحبة الحق في توجيه الحاكم ومراقبته ومحاسبته وحتى عزله عندما يتعسف او يستبد ويصادر حرياتها وحقوقها ولا يمكّنها من بلوغ أهدافها في الحرية والعيش الكريم والتطور [30]، بينما في ظل الاستبداد تعد القيادة المستبدة نفسها هي مصدر السلطة وتشرع القوانين او تلغيها او تعدلها على وفق مراماتها ومصالحها.
- توعد الاسلام الذين يركنون الى الظَلَمة او يصمتون عن استبدادهم وانحرافاتهم وفسادهم او يناصرونهم بالعذاب قصد تجريد المستبدين من المساندين والمؤيدين لكيلا يستقووا ويتمادوا فيما هم فيه، ويتجلى ذلك في قوله تعالى "وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ" [31]، بينما تؤسس القيادات المستبدة أحزابا تابعة لها وتفرض على المنتمين لتلك الأحزاب مناصراتها وتزيين قبيح افعالها والسكوت عن اخطائها وانحرافاتها.
- جعل الإسلام طاعة القيادة مقيدة بمدى التزامها بشرع الله تعالى، فلا طاعة لها إذا خالفت كتاب الله وسنة نبيه، ومن واجب الأمة مساءلتها عندما لا تلتزم بذلك وفي خلاف ذلك تكون الامة بمجموعها آثمة ويعمها العذاب ويسلط عليها الظَلَمة، كما تزخر السنة النبوية الشريفة بما يقيد عمومية الطاعة، ويتجلى هذا في قول الرسول صلى الله عليه وسلم "السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية" [32]، بينما تكون طاعة القيادة مطلقة في ظل الاستبداد.

- اوجب الإسلام مراعاة سمات محددة فيمن يتولى القيادة لكيلا يُترك هذا الموقع الرفيع والخطير لمن هبّ وشاء لان خطط شاغله وقراراته وافعاله تؤثر في الرعية ولها انعكاسات سلبية او إيجابية على مجمل حياتهم ومستقبلهم، ومن تلك الاشتراطات ان يكون اكثر حرصا على تطبيق تعاليم الإسلام ونواهيه وذا رأي وبصيرة وفطنة تفضي إلى العدل والكفاءة في تدبير مصالح البلد وادارة الرعية، وحريصا عليهم ورؤوفا ورحيما بهم ويعز عليه كل ما يعنتهم وينصفهم من نفسه وخاصته ولا يكلفهم بما لا طاقة لهم ولا رغبة لهم به، ويشركهم معه في الإدارة والتخطيط وصنع القرارات، وبعيدا عن الشبهات والاستبداد والانحراف بالسلطة، ويتمتع بلياقة جسمية وعقلية وكفاءة وخبرة وقدرٍ من المعلومات ويراعي الصدق والتواضع والإنصاف فيمن يحب ومن يكره، ولا يكتم ما يلزم بيانه، ويؤكد ما تقدم قوله تعالى "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" [33]، وقوله تعالى "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" [34]، وقوله تعالى "وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[35]، كما يؤكد ما تقدم قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر"، بينما لا تعتمد القيادة المستبدة الصدق والرحمة في علاقاتها مع الرعية وترغمهم على تنفيد اعمال لا تتناسب مع قدراتهم ولا تشركهم معها في اعداد الخطط وصنع القرارات.
- أوجب الإسلام مناصرة المظلوم والاتحاد معه بقصد منع الظلم عنه وفي ذات الوقت ارغام الظالم على عدم الاقدام على الاستبداد والظلم لكي يستشعر بانه ان ظلم أحدا فان سيواجه من يقف مع المظلوم ويناصره وان المظلوم لا

يترك يواجه مصيره الذي ينتظره من المستبد بمفرده، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم الى ضرورة الوقوف الى صف المظلوم حتى يرفع الظلم عنه في قوله "لا يقِفَنَّ احدُكم موقفا يُقتل فيه رجل ظلما، فان اللعنة تنزل على كل من حضر حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفن احدكم موقفا يُضرب فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعوا عنه"، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم "ما من مسلم يخذل امرأً مسلما في موضع تُنتهك فيه حرمته ويُنتقص فيه من عرضه الا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أمرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه عرضه وتنتهك فيه حرمته الا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته"[36]، بينما لا يجد المظلوم في ظل الاستبداد مناصرا له بسبب خشية الجميع من بطش المستبد بهم في حالة مناصرتهم للمظلوم وليس هذا فحسب يفرض المستبد على عائلة المظلوم ومن لهم علاقة به ان يتبرأوا من المظلوم.

- اقر الإسلام حق المظلوم في دفع الظلم عنه وليس في ذلك اعتداء على أحد، شريطة التخلق بالسماحة والرفق والبراءة من الحقد والحسد والطمع والضغينة وتقديم أدلة وحقائق تؤيد ثبوت الحق له، ويظهر في آيات القران الكريم ان لا جناح على من ينتصر لحقه ممن ظلمه في قوله تعالى "وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ" [37]، ويستلزم الحقُّ في الشريعة من وجهة نظر الفقهاء واجبين هما: واجب عام على الناس هو احترام حق الشخص وعدم التعرض له، وواجب خاص وهو على صاحب الحق استعمال حق المطالبة بحقه في ضوء ضوابط محددة وهي الالتزام بحدود الحق فلا يقصِّر عنه ولا يتجاوز فيه، والمطالبة بالحق بحكمة بعيدا عن الفظاظة والغلظة وكل ما يثير

حفيظة الاخر، وتكرار المطالبة بالحق بلا توقف[38]، إضافة الى ما تقدم اذن الإسلام للمظلوم ان يجهر بالكلام على من ظلمه ليستخرج منه حقه، عملا بقوله تعالى "لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا"[39]، ويظهر في هذه الآية الكريمة ان الله سبحانه وتعالى رخص للمظلوم المجاهرة بالسوء والدعاء على من ظلمه والتشكي منه من غير أن يكذب عليه ولا يزيد على مظلمته وله الحق في استرداد حقوقه من المستبد بجميع الأساليب حتى بالقوة اذا لزم الامر، ويظهر ذلك في قوله تعالى "فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"[40]، بينما في ظل الاستبداد لا يحق للمظلوم مطالبة المستبد بحقوقه.

لصاحب الحق مقال

يظهر في دراسة السيرة النبوية العطرة ان رجلا كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فأغلظ على الرسول صلى الله عليه وسلم، فهَمَّ به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم: "دعوه فإن لصاحب الحق مقالا"، ويؤكد هذا الحديث ان الرسول محمدا عليه الصلاة والسلام اقر بحق صاحب الحق بالاعتراض على كل من يبخسه حقه مهما ارتفعت مكانته وظيفيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا ومن حقه رفض جميع القرارات والإجراءات التي تحرمه من الحصول على حقه ما بانت له حجة ونهض له دليل وبرهان وما دام لم يتجاوز حدوده ولم يعتد على حقوق الآخرين وأدى ما عليه من التزامات بصورة كاملة وصحيحة لكيلا ينتشر الفساد في المجتمع ويتزعزع امنه واستقراره.

- اعد الإسلام الجميع (حكاما ومحكومين) سواسية امام القانون وليس لاحد منهم افضلية الا بالتقوى، ويؤكد هذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحمر على أسود ولا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"، واوجب الرسول صلى الله عليه وسلم تساوي الجميع امام القانون بصرف النظر عن اللون والجنس والمركز الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والعلاقة مع القيادة في قوله "وايم الله فلو ان فاطمة بنت محمد سرقت لأقطعن يدها"[41]، بينما في ظل الاستبداد تمنح القيادة المستبدة لنفسها وحاشيتها الأفضلية والاولوية عندما تتقاطع مع المصلحة العامة.
- رفض الإسلام التفرد في القرارات التي تتعلق بمصالح العباد والبلاد واوجب التشاور مع التابعين، ويتجلى ذلك في قوله تعالى "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"[42]، وأثنى الله تعالى على الذين أمرهم شورى بينهم في قوله تعالى "وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"[43]، وشدد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على أهمية الشورى في عدة أحاديث نبوية شريفة نذكر منها "إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم اشراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها"، وقوله "ما ندم من استشار ولا خاب من استخار"، وقوله "المستشير معان والمستشار مؤتمن"، وقوله "استعينوا على أموركم بالتشاور"، وقوله "ما هلك أحد عن مشورة"، وقوله

"ما تشاور قوم قط إلا هُدوا إلى ارشد أمورهم"، ولم يأتِ حرص الإسلام على العمل بالشورى من فراغ وانما من أهمية دورها في الحد من الاستبداد وجعل المستبد يدرك تماما بانه مهما امتلك من قدرات ذاتية ومهما اوتي من معرفة وكفاءة وخبرة فانه عاجز تماما عن الإحاطة بجميع المعلومات المطلوبة للاجابة عن جميع التساؤلات المتعلقة بتوظيف الفرص المتاحة بكفاءة وايجاد معالجات ناجعة لكل المشكلات والتحديات وانه بحاجة ماسة للتشاور مع اهل العلم والمعرفة والخبرة ومن بوسعهم تقديم المشورة الصحيحة ولا سيما في المسائل التي تتفاوت فيها العقول وتختلف في ادراكها، ووزْن ما يرتبط بها من نفع او ضرر وما يتمخض عنها من نتائج وارتدادات، وتمكنه الشورى من توظيف العقل الجمعي في استنباط الرأي الاصوب والأحسن والأصلح الذي يجلب الخير والمنفعة للمنظمة والعاملين ويسهم في خفض المشكلات واحتمالات الخطأ إلى حد كبير في عمليات الادارة والتخطيط وتحديد الاهداف وصنع القرارات ورسم السياسات والإجراءات وتحديد الاعمال المطلوبة لبلوغ الأهداف، كما ان الشورى تمكن القيادات من الحصول على معلومات وملاحظات وأفكار ووجهات نظر توضح لها الامور من زوايا مختلفة وتبصرها بحقائق مهمة تمكنها من اتخاذ اجراءات أكثر ملاءمة لمتطلبات المواقف التي تواجهها وتسهم في الارتقاء بقدرتها على تحقيق الأهداف، وهي تجعل التابعين يشعرون ان القيادة تعدّهم جزء مهما من فريقها وتقدر قيمة معلوماتهم وخبراتهم فيتحفزون للولاء لها والتعاون معها ومساندتها في السراء والضراء ويوظفون أفضل امكاناتهم في المجالات التي تحقق الأهداف المطلوبة، ويستمرون معها بصرف النظر عن المغريات التي تقدم لهم من المنظمات

الأخرى، يضاف الى ذلك تحقق الشورى التنسيق المطلوب بين القيادة والعاملين، وتجعل معدلات الصراعات بينهم في اقل مستوى، بينما في ظل الاستبداد ترفض القيادة المستبدة المشورة وتتفرد بالخطط والقرارات.

استشارة التابعين

قدم القرآن الكريم صورة واضحة جلية عن استشارة التابعين عندما تناول موضوع بلقيس ملكة سبأ في قوله تعالى "قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ"، وتفرض هذه الآية الكريمة على القيادة وجوب استشارة التابعين في جميع الأمور التي لها علاقة بحاضرهم ومستقبلهم.

كما يظهر في آيات القرآن الكريم ان الله تعالى اهلك فرعون لانه طغى وتكبر واستبد واستخف بالآخرين ولم يستشرهم حتى وصل به الامر "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ".

وكان الرسول ﷺ يستشير الاخرين بجميع الامور، فمثلا استشار في معركة بدر، واستشار يوم أحد، وأخذ برأي سلمان الفارسي في يوم الأحزاب، وأشارت عليه زوجته أم سلمة في يوم الحديبية فأخذ برأيها.

- اقر الإسلام للتابعين الحق في مراقبة القيادة ومساءلتها قصد تقويم ادائها وتشخيص اخطائها وانحرافاتها واستبدادها وجورها وطغيانها ومصادرتها للحقوق والحريات، وفي ذات الوقت دعوتها الى كل ما فيه خير للجميع ونهيها

عن كل ما سواه، ويتجلى ذلك في قوله تعالى "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[44]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"، وطلب أبو بكر رضي الله عنه الى رعيته اعانته ان احسن وتقويمه ان اساء قائلا "ان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني" كما طلب عمر رضي الله تعالى عنه الى رعيته نصحه واعانته على الخير وارشاده اذا خرج عن الحق قائلا: "أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير"، ويخاطب الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه الامة قائلا "إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في قيود فضعوهما"، بينما ترفض القيادة المستبدة مراقبة خططها وقراراتها وسلوكها خشية كشف استبدادها واخطائها وخطاياها وانحرافها.

- اوجب الإسلام على القيادة الاهتمام بجميع شؤون رعاياها (الاقتصادية والصحية والتعليمية والاجتماعية وتوفير فرص العمل والامن) عملا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" بينما تولي القيادة المستبدة جل اهتمامها بمصالحها ومصالح حاشيتها وتهمل الاهتمام بمصالح الرعية.

- رفض الإسلام توريث الحكم واعده مدخلا للاستبداد والظلم ونهب الثروات العامة ومصادرة حريات الاخرين وحقوقهم، ويؤكد هذا قوله تعالى "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"[45]، ويظهر في هذه الآية الكريمة ان إبراهيم عليه السلام بعد ان اكرمه الله تعالى وجعل منه اماما للناس طلب

الى الله تعالى ان تنال ذريته هذه الحظوة لكنه تعالى أجابه "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" اي لا ينال الإمامة الا من كان على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة والشمائل السديدة والمحبة التامة والخشية والإنابة، وتأسيسا على ما تقدم فان إقدام معاوية على توريث الحكم لأبنه يزيد يتنافى تماما مع منهج الإسلام، اما القيادات المستبدة فانها تورّث الحكم لأبنائها.

- اوجب الإسلام مناهضة الاستبداد والظلم ومخاصمة المستبد والظالم ومقاطعته او إيقافه عن الاستبداد او الاطاحة به عندما يتجرأ على الامة ويستبيحها ويسقط هيبتها وينتهك حرمتها ويصادر حرياتها وحقوقها، ويؤكد هذا احاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم التي منها قوله "كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهُنّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا" أي لتقرنهم على اتباع الحق، كما قال صلى الله عليه وسلم "لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترد عنه العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال ظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير" وقال صلى الله عليه وسلم "اذا رأيتم امتي تهاب ان تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها" أي أصبحت لا فائدة فيها بعد ان جحدت رسالتها وفقدت خصيصتها، وقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا "وعزتي وجلالي لانتقمن من الظالم في عاجله واجله، ولأنتقمنّ ممن رأى مظلوما يقدر ان ينصره فلم يفعل"، بينما ترفض القيادات المستبدة مناهضتها وتفرض عقوبات قاسية بحق كل من يناهض ظلمها.
- رفض الإسلام الفساد وبخْس حقوق الافراد في عموم المجالات ولا سيما الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ويتجلى ذلك في قوله تعالى "وَلَا

تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"[46]، بينما تبخس القيادة المستبدة الرعية حقوقهم وتفسد في الأرض.

- كرم الإسلام الانسان وجعل منه خليفة الله تعالى في الأرض واعزه وذريته بالعقل وارسل الرسل لهدايته الى الطريق الصواب وسَخَّر له جميع ما في الكون والدواب في البر والسفن في البحر، ورزقه من طيبات المطاعم والمشارب، وفضَّله على كثير من المخلوقات تفضيلا عظيمًا، ويتجلى هذا في قوله تعالى "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"[47]، بينما تذل القيادة المستبدة الانسان وتصادر حريته وحقوقه وتحرمه من ابسط المتطلبات التي خلقها الله تعالى له وتجعله محبطا ويائسا وحياته بائسة وتضعه ضمن حدود ضيقة جدا ومثقلة بالصراعات والتحديات والتناقضات والمعضلات والمشكلات التي لا حلول لها فلا يكترث بالمستقبل ويشعر بانه عاجز تماما عن المساهمة حتى في تحديد ملامح مستقبله فيعوض كل ذلك بالانكفاء او بالعدوانية والاستقواء على الأضعف.

واقع الاستبداد في الدول الاسلامية

من اشد الأسف تقطع الحقائق بصورة واضحة لا لبس فيها ان الاستبداد ينتشر في الدول الاسلامية في جميع الأنشطة السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية والاجتماعية وغيرها وله امتدادات واسعة ومؤثرة على جميع الصعد بدءاً من العائلة مرورا بعموم المؤسسات صعودا الى اعلى مستوى في الدولة، وله ارتدادات سلبية كبيرة على الجميع يمكن معرفتها من مآلات الأوضاع فيها حيث يتجلى الفقر

والتخلف في الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والصحية والثقافية بسبب سيطرة جهات داخل البلاد على الموارد والثروات تتمثل بالسلطة المستبدة وقلة قليلة من الافراد الداعمين لها، وجهات اجنبية تتمثل بالدول الأجنبية التي أتت بالسلطة المستبدة الى السلطة ودعمت استمرارها، كما ان الجزء الأكبر من الموارد والثروات ينفق في مجالات الاستهلاك، يضاف الى ذلك كل فرد فيها يستبد بالآخر ولا سيما الأضعف منه اقتصاديا او وظيفيا او اجتماعيا او علميا ويقمعه ويصادر حرياته وحقوقه انتقاما لإحباطاته وانكساراته وخيباته ورغباته المؤجلة، وينتشر فيها المداهنون والمتزلفون الذين يزينون للسلطة قبيح افعالها واستبدادها إضافة الى الوعاظ الذين يبيعون دينهم بدنيا السلطة مقابل السحت لتسويغ استبدادها ومصادرتها لحريات الافراد وحقوقهم وتبرير الفقر لاجل ان يتغلب الفقراء على احساسهم باليأس ويتمسكوا بثقافة الصبر والزهد والتطلع الى حياة افضل بعد حياة الدنيا، ولا يقف نشاط أولئك الوعاظ عند ذاك وانما يجعلون الطقسية تتسيد في الدين ويشغلون العباد بسفاسف الأمور وبث الثقافة التي تدعو الى طاعة الحاكم ونصرته وتمكينه من توظيف الإسلام كأداة فعالة في تثبيت شرعيته وسيطرته وارغام الرعية للخضوع له بدلا من تعزيز شجاعتهم على اتخاذ المبادرات والجرأة على التفرد والابداع والحصول على حرياتهم وحقوقهم والترقي بحياتهم المادية والانسانية [48].

وصفوة القول وخلاصته

1. تعد قضية الحكم مسألة مدنية بحتة لا يفرض فيها الإسلام شكلا او قالبا يلزم اتباعه مثلما هي في الأمور التي ترتبط بالعقيدة والمسائل التعبدية التي

يعتبر الخروج عنها خروجا عن الدين، وانما يلزم فيها اعتماد اخلاقيات الصدق والامانة والكفاءة ومراعاة حقوق الاخرين.

2. وفر الإسلام الحرية للقيادة في ان تختار ما تشاء من أنظمة الحكم شريطة ان تنسجم مع مبادئ الدين ولا تعاديه بل تعده احد اهم مصادر القوانين والأنظمة والتعليمات وتنظيم علاقاتها مع الرعية.

3. تلزم مبادئ الإسلام واخلاقياته المؤمنين مواجهة المستبدين وجميع اشكال القهر والظلم ومصادرة الحريات والحقوق بجميع الاساليب بدء من أساليب القوة الناعمة (المناصحة والحوار والقول اللين) كما في قوله تعالى "اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ"[49]، وتوظيف القوة ضدها عندما لا تنفع تلك الأساليب معها، ويقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم "لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها" وقالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال "يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير"[50].

4. رفض الإسلام جميع اشكال الطبقية والعنصرية والتعصب والتمايز على أساس العرق واللون والقبيلة والمنصب والمؤهل... واعدها متاريس تمنع تحرر الناس من الاستبداد والاستعباد، ويؤكد هذا قوله تعالى "يا ايُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"[51]، وبهذا يكون اكرم الناس عند الله تعالى اشدّهم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لا أعظمهم بيتا ولا أكثرهم عشيرة.

5. تكشف الحقائق ومن اسف شديد حقا ان الدول التي يسيطر عليها المستبدون لا تعاني من اولئك المستبدين فحسب بل من أولئك الذين

يعينون المستبدين على التمادي في الاستبداد وتسويغ ظلمهم بالفتاوى الباطلة والقصائد والمقالات وما في حكم ذلك ومن تخاذل الرعية وجهلهم وتدني كفاءتهم وانكفائهم [52].

6. صادرت القيادات المستبدة في الدول الإسلامية حريات الشعوب وحقوقها ونهبت ثرواتها وعطلت دورها في الترقي والمشاركة في إدارة الدولة، **واخضعتها لارادة مطلقة متمثلة بشخص حاكم مستبد يستمر في الحكم حتى الإطاحة به او موته ما دامت القوى الأجنبية داعمة له.**

الفصل التاسع

اكابر المستبدين

اكابر المستبدين في غابر الزمن

المشتركات بين اكابر المستبدين في التاريخ الحديث

اكابر المستبدين في التاريخ الحديث

الفصل التاسع

اكابر المستبدين

يوصف المستبد كل من تفرد برأيه، ويطغى في حكمه ويسيطر على الاخرين ويذلهم ويصادر حرياتهم وحقوقهم، ويجعل الظلم والاستبداد ومصادرة حريات التابعين وحقوقهم ونهب الثروات شرعة له ومنهاجاً وسلوكاً، ويتشابه المستبدون في مختلف الازمنة في اساليبهم في الاستيلاء على السلطة وإدارة الرعية ولا يختلفون عن بعضهم البعض الا في التفاصيل.

وقد عرفت البشرية عبر مسيرتها الكثير من المستبدين في جميع القارات فرضوا هيمنتهم على رعيَّتِهم بشتَّى أنواع التنكيل والتقتيل والتجويع والظلم والقمع والتضييق والتعذيب الأليم المهين والتهجير ونهب الثروات والتخلف والفساد المالي والإداري والأخلاقي وتقويض طموحات الافراد في حياة حرة كريمة امنة يؤطرها تطور اقتصادي واجتماعي وثقافي يليق بأهمية الانسان الذي كرمه الله تعالى وجعل منه خليفة له في الأرض، ولذلك لعنهم الله تعالى في قوله "أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"[1]، وفيما يأتي عرض لنماذج من اكابر المستبدين في التاريخ القديم والتاريخ الحديث:

اكابر المستبدين في غابر الزمن

فرعون

كان يعيش في مصر أيام حكم فرعون امّتان هما أمَّةُ الأقباط وكانوا هم الذين بيدهم حكم مصر، وقد كان فرعون منهم، وأمَّة بني إسرائيل وكانوا عبيدا لفرعون وقومه وكان نبيُّ الله موسى عليه السلام منهم.

وتعد قصة فرعون من أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم، فقد عرضت مفصلة ومقتضبة في سبع وعشرين سورة، فضلاً عن الإشارة إليها في ثنايا بعض السور الأخرى والحكمة من ذلك توضيح أمر الاستبداد وإجلاء مساوئه وآثاره، والتحذير منه.

ويمثل فرعون مصر المذكور في القرآن أحد اكابر المستبدين في طغيانه وتكبره واستخفافه بعقول اتباعه وإرادتهم ومصالحهم وتدخله في تفكيرهم وآرائهم وإيمانهم، وكان يزداد صلفاً وتجبراً وتمردا وتفردا بالرأي وادعاءً للإرادة المطلقة في مصائرهم كلما سكتوا عن ظلمه، وكان يرى انه هو صاحب الرأي السديد والقول الرشيد، ولا صواب إلا ما يراه صائبا، ويظهر ذلك في قوله تعالى "قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ"(2)، رغم ان رأيه ليس برشيد كما يخبر الله تعالى "وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ"(3).

ونظم فرعون علاقته بقومه على القهر والاستعباد والاستعلاء ولم يقم لهم وزنا واستأثر بأموال مصر ومع ذلك اطاعوه، في قوله تعالى "فَاسْتَخَفّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ" وقوله تعالى "وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ

وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[4]، وتمادى في طغيانه الى حد زعم انه إله، كما يظهر في قوله تعالى "فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ"[5]، وكان يودع في السجن كل من لا يؤمن بانه اله كما يتبين في قوله تعالى "قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ" [6]، وكان لا يسمح للآخرين بالإيمان او فعل أي شيء الا بعد اخذ الاذن منه كما في قوله الله تعالى "قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ"[7]، ويهدد معارضيه ويعاقبهم بقسوة في قوله تعالى "إِنّهُ لَكَبِيرُكُمُ الّذِي عَلّمَكُمُ السّحْرَ فَلأُقَطّعَنّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلّبَنّكُمْ فِي جُذُوعِ النّخْلِ وَلَتَعْلَمُنّ أَيّنَآ أَشَدّ عَذَابا وَأَبْقَىَ"[8]، وكان من جهة اخرى يجزل العطايا والمكافآت للذين يحققون مآربه، فقد وعد السحرة الذين اراد منهم دحض ما جاء به موسى عليه السلام بمنحهم اجرا مجزيا وجعلهم من المقربين اليه في قوله تعالى "وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ"[9].

وقد كانت حاشية فرعون تطيعه وتعينه بالقول والفعل، وتُطرِق عن جرائمه رغم استخفافه بهم في قوله تعالى "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ"[10]، وليس هذا فحسب بل كانوا يحرضونه على البطش بالآخرين حتى وإن علموا أنه على باطل، وأن الحقَّ مع غيره [11]، ويتجلى هذا في قوله تعالى "وَقالَ المَلَأُ مِن قَومِ فِرعَونَ أَتَذَرُ موسى وَقَومَهُ لِيُفسِدوا فِي الأَرضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ"[12].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى ما حدث لفرعون الذي مُنِيَ بأبشع انتكاسة وأغرق نفسه واتباعه في البحر وادخل نفسه وقومه النار عبرة لمن يعتبر من القادة الطغاة في قوله تعالى "فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لّلاَخِرِينَ"[13].

المشتركات بين اكابر المستبدين في التاريخ الحديث

تتضمن قائمة أسوأ أنظمة ديكتاتورية وحكام طغاة في العالم في التاريخ الحديث عدداً من الحكام العرب والأفارقة الى جانب حكام آخرين في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية وهؤلاء يحكمون عدة مليارات من الافراد في تلك الأنحاء من العالم، وقد تسببوا في فقد أرواح الملايين من المواطنين وانهيار اقتصادات دولهم وجعلوا شعوبهم تدفع ثمن استبدادهم وقراراتهم الخاطئة فقرا وجهلا وتخلفا، وتجمع هؤلاء المستبدين عدة مشتركات لعل من أهمها:

- شعارهم جئنا لنبقى في الحكم، ولا يغادرون مواقع القيادة الا بالإطاحة بهم او الموت.
- معاصرة حداثة اوروبا وأمريكا في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتقنية ولكنهم يوظفون ادوات تلك الحداثة في الامعان في الاستبداد وبسط سيطرتهم على مواطنيهم ونهب الثروات.
- بدء حياتهم السياسية برفض الاستبداد والأنظمة الديكتاتورية والمطالبة بالحرية والارتقاء ببلدانهم الى الأفضل ولكنهم ما ان يستولوا على السلطة حتى يخونوا تلك المثل العليا والمبادئ ويمارسوا الاستبداد ويصبوا جل اهتمامهم على كيفية البقاء في السلطة ونهب الثروات واقصاء المختلفين والهيمنة على جميع المؤسسات.
- مصادرة حريات شعوبهم وحقوقهم وعقولهم واحاسيسهم وارادتهم وخياراتهم وكل حياتهم وهم خائفون ويزدادون بؤسا وجبنا يوما بعد يوم ولا سبيل امامهم الا قبول القهر والذلة والتعاسة والفقر وتحاصرهم دائما السياط

والعقوبات والملاحقات من جميع الاتجاهات ومنشغلون بالماضي والتأقلم مع الواقع والتوافق مع الحاضر اكثر من انشغالهم بتطوير أوضاعهم في جميع المجالات في المستقبل ويعيشون في بلدانهم في احباط وفقر مدقع رغم الموارد الطبيعية الهائلة المتاحة لهم وحالهم كما يقول احدهم:

"كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول".

- إنزال اقصى العقوبات بالمختلفين واتهام كل معارض بالخيانة والتآمر ويفرضون عليه أقسى العقوبات.
- استقطاب المداهنين والمتزلفين ووعاظ السلطة والاغداق عليهم بالمكافآت المادية والمعنوية.
- تأسيس أجهزة أمنية ومخابراتية متطورة ومجهزة باحدث التقنيات لحمايتهم وضمان استمرارهم في مواقعهم وينفقون عليها من الأموال العامة بدلا من الانفاق على الصحة والتعليم وتوفير السلع والخدمات للمواطنين.
- اشغال الافراد بأزمات سياسية واقتصادية وحروب وصراعات طائفية وفئوية ومناطقية وفقر وامراض عضوية ونفسية واجتماعية وفساد مالي واداري واخلاقي قصد تعطيل قدراتهم الإنتاجية والابداعية والتجسس على بعضهم البعض والانهماك بقضايا شخصية وذاتية تضطرهم الى التكيف مع واقعهم المأساوي بدلا من العمل على تطوير أوضاعهم على جميع الصعد [14].
- تعمي رغبتهم بالسلطة والانتقام من الاخرين ونهب الثروات بصيرتهم وتخلق لهم أعداء يتربصون بهم دائما وتجعلهم يعيشون قلق وريبة وشك.
- يتركون إرثًا مظلمًا للانسانية.

اهم اكابر المستبدين في التاريخ الحديث

يسلط الاتي قبساً على اهم اكابر المستبدين في التاريخ الحديث:

أدولف هتلر



ولد أدولف هتلر يوم 2 أبريل/نيسان 1889 بقرية صغيرة تقع في إقليم النمسا العليا على حدود جمهورية ألمانيا الفدرالية، وكان يؤمن بِتَفوُّق العنصر الآريّ الألماني على باقي الأجناس البشريَّة، وتزعَّم حِزبًا متطرّفًا "حزب العُمَّال الألماني الاشتراكي القومي" ويسمَّى اختصارًا (الحزب النازي)، وقاد مُحاولتَه الأولى للاستيلاء على السُّلطة فسُجِن، واعد ذلك فرصةً لتأليف كتابِه الْمُعنون "كفاحي"، الذي تضمَّن فلسفتَه السياسية.

انضمَّ هتلر إلى الجيش الألمانِيّ كعريف في الخنادق عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى وقد هزَّه استسلامُ ألمانيا في عام 1918م، وحفزه للانخراط في العمل السياسيّ.

صوَّت أغلبيةُ الشَّعب الألماني لِصَالح "هتلر" بعد تَهاوي الاقتصاد الألمانِيّ في عام 1929م -إبَّان الأزمة الاقتصادية العالمية، فاصبح الحزب النازيُّ الأكثر تمثيلاً في (البرلمان) في سنة 1932م، ثم انْتُخِب مستشارًا، وعيّن نفْسَه بعد ذلك قائدًا (الفوهرر) على ألمانيا وسحق مُعارضيه.

أطلق في عام 1939م، شرارة الحرب العالمية الثانية ولكنه هُزِم أمام الرُّوس في معركة "ستالينجراد" في نهاية تلك الحرب وهذا ما دفعه للانتحار في 1945.

تميز حكمه بالدكتاتورية وتسبب في إشعال الحرب العالمية الثانية التي راح ضحيتها خمسة ملايين مدني ووقعت مجزرة جماعية راح ضحيتها 6 ملايين يهودي عرفت بالهولوكوست وتركت اعماله أضرارا مادية وبشرية ومعنوية لا تعد ولا تحصى على الشعب الألماني والشعوب الأخرى امتدت لعشرات السنين رغم انه كان يمتلك المهارات المطلوبة للقيادة.

جوزيف ستالين



حكم "جوزيف فيساريونوفيتش ستالين" (1879-1953) الاتحاد السوفيتي لأكثر من عقدين، ويطلق عليه الطاغية الفولاذي رغم انه حول بلاده من دولة متخلفة إلى قوة عظمى وساهم في هزيمة النازية، لكنه ضحى بملايين الأرواح لتعزيز حكمه وتسبب في مقتل أكثر من عشرين مليون شخص بسبب الحروب وسياساته والعقوبات القاسية على كلِّ مَن يعتنق فِكْرًا مُغايِرًا لفكره أو مَن يَشُكُّ في مُعارضته! فتارةً يَنْفِي مُعارضيه إلى معسكرات الأعمال الشَّاقة، وتارة يزجُّ بهم في السُّجون لِمُجرَّد الشكِّ في معارضتهم لمبادئه الأيديولوجيَّة، وآخرون أُعدِموا بعد إجراء مُحاكمات هزليَّة، بل ومن أهمِّ استراتيجيَّاته "الطُّغيانية" تطبيقُ ما يُسَمَّى بالاغتيالات السِّياسية.

بنيتو موسوليني



حكَم بنيتو موسوليني إيطاليا من 1922م إلى 1943م، وكان مُستبدا ويعد رمز الفاشية فهو من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطاليّة وزعمائها التي شكلت فرقاً مسلحة من المحاربين القدامى سُميت سكوادريستي لإرهاب الفوضويين والاشتراكيين والشيوعيين.

كان يحلم علناً بأن يسيطر على كل حوض البحر الأبيض المتوسط ويحوله إلى بحيرة إيطالية وأن ينشئ إمبراطورية تمتد من الحبشة إلى ساحل غينيا الغربي، وكان يدعو إلى زيادة النسل ليزيد عدد الإيطاليين ليستوطنوا تلك الإمبراطورية الشاسعة، وزج إيطاليا مع دول المحور في الحرب العالمية الثانية، فدفع الإيطاليُّون ثمن ذلك شهداء وفقرا وتخلفا ونقصا في الخيرات وافقدهم الحرية وقد القت حركة المقاومة الإيطالية في 28 نيسان/ إبريل 1945م القبض عليه وأعدمته مع أعوانه السبعة عشر بالقرب من بحيرة كومو، وأُخذت جثته مع عدد من أعوانه إلى ميلانو إلى محطة للوقود وعُلّقت رؤوسهم حتى يراهم عامَّة الناس ويتأكدوا من خبر موتهم.

فرانسيسكو فرانكو



فرانسيسكو فرانكو (1892- 1975م): رئيس الدولة الإسبانيَّة، حكم بلاده بقبضة من حديد وأقام علاقات وثيقة بالفاشية والنازية خلال الحرب العالمية الثانية، وقد حاكى فرانكو هتلر وموسوليني فجعل من نفْسه زعيمًا وأبًا لإسبانيا، وسَمَّى نفسه "الكوديللو"؛ أيْ زعيم الأُمَّة، كما سَمى "هتلر" نفسه "الفوهرر"، و"موسوليني" سمى نفْسَه باسم "الدوتشي"، وهي كلمة إيطالية لا تختلف في معناها عن كلمة "الفوهرر" أو "الكوديللو" الإسبانية، وكان من المفترض أنْ ينهار نظامُ فرانكو مع انْهِيار هتلر وموسوليني بعد الْحَرب العالمية الثَّانية، ولكن فرانكو كان شديد الْحَذر فأعلن حِيادَ إسبانيا أثناء الحرب.

أقام فرانكو نظاما سياسيا استبداديا قائمًا على الحزب الواحد، وألقى بخصومه في السجون والمنافي، لكنه بدأ يتفتح على معارضيه اعتبارا من 1965، ومِمَّا سجَّله التاريخ عنه هو ما ارتكبه في حقِّ أهل الريف المَغاربة من استعمال الغازات المَحْظورة دوليًّا.

جمال عبد الناصر



حكم جمال عبد الناصر مصر من 1955 – 1970، وكانت شخصيته محورية في التاريخ المعاصر، كان يطمح ان يكون هو البطل القومي المشار إليه بالبنان ويهابه الجميع ولا سيما في منطقة الشرق الاوسط والعالم العربي والاسلامي، وتميز بانه طاغية ودكتاتور ويحتقر شعبه بقسميه الواعي وغير الواعي، المتكلم والصامت، المتحرك والصابر فيعامل الاولين بالمعتقلات والسجون ووسائل القهر والتعذيب كتعبير عن ازدرائه لارادتهم، ويُخضع الاخرين وهم الاكثرية للتجويع والتجهيل وعمليات غسل مخ عنيفة تحول بينهم وبين الوعي بمصالحهم [15].

وكان ينفذ باتقان شديد اجندات الجهات التي أتت به الى السلطة فالحقت قراراته السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية بمصر وسكان ذلك الجزء من العالم اضرارا فادحة لا زال الجميع يئنون من ارتداداتها السلبية ويتجهون بخطوات حثيثة من سيء الى اسوأ على جميع الصعد، ولعل الاتي يلقي الأضواء على قبس من استبداده [16]:

- مارس اقسى انواع الديكتاتورية والاستبداد والقمع والتنكيل والتعذيب وأودع كل من خالفه في سجون تعرضوا فيها الى التعذيب الاليم المهين والتصفيات.

- احتكر جميع السلطات وفرض سيطرة على كل جوانب الحياة في مصر، فأمم الاقتصاد والاعلام والسياسة والإنسان المصري لصالحه.

- أسس أجهزة امنية ومخابراتية تحصي على المصريين والمقيمين في مصر انفاسهم وتلاحقهم وتجعلهم في خوف ورعب دائم حتى ولو لم يجترفوا اية مخالفة للقوانين والتعليمات.
- استحدث أجهزة اعلام اناط ادارتها بالمداهنين والمتزلفين (اغلبهم من المرتبطين بصورة مباشرة وغير مباشرة بذات الجهات التي أتت به الى الحكم) وقدم لها دعما غير محدود لتضليل المصريين والعرب وتلميع صورته وتنزيهه من الأخطاء.
- اختار معاونيه ووزرائه على اساس الولاء لشخصه وليس على أساس الكفاءة، وجعل مهمتهم تقتصر على تقديم استشارات تنسجم مع توجهاته وتمكنه من بلوغ مقاصده.
- استغل فقر المصريين وجهلهم وتخاذلهم ففرض عليهم تقديسه إلى حد العبادة.
- استحدث مؤسسات قطاع عام تهيمن على جميع القطاعات الاقتصادية واناط ادارتها الى تابعين يُختارون على أساس الولاء له وليس الكفاءة قصد فرض سيطرته على تلك المؤسسات وتَمَكُّنِهِ من التحكم في ارزاق الافراد والسيطرة على تدفق السلع والخدمات لهم فألحق بالجميع أضرارا اقتصادية واجتماعية واخلاقية بالغة.
- اتسم عهده بغياب التعددية السياسية والاصطدام العقائدي والسياسي مع تيارات سياسية متعددة، فقد اوقف عمل جميع الاحزاب ما عدا حزب الاخوان المسلمين مما ادى إلى تقوية هذا الحزب على أنقاض الأحزاب الأخرى، لكنه انقضّ بعد ذلك على هذا الحزب واوقف عمله بعدما تمكن من

معرفة اهدافه وتنظيماته فادخل مصر في بؤرة صراعات داخلية مستمرة أدت الى زعزعة الامن والوحدة والسلام الداخلي.

- ادخل مصرا في حرب مع اسرائيل في عام 1967 قصد تمكين اسرائيل من احتلال كامل سيناء ومنطقة شرق قناة السويس واجزاء من لبنان وسوريا والاردن، وتدمير الجيش المصري ومعنويات المصريين والعرب والمسلمين، وبعد تلك الخسائر الفادحة ادخل مصرا في حرب استنزاف مع اسرائيل ليرفع من مستويات الخسائر والاضرار المادية والمعنوية التي كان لها امتدادات وارتدادات سلبية كبيرة على جميع العرب والمسلمين لا زالوا يئنون من تركاتها.
- كان يتآمر على الدول العربية ويتدخل في شؤونها السياسية وينادي في ذات الوقت بالوحدة العربية.
- تدخل عسكريا في شؤون اليمن في بداية الستينات وقد فعل ذلك بقصد إهدار موارد مصر واشغال جيشها وإنهاكه ويعده ليُمنى بهزيمة أمام إسرائيل في حزيران / يونيو 1967، كما تدخل في الشؤون السياسية للعراق في اعقاب سقوط الحكم الملكي عام 1958 وأحدث انقسامات وصراعات بين العراقيين.
- كان أحد مهندسي منظمة عدم الانحياز وقد استحدثت تلك المنظمة بتوجيهات من أمريكا والدول الغربية والهدف الحقيقي منها تحشيد المناصرة لأمريكا والدول الغربية اذ ان فكرة عدم الانحياز فرية كبيرة فليس من العدالة الحياد عند الصراع بين الحق والباطل.

صدام حسين



حكم صدام حسين العراق من 1979 الى 2003، وكان يتميز بحبه للتفرد بالرأي والقيادة والسلطة والعنف والقسوة في جميع علاقاته حتى مع أقرب الناس اليه، ولا يتردد في فرض هيمنته الشخصية المطلقة على الجميع بجميع الأساليب غير المشروعة، وقد اجتمع فيه حب السلطة والوحشية ونهب الثروات وعدم الثقة بالآخرين وتوظيف اجهزته القمعية في اكراه الجميع على السكوت عن اخطائه الجسيمة التي أدت به وبعائلته وشعبه ووطنه في نهاية المطاف إلى الهاوية والحقت بالدول المجاورة للعراق أضرارا (مادية ومعنوية) مدمرة ستبقى تأثيراتها السلبية الجسيمة تتفاقم وتلقي بضلالها على عدة اجيال في المستقبل حتى بعد رحيله، وفيما يأتي بعض من ممارساته:

- استأثر بالسلطة والثروات.
- ادخل العراق في حرب مدمرة في عام 1980 مع إيران جارة العراق من الشرق، وقد امتدت لثمان سنوات راح ضحيتها مئات الالاف من الضحايا والمعوقين والمفقودين واسفرت عن آلاف الارامل والايتام، ودمرت جميع القطاعات الاقتصادية في البلدين وكلفت البلدين مليارات من العملات الصعبة.

- جاء بملايين المصريين للعمل في العراق ليحلوا محل العراقيين الذين جندهم للحرب مع إيران، وقد نشر الكثير من أولئك المصريين الفساد المالي والاداري والاخلاقي وحولوا جزء كبيرا من موارد العراق المالية التي هو بمسيس الحاجة اليها إلى مصر.
- احتل الكويت في مطلع آب 1990 ودمر كل ما فيها تدميرا شاملا، وقد أرغمه التحالف الدولي على سحب قواته منها ودمر القوات العراقية المسلحة.
- فرضت الامم المتحدة حصارا اقتصاديا على العراق بسبب غزوه الكويت والزمته بدفع تعويضات مالية طائلة للكويت ولجميع الافراد والمنظمات والدول التي لحقت بها اضرار مادية ومعنوية بسبب احتلاله للكويت.
- فرض عقوبات قاسية على كل من ينتقده او يعترض على سياساته واعماله وسلوكاته واعمال حاشيته وسلوكاتهم فجعل جميع العراقيين لا يقولون الحقيقة بصدد الأوضاع في العراق لا بالتصريح ولا بالتلميح، فمثلا طلب إلى وزرائه في بداية الحرب مع ايران مشورة خالصة بصدد الحرب، فجازف وزير الصحة انذاك (رياض حسين العاني) بطرح اقتراح مفاده ان يتنحى صدام عن السلطة لمدة معينة لكي تتوقف الحرب ثم يعود إلى الحكم بعدما يتم السلام بين البلدين، فما كان من صدام الا ان ارداه قتيلا في الحال في مكانه بإطلاقات من مسدسه، وقد جعل هذا الحدث بقية الوزراء يُجمعون بإصرار على ان بقاء صدام في موقعه ضرورة لا غنى لهم عنها.
- قمَعَ معارضيه بقسوة وعذبهم بوحشية ما بعدها وحشية وأعدم الكثير منهم دون محاكمات ولم ينجُ من ذلك حتى رفاقه ليرعب الجميع.

- هجّر في بداية 1980 مئات الالاف من الكرد الفيلية دون حق (وهم مواطنون سكنوا العراق منذ مئات السنين) والقى بهم في العراء على الحدود العراقية الإيرانية دون مأوى وصادر ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة.
- انتقم من عوائل المعارضين بقسوة بالغة، وبخاصة حين لم يتمكن من القبض على المعارضين وارغمهم على التبرؤ منهم، وأيضا عذب عوائلهم بحضورهم.
- ابعد الاكفاء واحل محلهم المتزلفين والمنافقين والمادحين والجبناء والفاسدين وأغدق عليهم، ونشر جميع انواع الفساد المالي والاداري والاخلاقي في جميع القطاعات.
- دفعت سياساته الملايين من العراقيين الى هجرة العراق تاركين خلفهم عوائلهم وممتلكاتهم ووظائفهم وتاريخهم، وقد واجهتهم صعوبات (نفسية واجتماعية واقتصادية) جمة في الدول التي قبلتهم كلاجئين.
- فرض على الاعلام تصوير هزائمه على انها انتصارات.
- أصدر قانون الاستيراد بدون تحويل خارجي وقد الحق ذلك القانون أضرارا اقتصادية ومالية بالعراق وخلق طبقة من الاثرياء الموالين له.
- اعتقد ان غزو امريكا للعراق عام 2003 مجرد هراء، وكان واثقا من ان جيشه سيقاوم غزوها ببسالة ويدحرها، وانها سوف تغرق نفسها في وحل الهزيمة[17].
- تدخل في جميع شؤون البلاد ولا سيما الشؤون العسكرية رغم انه لا يمتلك الخبرة فيها، واناط المناصب العسكرية العليا والخطيرة بأقاربه الاغبياء

والمداهنين الذين ليس لديهم معرفة او خبرة بالامور العسكرية فألحق بالعراق والمنطقة هزائم استهلكت مواردها البشرية والمالية.

- تسببت حروبه مع الاخرين في تدمير البيئة الطبيعية في العراق.
- شيد لنفسه عشرات القصور الفارهة في الوقت الذي كان العراقيون يئنون من فقر مدقع بسبب الحصار الاقتصادي الذي فرضته الامم المتحدة على العراق.
- توسع في اشغال العراقيين عن استبداده بسياستي الإلهاء والأزمات الاقتصادية من خلال افتعال شحة بعض السلع الاستهلاكية ورفع أسعارها وزج الطلبة في العطلة الصيفية في معسكرات خارج المدن ونشر النوادي الليلية والملاهي والحانات وغيرها من وسائل الالهاء.
- جند أعضاء حزبه إضافة الى اجهزته الأمنية والمخابراتية بالتجسس على المواطنين.
- جعل الثقة بين المواطنين مفقودة فالكل في خوف من الكل.
- قتل الابداع والاختلاف والتعددية لدى الجميع عندما جعل مناهج التعليم موحدة ووضع رقابة مشددة على جميع المطبوعات وتحكم في طبيعة المعلومات المتاحة للأفراد بعد ان حرمهم من الاطلاع على القنوات الفضائية واستخدام الانترنيت والهاتف النقال والسفر.

جان بيديل بوكاسا



كان جان بيديل بوكاسا ضابطا في الجيش في جمهورية أفريقيا الوسطى ثم اصبح رئيسا لتلك الجمهورية ثم إمبراطورا لافريقيا الوسطى وامتد حكمه من 1966-1976، وأنفق عشرات الملايين من الدولارات من الأموال العامة لتنظيم حفل تتويج فخم ومضحك لنفسه في العاصمة فقد ارتدى أزياء على غرار نابليون، وركب عربة محاطة بجنود يرتدون زي الفرسان الفرنسيين في القرن التاسع عشر.

وكتب عنه مايك تومسون في بي بي سي واصفا اسمه بأنه كان لأكثر من ثلاثة عقود مرادفا لأسوأ التجاوزات التي يمكن أن يمارسها الحكام الطغاة الذين أفسدوا أفريقيا ما بعد الاستعمار، فقد اعد كواحد من أكثر "الوحوش المتعطشة للدماء" في القارة، ووصفته وسائل الإعلام أنه "آكل لحوم البشر وسفاح الأطفال"، ونقل عنه منتقدوه أنه يأكل أجزاء من أجساد معارضيه، وهي تلك الأجزاء التي لم يطعمها للأسود والتماسيح في حديقة حيواناته الشخصية.

وكانت القشة التي قصمت ظهره هي المذبحة التي قُتل فيها حوالي 100 طفل ومراهق بسبب احتجاجهم على إعلانه بأنه سيتعين عليهم ارتداء زي موحد باهظ الثمن.

معمر القذافي



يتسم معمر القذافي، حاكم ليبيا (1969 – 2011)، بانه مستبد وذو شخصية معقدة وغير مستقرة، فقد بدد ثروات ليبيا الهائلة بتوافه الامور، وكان يستعين بمرتزقة أجانب لتخويف شعبه وقتل معارضيه، وفي ذات الوقت يردد "إن كل شعبي يحبني ومستعد للموت من أجلي"، وكان يصر على عقد جميع الاجتماعات الدبلوماسية رفيعة المستوى خارج ليبيا في خيمة بدوية لإعطاء انطباع عن أصوله القبلية.

ورفع في إحدى المقابلات نعل حذائه في مواجهة توني بلير رئيس وزراء بريطانيا آنذاك، ولذلك وصفه الرئيس الامريكي رونالد ريغان بأنه "الكلب المجنون في الشرق الاوسط والمستعار من نماذج مريبة مثل ستالين وصدام حسين"، وتؤكد اقواله الاتية مدى حماقته:

- للمرأة حق الترشّح سواءً كانت ذكراً او أنثى.
- أيها الشعب .. لولا الكهرباء لجلسنا نشاهد التلفاز في الظلام.
- أنا لست ديكتاتوراً لأغلق الفيسبوك ولكني سأعتقل من يستخدم الفيسبوك.
- تظاهروا كما تشاؤون ولكن لا تخرجوا إلى الشوارع والميادين.
- سأظل في ليبيا إلى أن أموت او يوافيني الأجل.

- الديموقراطية تعني "أديموا الكراسي".
- أنا قائد الثورة مش قائد البلد.
- سنزحف بالملايين لتطهير ليبيا شبر شبر، بيت بيت، دار دار، زنقة زنقة وفرد فرد.
- الفلسطينيون أغبياء والإسرائيليون أغبياء.
- أي مسلم في كل العالم الإسلامي يتعامل مع سويسرا هو كافر(8).

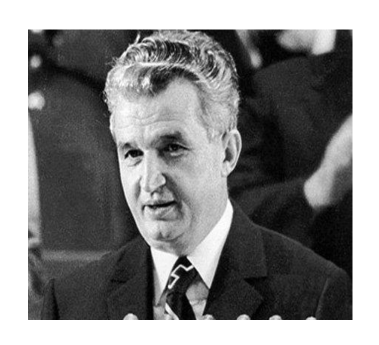
وقد جعل القذافي ليبيا تعاني من استبداده وتهوره وتفرده بالسلطة ومصادرته للحريات والحقوق، وفيما يأتي أهم ممارساته:

- ركز السلطة المطلقة بيده وبعائلته.
- قمع إرادة الشعب الليبي وجعله يعاني من البطالة والفقر والجهل والتخلف رغم موارد ليبيا الهائلة.
- استحدث في عام 1973 مؤسسات تهيمن على جميع القطاعات الاقتصادية يتولى ادارتها المداهنون والمتزلفون على وفق إيديولوجيته السياسية.
- رسخ فكرة دولة ليبيا الجملوكية، ومصطلح الجملوكية هي كلمة هجينة جديدة لا توجد في اللغة العربية، ولا في أي لغة أخرى، وهي مركبة من جمهورية وملكية.
- نهب ثروات ليبيا وبددها في شراء الأسلحة ومشروعات غير نافعة.

- توجه تلقاء أفريقيا بعد أن فشل في تطويع العرب لعالمه وأفكاره، فوجد الأفارقة فيه نهر أموال جارف فاستنزفوه بسهولة عبر الإذعان لقراراته ومواقفه التي لا تغير شيئا من السلطة المحلية للديكتاتورية الأفريقية العتيقة.
- جعل تاريخ ليبيا حافلا بآلاف القتلى والمفقودين الذين لم يكن لهم من ذنب سوى أنهم طالبوا بالحرية أو قصروا في إظهار التقدير لبعض إنجازاته أو أفكاره.
- أرغم العديد من الفتيات على الانخراط في جيش نسائي لإشباع نزواته ومقربيه، إضافة إلى جيشه النسائي المعروف براهبات الثورة، وهن اللواتي كن يضطلعن بمهام حراسته الشخصية في مشهد أسطوري بالغ الغرابة.
- كان يزور مدارس فتيات بقصد اختيار ما يشاء منهن، وقد ابتكر شفرة سريّة بينه وبين معاونيه، فقد كان يضع يده فوق رأس الفتاة التي يرغب بها لتتولى حارسته ترتيب انفراده بها.
- انتهى مصير الكثير من ضحاياه من النساء في مقابر جماعية أو في غرف عمليات أثناء إجهاض أجنتهن بعد حملهن منه بصورة غير شرعية.
- اعتمد على جراح تجميل برازيلي ليجري له عمليات تجميل في غرفة اطلق عليها غرفة عمليات الرئيس القذافي مُجهزة بكل المُعدات الحديثة، وكان يرفض تخديره بشكل كامل في تلك العمليات بسبب عدم ثقته بالجميع.
- امر في احد الأيام بحشد جميع الطلاب الصغار في سيارات ونقلهم الى ملعب كرة القدم، وقد ظن الجميع بانه سيلقي عليهم خطاباً مهماً ولكن تبين انهم جيء بهم الى ذلك الملعب ليشهدوا أحد الشباب وهو مقيد في وسط الملعب،

وأعلن بأنه خائن، فنُصبت المشنقة له، إلا أن الشاب لم يفارق الحياة على الفور، فركضت إحدى الفتيات وسحبته من رجله حتى فارق الحياة! وقد كوفئت تلك الفتاة بتعيينها وزيرة [18].

نيكولاي تشاوشيسكو



كان نيكولاي تشاوشيسكو رئيس رومانيا يعمل في بداياته إسكافيا (صانع أحذية)، ثم انخرط في الحزب الشيوعي المناهض للفاشية، وقد تدرج حتى اصبح السكرتير العام للحزب الشيوعي الروماني، بفعل الجهات الإعلامية في تلك الحقبة التي كانت كلها تقف بجانبه وتعرضه للجميع على انه المسيح المخلص، وفيما يأتي بعض ممارساته:

- عين افراد عائلته في عام 1983 في مناصب مهمة.
- جمع في عام 1989 في يديه كل السلطات؛ فقد كان رئيسا للدولة، ورئيسا للحزب الحاكم، وقائدا أعلى للقوات المسلحة، بجانب رئاسته للعديد من المناصب العليا الأخرى.

- اعتبر تظاهر المحتجين المناهضين لحكومته في ديسمبر 1989 تهديدا سياسيا له فأمر القوات العسكرية بفتح النار على المتظاهرين مما تسبب في وقوع العديد من القتلى والجرحى.
- تولى تصفية خصومه خلال حكمه بحجة أنهم حاولوا الإطاحة به.
- فرض على شعبه التقشف بهدف حل المشاكل الاقتصادية التي تعاني منها البلاد ولكنه تسبب بذلك في موت 15 ألف مواطن من شعبه سنويا.
- كان يقطع البث التلفزيوني الذي ينقل المظاهرات التي تنطلق ضده.
- اصدر أوامر لقائد جيشه باطلاق النار على الحشود الغفيرة المحتشدة في الميادين ضده، ولكن ذلك القائد رفض فكان مصيره الإعدام بتهمة الخيانة وعصيان الأوامر.

فر تشاوتشيسكو مع زوجته إلينا من العاصمة في طائرة هليكوبتر إلا أن القوات المسلحة ألقت القبض عليهما وعقدت محكمة عسكرية خاصة وسريعة وأُدين هو وزوجته بتهمة الإبادة الجماعية وتخريب الاقتصاد الروماني وأُعدما على الفور رميا بالرصاص في 25 ديسمبر 1989.

روبرت موجابي



كان روبرت موجابي البطل المزعوم للكفاح ضد الاستعمار والنضال من أجل استقلال بلاده من بريطانيا، ولكنه ما ان استولى على السلطة حتى تحول إلى مستبد سفاك للدماء يلقي بالمعارضين في السجون يتعرضون فيها الى أسوأ أنواع التعذيب والتصفيات وقد انكمش اقتصاد بلاده في عهده الذي دام 37 عاما بشكل غير مسبوق وشهد تضخما هائلا وقد استفاد هو شخصيا من التلاعب بالعملة والتضخم ورفع أرصدة حساباته المصرفية في الخارج، وقد انتهى حكمه بانقلاب مدعوم من الجيش.

ثان شوي



حكم ثان شوي بورما 18 عاما، ويوصف بانه حاكم عسكري غير رحيم، وانشغاله الوحيد هو البقاء في السلطة وكان يسحق أي حركة معارضة بالاعتقالات

والتعذيب، كما شارك في منع شعبه من تلقي المساعدات الإنسانية بعد الإعصار نرجس المدمر الذي ضرب البلاد في عام 2008، كما ساهم بازدهار اقتصاد السوق السوداء من خلال صادرات الغاز الطبيعي، وقد فرض الإقامة الجبرية على أونغ سان سو تشي التي حازت جائزة نوبل للسلام.

كيم جونغ اون



يعد كيم جونغ اون حاكم كوريا الشمالية حاليا سليل نظام رئاسي وراثي متسلسل من الجد إلى الابن إلى الحفيد، وهو يمارس دور الحاكم المقدس ذي السلطة المطلقة غير القابلة للنقاش، ونظام حكمه لا ينازعه فيه أحد، ولا تعادل سلطاته أي سلطة من السلطات الثلاث التي استقرت عليها الأنظمة السياسية المعاصرة، ونظامه يكاد يكون الوحيد في عالم اليوم الذي توجد فيه قيود غير مسبوقة ولا مثيل لها.

وتقطع الحقائق ان هناك العديد من القادة المستبدين في التاريخ ومع ذلك، فإن القليل منهم يضاهي قدرته على تحويل أمة بأكملها إلى عبادة شخصية، وفيما يأتي امثلة على سياسته القمعية:

- أعدم أحد كبار مسؤوليه لأنه غفا لدقائق أثناء حضوره لعرض عسكري كان فخامته يشرفه.

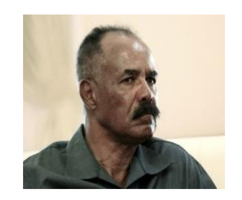
- سجن مجموعة من الموظفين لأن كاميرا التليفزيون الرسمي ضبطتهم في جنازة والده وهم لا يبكون بالحرقة الكافية.
- وظف موارد البلاد في انتاج أسلحة متطورة وصواريخ بالستية، واجرى تجارب نووية، بينما شعبه يعيش فقرا وجهلا وتنخر فيه مختلف الامراض.
- يفرض على كل من يرغب بزيارة كوريا الشمالية ان لا يدخل معه هاتفا نقالا ولا آلة تصوير، ويوقع تعهداً بأن يكون معه اثنان من المرافقين الحكوميين من كوريا الشمالية طوال رحلته من بدايتها حتى نهايتها.
- قتل وزير الدفاع هيون يونغ شول برصاص مدفع مضاد للطيران بتهمة عدم الولاء.
- الزم الرجال بقص شعرهم على وفق مواصفات محددة من قبله وسمح للإناث باختيار قصة واحدة من ضمن 18 قصة شعر.
- أصدر تعليمات بحظر صباغة الشعر.
- قتل زوج عمته جانج سونغ بطريقة بشعة بعد اتهامه بقضايا فساد، اذ أطلق عليه مجموعة من 120 كلب صيد مُنعوا من الأكل لمدة خمسة أيام.
- منع المواطنين من إطلاق اسمه على المواليد الجدد.
- أعدم شاباً بتهمة الاستماع الى أغاني لمطربين من كوريا الجنوبية.
- اعدم فرقة موسيقية لانها عرضت أفلام اجنبية.

عمر البشير



حكم عمر البشير السودان 30 عاما بقبضة من حديد وقد استولى على السلطة بانقلاب عسكري عام 1989 وهو متعصب ومصاب بداء العظمة ويقصي كل حركات المعارضة ويدمرها، ومسؤول عن وفاة الملايين من السودانيين ومتهم من قبل المحكمة الجنائية الدولية التي اصدرت بحقه مذكرة اعتقال بتهمة ارتكاب جرائم حرب في دارفور وجرائم ضد الإنسانية وجرائم إبادة.

أسياس أفورقي



حكم أسياس أفورقي إيريتريا 17 عاما بيد من حديد واعتمد سياسة الحزب الواحد، وحول بلاده كلها إلى سجن قومي وكان يرفض الانتخابات رفضا قاطعا ويفرض الخدمة العسكرية الإلزامية على الجميع ويدعم المسلحين الصوماليين بدلا من دعم شعبه ولا توجد في بلده مساحة للإعلام المستقل، وقد اتهمته الأمم المتحدة في تقرير لها بارتكاب انتهاكات بالجملة لحقوق الإنسان، منها عمليات اختفاء قسرية

واعتقالات تعسفية وتعذيب، وقد ادخل ارتيريا في صراعات وخلافات مع جيرانها (السودان وإثيوبيا واليمن) لاشغال شعبه عن استبداده.

إسلام كاريموف



حكم إسلام كاريموف أوزبكستان 25 عامًا، وقد كان سفاك دماء وقاسياً ولا يعرف معنى كلمة الرحمة ومنع الأحزاب السياسية المعارضة، ويعتبر أي شخص يجرؤ على معارضته بمثابة إرهابي إسلامي، ويودع المعارضين في السجون ويعرضهم الى ابشع صنوف التعذيب، وقد احرق نظامه شخصيتين، وذبح المئات من المتظاهرين المسالمين في عام 2005 بعد انتفاضة طفيفة في مدينة أنديجان وهذا ما اجبر كافة الزعماء المعارضين تقريبا للهجرة في المنافي.

وقد درج طيلة حكمه على التعامل مع المعارضة بقسوة شديدة، واستخدم الخطر المتمثل في التشدد الإسلامي ذريعة لتغييب حقوق الانسان في بلاده، وتعرضت بلاده في عهده الى انتقادات دولية كثيرة، خاصة من منظمة حقوق الانسان بسبب عدم وجود تعددية في البلاد وملاحقته المعارضين وإجبار الأطفال على العمل وقتل المتظاهرين العزل، وقد وضعته مجلة باراد عام 2007 في قائمة "أسوأ ديكتاتوريي العالم" بسبب اتهام حكومته بتعذيب المعارضين.

عيدي امين



حكم عيدي امين أوغندا من 1971 إلى 1979، بقبضة من حديد، وترأس نظامًا وحشياً يتسم بانتهاكات حقوق الإنسان على نطاق واسع، والقمع السياسي، والانهيار الاقتصادي، وتميز حكمه بعبادة الشخصية، حيث أدت نزواته وجنونه إلى سجن وتعذيب وإعدام ما يقدر بنحو ثلاثمئة أوغندي، وهذا ما جعله أحد أكثر القادة رعبًا ووحشية في التاريخ الأفريقي الحديث رغم انه وعد شعبه بأن يكون قائدا مستنيرا لكن سرعان ما بدأ حكمه بالقتل حيث قضى على أفراد القبائل ثم انتقل الى السياسيين المعارضين والناشطين من الطلاب ورجال الأعمال وحتى رجال الدين فجعل الجثث تملأ نهر النيل (كان التكتيك المفضل لأمين هو إلقاء جثث الضحايا في نهر النيل لإطعام التماسيح فيه)، وقد طرد عيدي امين في عام 1972 قسرا جميع سكان جنوب آسيا في أوغندا مما أدى إلى شل الاقتصاد.

وجدير ذكره ان عيدي امين لم يكن متعلما ولكنه عوض ذلك بقوته وحجمه الهائلين، فقد طوله 193 سنتمتر وقد لفت هذا انتباه الجيش البريطاني الذي احتل أوغندا كجزء من سيطرتهم الاستعمارية، فضم أمين إلى بنادق الملك الأفريقية

الشهيرة كمساعد طباخ، وقد ساعدته جاذبيته ومهاراته البدنية على الارتقاء بسرعة داخل الرتب.

المصادر

مصادر الفصل الأول: ظاهرة الاستبداد

1. Gjassane Salamé, ed., the foundations of the Arab St ates (London: Croom Helm, 1987).p;12
2. إبراهيم البيومي غانم، في كتابة "ميراث الاستبداد" (فرست بوك، القاهرة، 2019).
3. محمد هلال الخليفي جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة | الجزيرة نت (aljazeera.net) 3/10/200
4. Sian Lewis, "tyranny", britannica, Retrieved 30/12/2021. https://mawdoo3.com/%D8%B5%D9%81%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A.
5. عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، بتحقيق وتقديم الدكتور محمد عمارة، دار الشروق بالقاهرة، ط2، 2009، ص23.

6. . د. علي الدباغ، الجذور الدينية للاستبداد، انظر الرابط: https://www.aljazeera.net/specialcoverage/coverage/2004/2004/10/3.
7. د. بان غانم أحمد الصائغ، ظاهرة الاستبداد في أنظمة الحكم العربية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 16، العدد 11، تشرين الثاني 2009، ص:275.
8. د. ثناء فؤاد عبد الله، خلاصة تنفيذية قراءة في أوراق اللقاء الرابع عشر لمشروع دراسات ديمقراطية، في الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز2005)، ص:14.
9. مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة عادل زعيتر، الباب الثاني، الفصل الأول (طبيعة الحكومات الثلاثة) مؤسسة هنداوي، ص59..
10. ناصيف نصار. "الموسوعة الفلسفية العربية". نقلاً عن كمال عبد اللطيف. في تشريح أصول الاستبداد – قراءة في نظام الآداب السلطانية، ط 1 ،(بيروت دار الطليعة،1999)، ص: 7.
11. حسن حنفي، "قراءة جديدة للكواكبي في: طبائع الاستبداد ومصارع العباد"، وجهات نظر، العدد 37، (فبراير 2002)، ص 30.
12. نصر محمد عارف، الابعاد الدولية للاستبداد السياسي في النظم العربية: جدلية الداخلي والخارجي، ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز2005)، ص:533.

13. هلال نبيل، الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين، المكتبة الجامعية، مصر، ص: 35
14. محمد هلال الخليفي، جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة: 1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005)، ص: 279.
15. حسن حنفي، قراءة جديدة للكواكبي في طبائع الاستبداد، كتاب وجهات نظر، لسنة4، العدد37، شباط،2002،ص:30.
16. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج1، بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1995، ص:166.
17. د. ثناء فؤاد عبد الله آليات الاستبداد وإعادة إنتاجه في الواقع العربي المعرفة ، الجزيرة نت3/10/2004 (aljazeera.net)
18. محمد هلال الخليفي، قراءة تاريخية في مفهوم الاستبداد وتفسيره واليات تكريسه، دراسة في كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية: محرم،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أسعد وطفة، "بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، ص: 12.وحسن حنفي، قراءة جديدة للكواكبي في طبائع الاستبداد، كتاب وجهات نظر، لسنة4، العدد37، شباط، 2002، ص:30.
19. محمد جمال طحان، "الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي" اتحاد الكتاب العرب – دمشق – 1992 ص 22.

20.نصر محمد عارف، الابعاد الدولية للاستبداد السياسي في النظم العربية : جدلية الداخلي والخارجي ،ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز2005)، ص:533.

21.سورة غافر، الاية: .29.

22. The Blackwell encyclopedia of political thought. David (David Leslie) 1987.pp 119 – 122.

23.**د.** مصطفى حجازي، الانسان المهدور-دراسة تحليلية نفسية واجتماعية، ط:1، (المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005)، ص:78.

24. عيسى العيد: قراءة في كتاب رؤى في قضايا الاستبداد والحرية - موقع سماحة الشيخ فوزي السيف (al-saif.net) .

25.سورة النازعات، الاية:24.

26.حرز الله محمد لخضر صناعة الاستبداد وحقيقة الاستعباد.. الجذور وموارد الثبور6/1/2020 صناعة الاستبداد وحقيقة الاستعباد... الجذور وموارد الثبور | الجزيرة نت (aljazeera.net) .

27.سورة القصص، الاية: 4.

28.سورة غافر، الاية: 24.

29.. سورة الأعراف، الاية:127.

30.محمد الهلالي الخليفي، قراءة تاريخية في مفهوم الاستبداد تفسيره واليات تكريسه، في كتاب الاستبداد في النظم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز الدراسات العربية،تموز2005)،ص:281. و د. محمد

العبد الكريم دراسة مقاصدية في فقه التحرر من التغلب تفكيك الاستبداد، ط:1، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر2013)، ص:166. و **د.** ثناء فؤاد عبد الله آليات الاستبداد وإعادة إنتاجه في الواقع العربي آليات الاستبداد وإعادة إنتاجه في الواقع العربي | المعرفة | الجزيرة نت(aljazeera.net)3/10/2004 و عبد الجبار الغراز النخب السياسية.. لماذا تفشل في مناهضة الاستبداد؟النخب السياسية.. لماذا تفشل في مناهضة الاستبداد؟ ، الجزيرة نت26/12/2017 (aljazeera.net)

31. سورة الانفال، الاية:60 .

المراجع

1. هاشم علي حافظ واخرون، كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد، ط:2، لبنان: دار رياض الرئيس، 2002.
2. محمد عابد الجابري، "العقل الأخلاقي العربي – دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية". مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت لبنان ط 1 2001 ص 630.
3. راشد الغنوشي، "الحريات العامة في الإسلام". مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت – لبنان ط 1 1993 ص 306 – 307.

4. أرسطو، "السياسة"، ترجمه من الفرنسية أحمد لطفي السيد. مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة 1947 ص 222.

5. "معجم العلوم الاجتماعية". إعداد نخبة من الأساتذة. تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور. الهيئة العامة للكتاب. 1975. مادة طغيان.

6. ناصيف نصار. "الموسوعة الفلسفية العربية". نقلاً عن كمال عبد اللطيف. في تشريح أصول الاستبداد – قراءة في نظام الآداب السلطانية. دار الطليعة. بيروت – لبنان. ط 1 1999 ص 174.
7. 1موسوعة البستاني". نقلاً عن: إمام عبد الفتاح إمام "الطاغية" -المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب– الكويت 1994. ص 46.
8. عبد الوهاب كيالي. الموسوعة السياسية. مادة ديكتاتورية. انظر معجم العلوم الاجتماعية مرجع سابق. مادة دكتاتورية.
9. خلدون حسن النقيب، "الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر– دراسة بنائية مقارنة". مركز دراسات الوحدة العربية. ط2. 1996.
10. انظر فيليب برو. علم الاجتماع السياسي. ترجمة محمد عرب صاصيلا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط 1 1998 ص191 وما بعدها.
11. ابن منظور، "لسان العرب"، مادة : بدد. أنظر حسن حسين الكرمي. الهادي إلى لغة العرب.

12. محمد جمال طحان، "الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي" اتحاد الكتاب العرب – دمشق – 1992 ص 22.
13. ناصيف نصار. منطق السلطة – مدخل إلى فلسفة الأمر. دار أمواج بيروت – لبنان ط 2 2001 ص 356 – 358.
14. عصمت سيف الدولة. الطريق إلى الديمقراطية أو سيادة القانون في الوطن العربي. دار الطليعة للطباعة والنشر. ط 1 1970 ص 23.
15.محمد حافظ يعقوب. الخديعة والكلمات: دراسة في مفهوم الاستبداد العادل. الاجتهاد – العددان 51 / 16 – السنة الرابعة – ربيع وصيف 1992م 1413 هـ. ص 63 – 98.
16.برهان غليون "نقد السياسة- الدولة والدين". المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ط 1 1991 ص 32.
17.جان جاك شوفلييه: تاريخ الفكر السياسي– من المدينة إلى الدولة القومية. ترجمة محمد عرب صاصيلا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط 1 1985 ص 144.
18.روبرت دال. الديمقراطية ونقادها. ترجمة نمير عباس مظفر. مراجعة فاروق منصور. دار الفارس للنشر والتوزيع عمان 1995 ص 106 .
19.حمد جابر الأنصاري. تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية – مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي. مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط 2 1995 ص 189.
20.اتين دي لابواسييه. مقال في العبودية المختارة. ترجمة مصطفى صفوان. مكتبة مدبولي. القاهرة ط 1 1990 ص 73.

21.ابراهيم الديب المخاطر الاستراتيجية للاستبداد وواجب الشعوب نحوه .
22. منذر عنبتاوي. في: علي الدين هلال وآخرون الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت ط 3 ص 279. انظر أيضاً ناصيف نصار مرجع سابق ص 355، 393 – 396.
23.رنسية أحمد لطفي السيد. مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة 1947 ص 222.
24.ناصيف نصار. "الموسوعة الفلسفية العربية". نقلاً عن كمال عبد اللطيف. في تشريح أصول الاستبداد – قراءة في نظام الآداب السلطانية. دار الطليعة. بيروت – لبنان. ط 1 1999 ص 174.
25.خلدون حسن النقيب، "الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر– دراسة بنائية مقارنة". مركز دراسات الوحدة العربية. ط2. 1996.
26.فيليب برو. علم الاجتماع السياسي. ترجمة محمد عرب صاصيلا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط 1 1998 ص191 وما بعدها.
27.محمد جمال طحان، "الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي" اتحاد الكتاب العرب – دمشق – 1992 ص 22.
28.ناصيف نصار، في النظر إلى الاستيلاء على السلطة كأنه اغتصاب مدخل إلى فلسفة الأمر. دار أمواج بيروت – لبنان ط 2 2001 ص 356 – 358.
29.عصمت سيف الدولة. الطريق إلى الديمقراطية أو سيادة القانون في الوطن العربي. دار الطليعة للطباعة والنشر. ط 1 1970 ص 23.
30.محمد حافظ يعقوب. الخديعة والكلمات: دراسة في مفهوم الاستبداد العادل. الاجتهاد – العددان 51 / 16 – السنة الرابعة.

31. برهان غليون "نقد السياسة- الدولة والدين". المؤسسة العربية ط 1 بيروت للدراسات والنشر –1991.

32.جان جاك شوفلييه: تاريخ الفكر السياسي– من المدينة إلى الدولة القومية. ترجمة، محمد عرب صاصيلا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985.

33.روبرت دال. الديمقراطية ونقادها. ترجمة نمير عباس مظفر. مراجعة فاروق منصور، عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع، 1995.

34.محمد جابر الأنصاري. تكوين العرب السياسي ومغزى الدولة القطرية – مدخل إلى إعادة فهم الواقع العربي، ط: 2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1995 ص 189.

35.اتين دي لابواسييه. مقال في العبودية المختارة. ترجمة مصطفى صفوان. مكتبة مدبولي. القاهرة ط 1 1990 ص 73.

36.براهيم الديب، المخاطر الاستراتيجية للاستبداد وواجب الشعوب نحوه .

37. د. بليغ بشر، إشكالية الفساد الإداري وضرورة مواجهته.

مصادر الفصل الثاني صناعة القيادة المستبدة

1. رين برينتون، تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوقي جلال، مراجعة صدقي خطاب، سلسلة عالم المعرفة، رقم 82 (أكتوبر/1984)، ص 171 راشد الغنوشي، "الحريات العامة في الإسلام". مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 1 بيروت : 1993 ص: 306 .

2. صالح الديم شرقي، الاستبداد بالحكم واليات مواجهته، رسالة دكتوراء مقدمة الى قسم الشريعة كلية الشريعة ، جامعة الحاج لخضر بتانة في 2018، ص"23-68.
3. حرز الله محمد لخضر، صناعة المستبد في المجتمعات الواهنة.. بحث عن الوعي المَوْؤُودَ. صناعة المستبد في المجتمعات الواهنة..
4. الوعي المَوْؤُودَ | الجزيرة نت 30/5/2019 (aljazeera.net)
5. سورة القصص، الاية:4.
6. سورة غافر، الاية: 29.
7. د. محمد العبد الكريم دراسة مقاصدية في فقه التحرر من التغلب تفكيك الاستبداد، ط:1، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر2013)، ص:176.
8. نصر محمد عارف، الابعاد الدولية للاستبداد السياسي في النظم العربية: جدلية الداخلي والخارجي، ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز2005)، ص:534..
9. سورة الزخرف، الآية: 22.
10.   سورة الزخرف، الآية: 54.
11. إبراهيم هلال. لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ | الجزيرة نت27/1/2017 (aljazeera.net) ، و عز الدين معزة **متلازمة** الإستبداد السياسي والفساد في الوطن العربي

الحوار المتمدن-العدد: 7154 - 2022 / 2 / 6 - 11:20 متلازمة ستوكهولم (annabaa.org)

12. اتين دي لابواسييه، مقال في العبودية، ترجمة مصطفى صفوان، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1990)، ص: 73. محمد هلال الخليفي، جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة، http:www.aljazeera.net/coverage/pages/0467ff75-381b-42b9-85a4-b7bc2d557b29#TOP

13. إبراهيم هلال، لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ | الجزيرة نت(aljazeera.net) في 27/1/2017.

14. سورة سبأ، الاية 32.

15. هشام علي حافظ وجودت سعيد وخالص جلبي، كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد. ط: 2، (بيروت: رياض الرئيس، 2002)، ص: 55و حرز الله محمد لخضر، صناعة المستبد في المجتمعات الواهنة.. بحث عن الوعي المَوْؤُودَ صناعة المستبد في المجتمعات الواهنة.. بحث عن الوعي المَوْؤُودَ | الجزيرة نت(aljazeera.net) .

16. إبراهيم هلال، لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ الجزيرة نت لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ الجزيرة نت.(aljazeera.net 27/1/2017

17. ناصر منيف قلاوون تعقيب على أهمية وإمكانية تفكيك الاستبداد-مناقشة عامة وختامية منشور في كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز2005)، ص:274

18. سورة النساء، الايات:97-98.

19. د. بومدين بوزيد، الوجه الباطني للاستبداد والتسلط في طبيعة السلطة السياسية الهربية: الجزائر نموذجا. منشور في كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية، ط:1،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز2005)، ص:169.
20. حرز الله محمد لخضر صناعة الاستبداد وحقيقة الاستعباد.. الجذور وموارد الثبور، صناعة الاستبداد وحقيقة الاستعباد.. الجذور وموارد الثبور، الجزيرة نت 6/1/2020 (aljazeera.net)
21. **حسام** شاكر، ديكتاتورية مفضلة.. لماذا تدعم الديمقراطيات الغربية أنظمة الاستبداد؟ ديكتاتورية مفضلة.. لماذا تدعم الديمقراطيات الغربية أنظمة الاستبداد؟ | الجزيرة نت(aljazeera.net)
22. إبراهيم الديب علاقة التوأمة بين الاستبداد المحلي والدولي https://www.aljazeera.net/blogs/2021/2/16/%D8%B9%
23. زهير مبارك أصول الاستبداد العربي دار الانتشار العربي، بيروت، خدمة شبكة الأمة يرس الإخبارية، 2007.

مصادر الفصل الثالث: شخصية القيادة المستبدة

1. د. برهان زريق، الاستبداد السياسي، ط: 1، (دمشق، 2016)، ص: 17.
2. الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والإسلام السياسي، ط: 6. (القاهرة: إصدارات شركة دار النهضة، 2005)، ص: 34.

3. **سورة** النازعات، الآية: 24.
4. **سورة** القصص، الآية: 38.
5. إبراهيم الديب سيكولوجية القيادة المستبدة 14-Sep-20 02:15 A .
6. Abigail Fagan (2/2/2017), "Why Do People Follow Tyrants?", psychologytoday, Retrieved30/12/2021. Edited. ^ أ "Tyranny", emotionalcompetency, Retrieved 30/12/2021. Edited. ↑ "12 traits of an overbearing person (and how to deal with them)", hackspirit, 13/9/2021, Retrieved 30/12/2021. Edited
7. سورة غافر، الاية:29.
8. وليد نويهض، "الإسلاميون والدولة والمسألة الديمقراطية" في: علي خليفة الكواري (محرر)، "الحركات الإسلامية والديمقراطية.. المواقف والمخاوف المتبادلة" (الكويت: دار قرطاس للنشر، 2000)، ص 46.
9. سورة النحل، الاية: 111.
10. سورة البقرة، الاية: 166.
11. حسين احمد امين، وليم شكسبير، مسرحية ماكبث، ط:1 (بيروت: دار الشروق، 1994)، ص: 15.
12. كندة حتّر، المستشارة الإقليمية لمنطقة الشرق الأوسط في منظمة الشفافية الدولية هل الاستبداد السياسي هو السبب الأول للفساد في الدول العربية؟27 يناير/ كانون الثاني .
13. https://www.bbc.com/227rabic/interactivity-601591062022

مصادر الفصل الرابع: المتضررون من القيادة المستبدة

1. . سورة العنكبوت، الاية 40.
2. سورة غافر الآية: 82.

3. سورة النمل، الاية:14.
4. سورة النمل، الاية:51.
5. سورة التوبة، الاية:109
6. سورة البقرة الاية:166.
7. سورة سبأ، الاية:32.
8. ايتين دي بؤسييه، العبودية المختارة، ترجمة مصطفى صفوان (القاهرة: مكتبة مدبولي،1990)، ص:103.
9. سورة البقرة: الايات:166-167.
10. الدليل الشامل عن تأثيرات الحروب في البيئة والمناخ https://ijnet.org/ar/story/%D8%AF%D9%84%D9%8A%D9.
11. د. علي قندح، كتاب/تأثير-الحروب-على-أهداف-التنمية-المستدامةhttps://alrai.com/article/10806601 .

مصادر الفصل الخامس: آليات استدامة القيادة المستبدة

1. خليل العناني، دور المعارضة في ترسيخ الاستبداد: الحالة المصرية ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز 2005)، ص:482.
2. Timothy Michell, Colonizing Egypt (Berkeley: CA Uni of California Press 1991).pp154-159.

3. رفيق عبد السلام بوشلاكة، الاستبداد الحداثي العربي، التجربة التونسية نموذجا ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز2005)، ص:94.
4. علي خليفة الكواري، مقدمة كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز، 2005)، ص:37.
5. عبد الله جناحي، "العقلية الريعية وتعارضها مع مقومات الدولة الديمقراطية"، المستقبل العربي، السنة 125، العدد 288 (فبراير 2003)، ص 67. مصطفى حجازي، الانسان المهدور-دراسة تحليلية نفسية واجتماعية، ط:1، (المغرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005)، ص:77.
6. جون جي ميرشيمر، ترجمة: د. غانم النجار، لماذا يكذب القادة – حقيقة الكذب في السياسة الدولية، (الكويت: مجلة عالم المعرفة، 443، ديسمبر 2016)، ص:64.-73.
7. د. سفيان فوكة، الاستبداد السياسي وأشكاله المعاصرة؛ بحث في أسباب الاستدامة في المنطقة العربية. https://almojaded.com/2021/05/09/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D8%A.
8. سورة البقرة الاية:49 .
9. د. سفيان فوكة، الاستبداد السياسي وأشكاله المعاصرة؛ بحث في أسباب الاستدامة في المنطقة العربية الاستبداد السياسي وأشكاله المعاصرة؛ بحث في أسباب الاستدامة في المنطقة العربية – مركز المجدد للبحوث والدراسات(almojaded.com) د. عثمان احمد إبراهيم، الاستبداد العقدي- الأسباب والمعالجات -فرعون نموذجا، مجلة الباحث للعلوم الإسلامية، العدد2 الصادر في كانون ثاني2023، ص:95. وامام عبد الفتاح امام،

الطاغية، مجلة علم المعرفة (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والعلوم، 1994)، ص:338.
10. **سورة الزخرف، الاية: 51.**
11. الكواكبي، مرجع سابق، ص: 5.
12. لينا هويان الحسن، السيد الرئيس» رواية استورياس.. ملحمة الاستبداد »السيد الرئيس» رواية استورياس.. ملحمة الاستبداد - ثقافات (thaqafat.com) نوفمبر 11, 2015. .
13. اتين دي لابواسييه. مقال في العبودية المختارة. ترجمة مصطفى صفوان. مكتبة مدبولي. القاهرة ط 1 1990 ص 73 ..منذر عنبتاوي. في: عليم الدين هلال وآخرون الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت ط 3 ص 279. وناصيف نصار مرجع سابق، ص 355، 393 – 396، وجذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة، مجلة عالم المعرفة، الجزيرة نت3/10/2004 (aljazeera.net) كيف يصنع المستبد حاشيته-https://www.sasapost.com/the-courtier personality-psychology .
14. رفيق عبد السلام بوشلاكه، الاستبداد الحداثي – التجربة التونسية نموذجا- دراسة في كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز 2005)، ص91. د. سفيان فوكة، الاستبداد السياسي وأشكاله المعاصرة؛ بحث في أسباب الاستدامة في المنطقة العربية
https://almojaded.com/2021/05/09/%D8%A7%D9%84

%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%A8% ، راغب ماجد الحلو، الدولة في ميزان الشريعة، مرجع سابق، ص: 393 .

15. د. محمد فتحي القرش، جدلية الأمن والحرية والاستقرار يناير 3، 2023 https://www.aijhssa.us/lander .

16. د. سفيان فوكة، الاستبداد السياسي وأشكاله المعاصرة؛ بحث في أسباب الاستدامة في المنطقة العربية.

17. محمود أبو هلال، تفكيك متلازمة الاستقرار والاستبداد، تفكيك متلازمة الاستقرار والاستبداد | الجزيرة نت23/12/2016 (aljazeera.net) .

18. سورة البقرة، الاية: 205.

19. سورة الأعراف، الاية: 123.

20. عاطف العقلة عضيبات، "الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي: دراسة سوسيولوجية في الدين في المجتمع العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990)، ص 144، والطاهر لبيب، "علاقة المشروع الديمقراطي بالمجتمع المدني العربي"، في: المسألة الديمقراطية في الوطن العربي، سلسلة كتب المستقبل العربي (19)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص 20، غازى الصوراني، "العولمة وطبيعة الأزمات في الوطن العربي.. وآفاق المستقبل"، المستقبل العربي، السنة 26، العدد 293 (يوليو 2003)، ص 111، أحمد كمال أبو المجد، "حول الخطاب الديني المعاصر"، وجهات نظر، العدد 38 (مارس 2002)، ص 7.

21. د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الانسان بين الحلم والواقع، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 6، 2006)، ص:136.

22.محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، تحقيق وتعليق مسعود فلوسي، ط:1 (الجزائر: دار ريحانة، 1999)، ص:175.
23. ناعوم تشومسكي، الاستراتيجيات العشرة للتحكم بالشعوب، الأسلحة الصامتة للحروب الهادئة،
https://www.facebook.com/share/p/8hWzwKwWmwXTQGZb/?mibextid=xfxF2i
24..ناعوم تشومسكي، الاستراتيجيات العشرة للتحكم بالشعوب.
25.نعوم تشومسكي، الاستراتيجيات العشرة للتحكم بالشعوب
26.(ا.د. امام عبد الفتاح امام، الطاغية دراسة فلسفة لصور الاستبداد، مجلة علم المعرفة، العدد 183، ص:7.
27.احمد نجيب الشابي، تعقيب على بحث رفيق عبد السلام بوشلاكه، الاستبداد الحداثي – التجربة التونسية نموذجا- منشور في كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز 2005)، ص:108.
28. سورة البقرة، الاية:49.
29.حسين احمد امين، وليم شكسبير، ماكبث ط:1 (بيروت: دار الشروق، 1994)،ص: 13. و صاحب الربيعي، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، ص: 32-33 و هشام علي حافظ وجودت سعيد وخالص جلبي كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد ط: 2، ص:184.

30. حسام شاكر، الطابور السادس.. قوة الاستبداد الناعمة الطابور السادس.. قوة الاستبداد الناعمة | الجزيرة نت 2/7/2018 (aljazeera.net)

31. هربرت شيلر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة، عبد السلام رضوان، مجلة عالم المعرفة العدد106، (الكويت، 1999)، ص:13-20. وسام قدور، موقف الإسلام من الاستبداد قراءة في موقف علماء الدين من مسألة طاعة ولي الامر، (اسطنبول: مركز المجدد للبحوث والدراسات، 2021)، ص:4.

32. د. محمد محسوب، انظر الرابط : https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/1/2

33. خلدون حسن النقيب، "الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر– دراسة بنائية مقارنة". مركز دراسات الوحدة العربية. ط2. 1996. و عصمت سيف الدولة. الطريق إلى الديمقراطية أو سيادة القانون في الوطن العربي. دار الطليعة للطباعة والنشر. ط 1 1970 ص 23.

34. جي ميرشيمر، ترجمةد. غانم النجار، لماذا يكذب القادة – حقيقة الكذب في السياسة الدولية، (الكويت: مجلة عالم المعرفة، 443، ديسمبر2016)،ص:46-57 .

35. مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دمشق: دار الفكر، ،1978 ص.25، مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي؛ سيكولوجية الإنسان المقهور، بيروت: معهد الانماء العربي ،1986، ص.185 Assault Ongoing the and

المراجع

Eliminationism, Genocide: War Than Worse. Goldhagen Daniel، Affairs Public :Canada .Humanity ،2009 ،53.p.

د. رفيق عبد السلام، الاستبداد الحداثي العربي، انظر الرابط : https://www.aljazeera.net/specialcoverage/coverage2004/2004/10/

اتين دي لابواسييه. مقال في العبودية المختارة. ترجمة مصطفى صفوان. مكتبة مدبولي. القاهرة ط 1 1990 ص 73.

الجيلالي طاهر مفهوم الاستبداد.. بين الكواكبي ودو لا بويسيه مفهوم الاستبداد.. بين الكواكبي ودو لا بويسي | الجزيرة نت(aljazeera.net)

27/7/2018

محمد العبد الكريم، الاستبداد الحداثي، موقع المقال،19فبراير 2014م ، انظر الرابط: https://www.almqaal.com/?p=329

". د. رفيق عبد السلام، الاستبداد الحداثي العربي، انظر الرابط : https://www.aljazeera.net/specialcoverage/coverage2004/2004/10/3/ .

مصادر الفصل السادس: متلازمات القيادة المستبدة

1. بلبال حسناوي زواو ضياء الدين، أسباب الفساد المالي والإداري واستراتيجية مكافحته، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، الجزائر: جامعة فرحات عباس ستيف العدد2، حزيران 2019، ص:30.
2. المرسي السيد حجازي، "التكاليف الاجتماعية للفساد"، المستقبل العربي، السنة 23، العدد 266 (أبريل 2001)، ص 29.
3. بلبل حسناوي وزاو ضياء الدين، أسباب الفساد المالي والإداري واستراتيجية مكافحته، مجلة بحوث الإدارة والاقتصاد، الجزائر : جامعة فرحات عباس ستيف العدد2 حزيران 2019 ،ص:31.
4. سورة المائدة، الاية:33.
5. د. بليغ بشر، إشكالية الفساد الإداري وضرورة مواجهتها (PDF) اشكالية الفساد الاداري وضرورة مواجهتها (researchgate.net) .January 2018.
6. عصام صادق رمضان، الابعاد القانونية للإرهاب الدولي مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد،85 تموز-يوليو،1986 ص.8 (((سفيان فوكة، "اشراك حركات الإسلام السياسي في عمليات دمقرطة العالم العربي؛ بين متطلبات الداخل وضغوط الخارج"، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، الجزائر، المجلد 21، العدد 01 جوان، 2020 ص: 627.
7. محمود عبد الفضيل، "الفساد وتداعياته في الوطن العربى"، المستقبل العربي، السنة 22، العدد 243 (مايو 1999)، ص 5-7.

8. العياشي عنصر، سوسيولوجيا الازمة الراهنة في الجزائر، كتاب المستقبل العربي، العدد 191، كانون الثاني 1955، ص:86.
9. فيصل محمد بن سبت، متلازمة الاستبداد والفساد https://alqabas.com/article/5880739
10. **د.** إدريس لكريني، تكلفة الفساد، اصدارات دار الخليج.
11. حسام الدين فياض، التخلُّف الثقافي؛ الدلالات والمظاهر، مجلة التنويري العدد: 2 نوفمبر،2021.
12. سماح حمود علي يحيى البعداني، مؤشرات التخلف والنهوض الحضاري في المجتمع العربي والإسلامي المعاصر: دراسة مقارنة ببعض الدول المتقدمة مؤشرات التخلف والنهوض الحضاري في المجتمع العربي والإسلامي المعاصر: دراسة مقارنة ببعض الدول المتقدمة - مركز دراسات الوحدة العربية(caus.org.lb) ديسمبر 23, 2020.
13. د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، ط:9، (المغرب، الدار البيضاء،2005)، ص:10-11.
14. سعد الدين إبراهيم، "المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي"، كتاب الديمقراطية (القاهرة: مركز دراسات التنمية السياسية والدولية، ديسمبر 1991) ص 9.

15. .د. حليم بركات ، الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الانسان بين الحلم والواقع، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 6، 2006)،ص:165.

16. ميلان كونديرا ، كائن لا تحتمل خفته، ،ط:2،ترجمة: ماري طارق، (بيروت: المركز الثقافي العربي،1998).

17. علي أسعد وطفة، "بنية السلطة وإشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999)، ص 23.

18. محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،1990)، ص:123. مصطفى حجازي، الانسان المهدور-دراسة تحليلية نفسية واجتماعية، ط:1، (المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،2005)، ص:11. و **د.** مصطفى حجازي، الانسان المهدور-دراسة تحليلية نفسية واجتماعية، ط:1، (المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005)، ص:11.

19. سورة التوبة،الاية:105.

20. حليم بركات، "المجتمع العربي في القرن العشرين"، بحث في تغير الأحوال والعلاقات" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص 35.

21. إبراهيم هلال لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ | الجزيرة نت (aljazeera.net) 27/1/2017

22. صاحب الربيعي، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، ط:1، دمشق: 2007)، ص:24.

23. إبراهيم هلال لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ لماذا تعد الشعوب مسؤولة عن حجم الاستبداد الذي يقهرها؟ | الجزيرة نت(aljazeera.net) .

24. سعد الدين إبراهيم، "المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي"، كتاب الديمقراطية (القاهرة: مركز دراسات التنمية السياسية والدولية، ديسمبر 1991) ص 9.
و إيليا حريق، "التراث العربي والديمقراطية: الذهنيات والمسالك"، المستقبل العربي، السنة 22، العدد 251 (يناير 2000)، ص 8.

25. زهير مبارك، أصول الاستبداد العربي (بيروت دار الانتشار العربي، 2007).

26. عبد النبي الحري، نقد أصول الاستبداد في التراث السياسي الإسلامي عند محمّد عابد الجابري،
https://www.mominoun.com/articles/%D9%86%D9%82%D8%AF-%

27. صاحب الربيعي، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، ط:1، دمشق: 1007)، ص:24. هشام علي حافظ وجودت سعيد وخالص جلبي، كيف تفقد الشعوب المناعة ضد الاستبداد، ط:2، (بيروت، دار رياض الرئيس،2002)، ص:153.

28. سامح عودة، الإنسان المقهور.. ما الذي يجعل "المجتمعات المتخلفة" متشابهة؟الإنسان المقهور.. ما الذي يجعل "المجتمعات المتخلفة "متشابهة؟ | الجزيرة نت2020/31/8 (aljazeera.net) .

29. عزالدين معزة **متلازمة الإستبداد السياسي والفساد في الوطن العربي،** الحوار المتمدن-العدد: 7154 - 2022 / 2 / 6 - 11:20 .

30. سورة البقرة، الاية:14.

31. سورة النساء، الاية:114.

32. سورة النساء، الاية:79.

33. سورة الانعام، الاية:129.

المراجع

1. .د. سعود جاويد مشكور واخرون، ظاهرة هيكلية الفساد المالي والإداري وأساليب المعالجة، pdf.

2. إدريس لكريني تكلفة الفساد صحيفة الخليج (alkhaleej.ae) 19 يونيو 2015.

3. هل الاستبداد السياسي هو السبب الأول للفساد في الدول العربية؟ - BBC Newsعربي 27 يناير/ كانون الثاني 2022
tps://www.bbc.com/arabic/interactivity-60159106

4. شورى برس، الاستبداد .. مفهومه وأنواعه وأسبابه وآثاره، : https://www.maghress.com/chourapress/323.

5. هدى عبد السلام الفرق بين القطاع العام والخاص (mosoah.com) 30سبتمبر، 2021

6. دور القطاع العام والقطاع الخاص في التنمية الاقتصادية (PDF) (researchgate.net).

7. محاور و7 مكونات و206 مبادرات لتنفيذ منظومة تحديث القطاع العام (almamlakatv.com)

8. مايكل جونستون، متلازمات الاستبداد،- الثروة والسلطة ةالديمقراطية، ترجمة نايف الياسين،،ط:1،(الرياض: مكتبة العبكان،2008).

مصادر الفصل السابع: ارتدادات القيادة المستبدة

1. د. أسعد عبد الرحمن لاستبداد وحكم التغلب في أنظمة الحكم العربية المعاصرة | الجزيرة نت(aljazeera.net) في3/10/2004

2. عيسى العيد، قراءة في كتاب، رؤى في قضايا الاستبداد والحرية - موقع سماحة الشيخ فوزي السيف(al-saif.net)
3. د. عثمان احمد إبراهيم، الاستبداد العقدي- الأسباب والمعالجات - فرعون نموذجا، مجلة الباحث للعلوم الإسلامية، العدد2 الصادر في كانون ثاني2023، ص: 12. و د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية-متاهات الانسان بين الحلم والواقع، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية2006، ص:171.
4. د. ثناء فؤاد عبد الله اليات الاستبداد وإعادة انتاجه في الواقع العربي ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز2005)، ص:383.
5. عمرو حمزاوي، بين الاستبداد وسيادة القانون نشرت من قبل القدس العربي on 12 أغسطس 2019.
6. د. مصطفى حجازي، الانسان المهدور-دراسة تحليلية نفسية واجتماعية، ط: 1، (المغرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005)، ص: 109.
7. كريم شغيدل، مفهوم الاستبعاد واثره في النسيج المجتمعي، المنتدى العربي للعلوم الاجتماعية والإنسانية
8. سورة الصافات، الاية: 69-70..
9. حرز الله محمد لخضر، صناعة الاستبداد وحقيقة الاستعباد.. الجذور وموارد الثبور6/1/2020 صناعة الاستبداد وحقيقة الاستعباد.. الجذور وموارد الثبور | الجزيرة نت (aljazeera.net).

10. محمد هلال الخليفي جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية المعاصرة | الجزيرة نت3/10/2004 (aljazeera.net) و رفعت المحمد التخلف، مجلة النبأ العدد 83. تموز2006.
11. د. مصطفى حجازي، الانسان المهدور-دراسة تحليلية نفسية واجتماعية، ط:1، (المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005)، ص: 75.
12. دلة سام، من دولة القانون إلى الحكم الرشيد، تكامل في الأسس والآليات والهدف، مقال، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 30، العدد الثاني، 2014، ص: 68.
13. إبراهيم الديب أشكال الاستبداد في واقعنا المعاصر أشكال الاستبداد في واقعنا المعاصر | الجزيرة نت(aljazeera.net) وسالم توفيق النجفي، الاستبداد في نظام الحكم في العراق _الماضي ورؤية المستقبل دراسة في كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز 2005)، ص ص 49-66.، ومحمد هلال الخليقي، جذور الاستبداد في الحياة السياسية العربية دراسة في كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز 2005)، ص ص: 49-66.
14. حرز الله محمد لخضر صناعة الاستبداد وحقيقة الاستعباد.. الجذور وموارد الثبور.

15. سورة الانفال، الاية: 60.

المراجع

د. هدى احمد احمد الديب، و محمود عبد العليم محمد سلمان، مخاطر الاستبعاد الاجتماعي على الدولة والمجتمع.

مصادر: الفصل الثامن موقف الإسلام من الاستبداد

1. د. رحيمة بن حمو، موقف الشيخ الغزالي من الاستبداد السياسي، قسطنطينية، 2013، ص:3.
2. يوسف القرضاوي، حدود حرية التعبير في الدولة الإسلامية، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاقبات (cilecenter.org) في2020/02/11.
3. د. علي الدباغ، الاستبداد في فكرة ولي الامر وفقه الغلبة وولاية الفقيه في الوقت الراهن، دراسة في كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز 2005)، ص49
4. سورة المائدة، الاية:49.
5. سورة الجاثية، الاية:18.
6. سورة البقرة، الاية:256.
7. سورة الإنسان، الاية: 3.
8. سورة الأعراف، الاية:12.

9. سورة الغاشية، الايات: 21-22.

10. سورة الزمر، الاية: 41.

11.سورة الكهف، الآية: 29.

12. سورة الكافرون، الاية: 6.

13. سورة الزمر، الاية:41،

14. سورة سبأ، الاية :46.

15. سورة يونس الاية :101.

16. سورة غافر، الاية:29.

17. سورة المائدة، الاية:79.

18. سورة ال عمران، الاية: 104.

19.احمد المطيري، الثورة العربية والمصطلحات الوهمية، موقع المطيري -http://www.dr، الدخول في 2017/05/14.

20. إبراهيم العسعس، الأمة والسلطة، (بيروت: دار البيارق، 1996)، ص: 26.

21.سورة النساء، الاية :58.

22.سورة النساء،الاية:135.

23. سورة النساء، الاية:105.

24. سورة، الشورى، الاية: 42.

25.سورة الانعام107.

26.سورة الشورى، الاية: 48.

27.سورة الغاشية، الايات: 21- 22.

28. سورة الرعد، الاية40.

29.محمد عبده، الإسلام والنصرانية، ط:1، (بيروت: دار الفكر العربي،1976)، ص:71-72.

30.راشد الغنوشي، "الحريات العامة في الإسلام". مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت – لبنان ط 1 1993 ص 306 – 307، وأحمد الريسوني، "إمامة المتغلب بين الشرع والتاريخ" (الجزيرة نت، 2014/3/20).

31. سورة هود، الاية:113.

32. رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب سمع وطاعة الامام، ج:4، حديث رقم:2955، ص:49.

33. سورة التوبة:128.

34. سورة القصص، الاية :83،

35. سورة الشعراء، الاية: 215.

36.الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والإسلام السياسي، ط:6 (القاهرة: إصدارات شركة دار النهضة، 2005)،ص:157.

37.سورة الشورى، الاية: 41 .

38. محمد خير الشعال، لصاحب الحق مقال، http://dr-shaal.com/multimedia/3236.html.

39. سورة النساء، الاية: 148.

40.سورة البقرة، الاية: 194.

41. د. محمد العبد الكريم دراسة مقاصدية في فقه التحرر من التغلب تفكيك الاستبداد،ط:1،(بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر2013)،ص:178-179.
42. سورة ال عمران، الاية:159.
43.سورة الشورى، الاية:38.
44. سورة ال عمران، الاية:104.
45. سورة البقرة، الاية:124.
46. سورة الشعراء، الاية: 183.
47.سورة الاسراء ، الاية:70.
48. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الانسان بين الحلم والواقع، ط:1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 6، 2006)، ص: 133-140.
49. سورة طه، الايات:40-41.
50. الكواكبي: المرجع السابق، ص144.
51. سورة الحجرات، الاية:13.
52.الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والإسلام السياسي،ط:6.(القاهرة:إصدارات شركة دار النهضة،20059)،ص:144-146.

المراجع

وسام قدور، موقف الإسلام من الاستبداد- قراءة في موقف علماء الدين من مسائلة طاعة ولي الامر، تركيا: مركز المجدد للبحوث والدراسات،2011.

مصادر الفصل التاسع: اكابر المستبدين

1. سورة هود، الاية: 18.
2. سورة غافر، الآية: 29.
3. سورة هود، الايات: 96-99.
4. سورة الزخرف، الاية:51.
5. سورة النازعات، الاية 23.
6. سورة الشعراء: الآية:29 .
7. سورة الأعراف، الاية:128.
8. سورة طه، الاية:71.
9. سورة الأعراف، الاية:113.
10. سورة الزخرف، الاية:54.
11. سورة الأعراف، آية:127.

12. محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، القاهرة، دار الفكر العربي، الجزء،6، ص: 2917-2918.

13. سورة الزخرف، الاية:56.

14. حيدر إبراهيم علي، تجدد الاستبداد في الدول العربية ودور الامنوقراطية ضمن كتاب الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، تموز2005)، ص: 199.

15. المصدر السابق،ص:190.

16. د. ناجح إبراهيم، عبد الناصر في ذكراه، صحيفة الوطن المصرية http://www.elwatannews.com/news/details/1465424 بتاريخ 3/10/ 2016.

17. محمد إبراهيم الدسوقي، مخزون الثقة، صحيفة الاهرام المصرية، الأثنين 10 من ذو الحجة 1437 هـ 12 سبتمبر 2016 السنة 141 العدد 47397..

18. صالح الدين شرقي، الاستبداد بالحكم واليات موجهته، أطروحة دكتوراء في العلم الإسلامية، مقدمة كلية العلوم الإسلامية- قسم الشريعة- فرع الشريعة والقانون جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2018، ص:378-385.

المراجع

1. د .ناجح إبراهيم، عبد الناصر في ذكراه، صحيفة الوطن المصرية http://www.elwatannews.com/news/details/1465424 بتاريخ 3/10/ 2016.
2. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%8A%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D8%AF_%D9%86%D9%8A%D9%83%D8%B3%D9%88%D9%86.
3. Jim Nightingal, Think Smart Act Smart- Avoiding the Business Mistakes That Evan Intelligent People Make,(N.Y.; John Wiley,2008)pp.137-142.
4. http://search.yahoo.com/search?p=moshe+katsav .
5. غانم فنجان موسى & وفاطمة فالح احمد، تاثيرات التابعين في القيادة، السويد، فكخو، فيشون ميديا، 2012، ص: 229.
6. مايكل وايتنغ، معمر القذافي.. الأخ قائد الثورة قاهر الجماهير حب حتى الموت، صحيفة المجلة، الثلاثاء، 29 مارس، 2011.
7. عمرو حسني، أشهر 10 جمل قالها "معمر القذافي"، صحيفة الوطن، بتاريخ 20/ 10/ 2014.
8. عماد الدين اديب، النموذج الكوري الشمالي، صحيفة الوطن المصرية، الجمعة 10:18 2016.
9. محمد إبراهيم الدسوقي، مخزون الثقة، صحيفة الاهرام المصرية، الاثنين 10 من ذو الحجة 1437 هـ 12 سبتمبر 2016 السنة 141 العدد 47397.